دعوة الحق

عرش الشعب





- ضمانة لنا من الهزات
- رمز وحدتنا الخالدة
- قلعة منيعة ضد الأطماع

السنة 19
العددان 2 و 3

شهرية
تعنى بالدراسات
الإسلامية وبشؤون
الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة العددان 2-3.
ربيع الأول-ربيع الثاني 1398. يبراير مارس 1978

تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - مديرية الشؤون الإسلامية

ص ب : 375 - الرباط - المغرب

الهاتف : 10 - 632

• الإشتراك العادي عن سنة : 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

• السنة عشرة أعداد . لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• ترسل المجلة مجاناً للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

فهرس



عاهدتك شعبي العزيز يوم ألقى الله إلى زمام أمرك وأناط بي تدبير
أمورك على أن اجتهد فلا آلي وأسعى فلا أمل السعي وابلي كل بلاء حسن
واركب كل سبيل محمود درءا للمكاره وجلبا للمنافع وطلبا لجميل الأحدوثة،
حتى تسير قدماك ثابتة لا ينبو بها المسير، راسخة لا تكبو ولا تزل فيسر الله
لاجتهادنا ما يسر من جميل الآثار وبلغ مسعينا ما بلغ من سني الأغراض والأوطار
وكتب لكلمتك أن تشيع ولشأنك أن يتسع ويستطيل، ولوطنك أن تشرئب إليه
الأعناق وتمتد إليه الأبصار.

الحسن الثاني

بارك الله في عمر سيدنا

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة تحرير مجلة "دعوة الحق" أن تتقدم إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بأطيب التهاني وأجمل الأماني بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لجلوس جلالته على عرش أجداده رضوان الله عنهم، سائلة الله عز وجل أن يطيل عمر سيدنا المنصور بالله ويبارك جهاده الأكبر ويسبغ عليه رداء العافية ويلهمه التوفيق والسداد في جميع مساعيه ويعز به الإسلام والعروبة.

كما تتقدم بخالص التهنئة إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه سمو الأمير مولاي رشيد وكافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة، وإلى الشعب المغربي المسلم وكافة الشعوب الإسلامية.

أعاد الله هذا العيد السعيد على سيدنا المنصور بالله باليمن والبركات والفتوحات والانتصارات في ظل الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي وقيم ديننا الإسلامي الحنيف.

إذا كان شعبي العزيز قد أهدى إلى روحه ومحبته وقلبه فأنا من جهتي كتبت له روحي وعمري ودمي لا يمكنني أن أعطيه أغلى من صحتي وراحتي وسهري على مصالحه وخوفي عليه وإيماني به، كل الإحساسات التي تكون تتأجج بها أفئدة الوالدين ... الذين يفرحون ويعتزون بأن وصل أبناؤهم إلى طور الرجولة وطور المسؤولية.

الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

عرش الشعب

●● نشأ العرش المغربي في أحضان الشعب ، نبع من وسطه ، ولم يفرض عليه فرضا ، وتعهده الشعب وحماه ، وآثره على نفسه ، وجعله محور حياته ، ورضي ان يرتبط به ويلتحم ويلتصق ، حتى بات جزءا لا يتجزأ من كيانه الوطني . ولم يطمع مؤسس الدولة العلوية الشريفة في ملك ، وما دار بخلده يوما ان يتولى أمر المغرب ، وعرف دائما بالزهد في المناصب والعزوف عن مظاهر الابهة والسلطان ، ولكنه استجاب لنداء الشعب حينما اقتضت مصلحة البلاد ان يتحمل المسؤولية انقاذا لكيان المغرب من التفكك والتشتت وانفراط العقد وزوال القوة والمنعة والهيبة والنفوذ ، فلم يسع الى هذا الامر قط ، ولو لم يلح الشعب الحاحه الشديد ، في تلك الظروف الحرجة من تاريخ المغرب ، لما كان ليتقدم الصفوف ويقود الركب .

لقد عاش أجداد جلالة الملك الحسن الثاني عدة قرون مواطنين عاديين لا يكادون يختلفون في شيء عن مختلف أفراد الشعب ، وحتى لما تهيأت لهم فرص الحكم واختارهم الله سبحانه وتعالى لقيادة البلاد ظلوا على مزيتهم تلك ؛ فما عرف عنهم ما يخرجهم عن الشعب ويعزلهم عن سواده . ولا يزال ملك المغرب الى يوم الناس هذا مواطنا متواضعا ، وفردا من أفراد الشعب ، يعيش واقعه بكل معطياته ، ويشاركه سراءه وضراءه . وهو ـ حفظه الله ـ اذا كان يتميز بميزة خاصة ، فلن تكون ، الا هذه المسؤولية العظمى التي يتحملها في صبر واحتساب وجهاد واخلاص ، مؤثرا شعبه على نفسه وعائلته الصغيرة ، ومضحيا براحته ووقته وحقه الطبيعي في كثير مما تطمح اليه النفس المطمئنة السوية ، في سبيل ازدهار البلاد ، ورفاهيتها ، وتقدمها ، وتفوقها ،وعزتها ، وكرامتها وسيادتها ، وحريتها .

فعرش المغرب — اذن — عرش شعبي بكل ما تحمل الكلمة من دلالات وايحاءات ومعان . ولذلك فان تاريخه لا يكاد ينفصل عن تاريخ الشعب . فليس هناك فرق يذكر ، أو تفاوت وتعارض بين العرش وبين الشعب . وما ملوك المغرب الا قادته وحماته والمدافعون المخلصون عن بيضته ولغته وعقيدته واستقلاله ، ولم يمارسوا فى حقه قط تعسفا او ارهابا او ديكتاتورية من أى صنف من أصناف الديكتاتوريات المعروفة فى العالم القديم والحديث على السواء . وكيف يتم ذلك ، والملك ملزم — بحكم البيعة الشرعية التي تشده الى الشعب باوثق رباط — بان يفي بشروط ، هي فى مفهومها العام ، متممة لدينه وشرفه وكرامته الشخصية ، وليست فحسب شروطا وضعية من النوع الذي يسهل التنصل منه بحيلة من هذه الحيل السياسية والقانونية التي يصبح الناس ويمسون عليها ، فى عالم يقيم علاقاته على اساس المصالح المادية . فليست العلاقة بين الشعب المغربي وبين ملكه من جنس العلاقات الميكيافيلية التي تقوم على قاعدة تبادل المصالح ، ومنطق الربح والخسارة ، على النحو الذي يسود انظمة الحكم الاستبدادية ، سواء اتخذ هذا الاستبداد شكل ديكتاتورية الدولة أو الحزب أو الراسمال . ومن هنا تأتي تلك الخصوصية التي تميز نظام الحكم فى المغرب وتجعله نسيج وحده فى عالم الثلث الاخير من القرن العشرين . واذا كانت الانظمة تتشابه وتتداخل الى حد لا يمكن ان يميز بين هذا النظام او ذاك فى شكله العام ، والآثار المترتبة عليه فى الممارسة والتنفيذ ، فان الملكية فى المغرب تستثني من ذلك تماما . وهو استثناء يضفي عليها صفة الاستمرار والتواصل ، ويمنحها تلك الطاقة الهائلة على التحدي والمقاومة والصمود التي تطبع ملكيتنا الدستورية .

وكأن الله — جلت قدرته — اراد ان يتمم نعمته على هذا الشعب ، فجعله فريدا ومتميزا فى طبيعته وتاريخه ونظام حكمه . وليس غريبا ان يكون المغرب البلد الوحيد فى العالم الذي يحكمه نظام قائم منذ ثلاثة عشر قرنا . وليس غريبا — أيضا — أن يكون المغرب البلد الوحيد فى العالم الذي عرف ثلاثة أنواع من الاحتلال فى فترة واحدة ، واستهدفت أراضيه لتمزيق لم يسبق له مثيل فى الدول الافريقية والاسيوية التي احتلت فى اوائل القرن التاسع عشر . وليس غريبا — ثالثا — ان يقود المغرب ملك عرف المنفى والابعاد والحرمان . فاذا كانت أرقى النظم الديمقراطية فى الغرب يحكمها اليوم قادة تخرجوا من بين صفوف الاحزاب العتيدة ، وتمرسوا بالعمل السياسي والاحتكاك بالجماهير عن طريق الخلايا الحزبية والحملات الانتخابية ، فان جلالة الحسن الثاني ، وحده من بين قادة العالم — بلا استثناء ومن غير ادعاء او فخر أو أية نية مسبقة فى الزهو والاستعلاء — الذي تخرج من المنفى السحيق ، وتلقى دروسه الاولى فى السياسة والحكم وقيادة الشعب على يد ملك مناضل شجاع لم يكن كالملوك يرفل فى نعيم الحياة ، ولكنه كان ملكا مطوقا بدبابات الاحتلال يقاوم فى صمت ، ويحتك بشعبه فى أصعب الظروف ويوجه النشاط السياسي ، ويغذي الحركة الوطنية بالطموح والامل والمساندة المطلقة فى المنشط والمكره والشدة والرخاء .

●● ولعل من يدرس سير ملوك المغرب ، مركزا بصفة خاصة على الملوك العلويين الاشراف يخرج بنتيجة هامة تقوي الدليل على نضالية العرش المغربي وشعبيته ، ومواقفه البطولية النادرة المثال ، ومعاركه المشرفة ، ليس دفاعا عن الكيان الخاص ، وحماية لكرسي الحكم ، وانما جهادا وتضحية في سبيل الوطن وقيمه المثلى ومقدساته الخالدة . وما من ملك من الاسرة العلوية المجاهدة الا وكتب له ان يقاوم الدخلاء ، ويطهر البلاد من الاشرار والطامعين ودعاة الفتنة وعملاء القوى الاجنبية ، من مؤسس الدولة المولى علي بن الشريف ، الى المولى اسماعيل ، الى المولى محمد بن عبد الله ، الى المولى الحسن الاول ، وابنائه من بعده الملوك الثلاثة الى بطل التحرير والاستقلال ورمز الفدائية الحق والايثار والتضحية والنقاء الثوري والالتزام الصادق بمصالح الشعب جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، الى وارث سره وحامل اللواء من بعده ، جلالة الحسن الثاني ابقاه الله ذخرا للبلاد واعز به الاسلام والعروبة .

وللباحث أن يأخذ سيرة كل ملك على حدة ، ويتناولها من عدة جوانب، ويدرسها جيدا وفق ما يشاء من مناهج الدراسة التاريخية ، فسيجد نفسه أمام ظاهرة فريدة ، وهي ان ملوك المغرب لا وقت لهم للفراغ والبطالة واللهو والانشغال بسفاسف الامور وصغائرها ، فمعظم جهودهم منصرفة تارة لتحرير الثغور والشواطىء ، وتارة اخرى لمواجهة غزو خارجي ، وفي أغلب الاحيان لمقاومة التخلف والجهل وبناء الانسان المغربي الواعي ، اليقظ الشعور ، المتفتح العقل .

واذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر حياة جلالة الملك الحسن الثاني ـ اطال الله عمره واسبغ عليه نعمة الصحة والعافية ـ كنموذج رفيع للملوك العلويين المناضلين ، نجد ان السبع عشرة سنة التي قضاها جلالته على عرش أجداده المنعمين مليئة بجلائل الاعمال ، والمعارك ، وصور التحدي الشامخ ، والبطولة والشجاعة التي نبخسها حقها اذا ما قسناها بالمقياس المادي المحض ، ونوفيها هذا الحق كاملا اذا نظرنا اليها من وجهة نظرة مشبعة بالوعي التاريخي والايمان الديني ؛ فمن تأسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير افريقيا ، الى معارك الحدود في سنة 1963 ومواجهة التحديات الداخلية في نفس السنة ، الى معركة التنمية والمليون هكتار ، الى حرب يونيو 67 ، الى مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، الى المؤتمر الافريقي الذي انبثق عنه ما يعرف في السياسة الدولية بـ « روح الرباط » الى مقاومة مؤامرات الخيانة والغدر ، الى حرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية ، الى معركة التحرير والوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء العظمى ، الى حرب زائير ، الى مئات المواقف الصامدة، والجهود المتواصلة المضنية التي تبذل في صمت وزهد وسخاء لاصلاح ذات البين بين الاشقاء والاصدقاء من جهة ، ولتدعيم الوحدة الوطنية وترشيد الحياة السياسية ، وتقوية الاقتصاد الوطني ، وتنشئة المواطن الصالح النافع لنفسه وأسرته وعشيرته ووطنه . اليست هذه حياة حافلة بالمعارك المستمرة المتباينة الاشكال والالوان ، والمتحدة في الهدف

والمصير ؟؟ أي نضال أشق من نضال جلالة الحسن الثاني ؟؟ وأي التحام بالشعب هذا الذي يتجلى فى سلوك جلالته فى كل وقت وحين ؟؟ .

● ان هذا ليس دفاعا او دعاية رخيصة ، فما اعتاد الناس ان يدافعوا عن المنتصرين . وانما يكون الدفاع عن المنهزمين المتخاذلين . وليس منهم ملك المغرب كما لا نحتاج ان نقوى . « ان الله يدافـــع عن الذيـــن آمنوا » ، ولكنه اقرار ملتزم بحد أدنى من الموضوعية وضبـــط النفس بواقع نعيشه ويشاركنا فيه العالم شرقيه وغربيه ، ولا يملك الا الاذعـــان لعبقرية العرش المغربي ، والاعتراف باستقامة المسلك ، وسلامة المنهج ، وخلوص النية ، ومشروعية الهدف ، واحقية القيادة .

هو عرش الشعب ـ اذن ـ وملك الشعب ، لا يفرق بينهما شيء .. لا ديكتاتورية ، ولا ارهاب ، ولا قمع ، ولا اعتساف للسلطة ، ولا طغيان ، ولا قهر لارادة الشعب ، وانما هي علاقة الحب ، والثقـــة ، والايثـــار ، والرحمة ، والمودة ، والصفاء ، فى ظل البيعة التي أوصى بها الله ورسوله، وأقام سلفنا الصالح شؤون دنياه على أساسها الراسخ ...

دعـــوة الحـــق



جلالة الملك الحسن الثاني يخاطب وزراء العدل العرب في مؤتمرهم الأول :

أي عربي خطا خطوة عملية وإيجابية لتحرير شبر من الأرض المحتلة أو للاعتراف ولو بقسط قليل من حقوق الفلسطينيين كيفما كان لونه السياسي سوف يجدني واقفا بجانبه

● خاطب صاحب الجلالة الملك الحسن الثانــي نصره الله وزراء العدل العرب فى مؤتمرهــم الاول المنعقد بمــراكش بلغة القانــون والصراحة العربية. وقال لهم : «انني مؤمن بوحدة هدف الامة العربية . ولكنني كقانوني لا يمكنني ان اومن بوحدة الصف العربي » . وقــد شرح جلالة العاهل الكريم المعنى الدقيق للفرق بين وحدة الصف وبين وحدة الهــــدف .

وتجدر الاشارة الى ان خطاب جلالة الملك أمام وزراء العدل العرب كان له صدى واسع فى المحافل العربية والدولية اعتبارا لتوقيته الدقيق حيث صادف انطلاق مرحلة جديدة من الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي الهام :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبــــه

انه لمن اسباب مسرتنا ان نرى اليوم فى هذا البلد العربي وفى هذه المدينة الاصيلة الاسرة العربية مجتمعة من جديد حول موضوع يعد من اهم مواضيع الدين الاسلامي والفضيلة العربية الا وهو العدل وما يتعلق بالعدل. وقد وجدت نفسي البارحة فى حيرة هل سأخاطب وزراء العدل أم هل سأخاطب الوزراء فقط فان انا خاطبتهم كوزراء العدل كان خطابي خطابــا تقنيا لا يمكن أن يفي بما نتوخاه جميعا وبما ننتظر من ورائه من نتائج . أما أن خاطبتكم كــوزراء بمعنــى كمسؤولين حكوميين . تخططون لسياسة بلادكــم . وتوجهونها توجيهاتها ، تمكنا أن نتطرق الى تدارس مواضيع نحن فى حاجة نحن العرب الى ان نتدارسها باكثر ما يمكن من الواقعية .

انني سأخاطبكم كعربي ولكن قبل كل شــيء كعربي درس القانون . درس القانون الحالي ودرس تاريخ القانون وتطوراته . انني مؤمن بوحدة هــدف الامة العربية . مؤمن بان لغتنا ودينها هما المقومتان التي تنبني عليهما ، المسابقة او التسابق الى وحدة الهدف . ولكن كقانوني لا يمكنني أن أومن بوحــدة الصف العربي ، ذلك ان وحدة الصف تقتضي وحده الانظمة . وحينما اقول الانظمة ، لا أقــول الانظمــة السياسية ، ولكن أعني بهذا الانظمــة الاقتصاديــة والاجتماعية . فى أوربا مثلا نجد ملكيات وجمهوريات، ولكن نظامها الاجتماعي والاقتصادي نظام واحد ، فلو دخل فى مجموعتها ، نظام واحد اشتراكي لتفتتـت المجموعة الاوربية ولم يبق اذ ذاك أي موضوع لذكــر وحدة أوربــا .

اذن . ما هو المشكل بالنسبة للعرب الآن ؟ هل مشكل وحدة الصف ؟ أم مشكل وحدة الهدف ؟

شخصيا ، اعتقد أن وحدة الهدف الآن هـــي الاسبقية من الاسبقيات ، فيما يخص مشاكل العرب، فى هذا اليوم وربما فى نفس هذه الساعة يفتتح فى القاهرة مؤتمر للبحث عن طريق السلام . فماذا كان السبب وما هي الخطوات التي أتت بهذا المؤتمر ؟

نرجع شيئا ما الى الوراء ، الى سنة 1967 . مؤتمر الخرطوم ، لا اعتراف ، لا حوار ، لا سلـم . وسارت الامور على ما سارت عليه ، ثم جاء الفتح فى اكتوبر 1973 ، جاءت حرب اكتوبر حاملة فى طياتها استرجاع العرب لثقتهـم واسترجــاع الجيـــوش لكرامتها . ومن ثم بدأ العرب يرون المشكل مـــن زاويـــة اخـــرى .

هكذا جاء مؤتمر الجزائر سنة 1973 فقـــرر مقررات ووضع أسسا للعمل السياسي وبعد المؤتمر بقليل تلته فترة مفاوضات لفك الارتباط ، فوجدنـا نفس المشكل بين الدول العربية المعنية اذ ذاك ولكن بالصبر والمصابرة توصل الجميع الى المحافظة على وحدة الصف ، نظرا لكوننا كنـــا متشبثين بوحـــدة الهـــدف .

ثم جاء مؤتمر القمة العربي فى الرباط سنـــة 1974 ، وخرجنا من هناك بالمقررات التالية :

لا سلم انفرادي ، تحرير جميع الاراضي المحتلة بما فيها القدس . استرجاع حقوق الفلسطينيين ، « اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كالمخاطـب الوحيد للفلسطينيين » وفى يوم مـــن الايـــام من الاسابيع الاخيرة ، فوجئنا ، أقول فوجئنا بسفـــر الرئيس أنور السادات أخينا وصديقنا الى القدس . فعلى الاقل ، فاز هناك بصلاة العيد بالمسجد الاقصى . لعله دعا معنا هناك حتى يهدينا الله جميعا ويزيدنا من فضله ، أقول فوجئنا ، لانه لم يستشرنا . ولـــم يستشرنا لانه لم يرد أن يحرجنا ، حتى يتحمل وحده التبعة والمسؤولية فان كان هناك النجاح فهو نجاح الجميع . وان كان هناك الفشل ، فسوف يكون فشل أنور السادات وحده . وخطـــب أنور السادات فى البرلمان الاسرائيلي ، فهل فرط أنور السادات فى حق الفلسطينيين هل تنازل عن شبر مـــن الارض العربية المحتلة ؟ هل تنازل عن المطالبـــة بالقدس ؟ هل قال سابرم اتفاق سلم منفصلا . لم يقل أي شيء من هذا . فالغريب اننا كنا نقبل أن يقول هذا كلـــه لو قاله فى جنيف . او فى نيويورك المليئة بالصهيونية ولم نقبل أن يقوله فى القدس حقيقة هذه الحساسية الجغرافية ، ليست فى مستوى العبقرية العربية . سأعتقد شخصيا أن القضية أخذت منعطفا لا رجعة فيه وأن سفر الرئيس السادات الى القدس وافتتاح المؤتمر اليوم بالقاهرة أعطى للقضية الفلسطينيـــة القضية العربية حجما آخر بل أعطاها طبيعة أخرى . فعلينا اذن ان لا تبقى أسارى أنانيات فى هذا الوقت وفى هذا الظرف وجب على كل واحد منا أن يشـــد بعضد أخيه حتى تنجح جميع مساعي الرئيس المصري. أما أن نقول « اذهب أنت وربك فقاتـــلا انا هاهنـــا قاعدون » فهي ليست من شيم العرب بكيفية عامة ، وليست من شيم المغرب ، ولن تكون من شيم المغرب، فأي عربي عربي خطا خطوة عملية ، ايجابية لتحرير شبر من الارض العربية المحتلة أو للاعتـــراف ولو بقسط قليل من حقوق الفلسطينيين كيفما كان لونه السياسي أو المشاكل التي بيني وبينـــه ، فسوف يجدني واقفا بجانبه ، معينا له ، حتى ينهي مأموريته، فعلينا اذن أن لا نحكم ونحن وزراء العدل أن لا نحكم مسبقا عن أعمال الرئيس أنور السادات . بل أعتقد أنه من الواجب على العدو ان يحس بأن مخاطبه ليس أنور السادات وحده ولكن فى المجموعة العربيـــة . وسوف تنال المجموعة العربية اذا هي دفعت دفعـــة واحدة وبقوة متكافئة ، سوف تنال من النتائج ما لا يناله أنور السادات . فأعتقد أن فى هذا المجال ، الباب مفتوحة مثل باب التوبة ، فباب التسابق الى الخيرات وباب الشجاعة الفكرية ، لا زالت مفتوحة وهذه هي الرسالة رسالة الود ، رسالة التعاطف التي أريد أن تحملوها جميعا الى رؤسائكم وانني لاعتبر من الفرحة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ويحض عليه أنه رغم تفكك الصفوف العربية أرى اليوم فى هذه المدينة وفى المغـــرب للمـــرة الثالثة ، الصفوف والحمد لله موحـــدة والاســـرة مجتمعة رغم انها تفرقت على نقط فقط .

فالوزير العادل وهو قاضي القضاة ، فى بلده لا يمكن أن يكون وزير العدل اذا لم يتحـــل بوزارة الانصـــاف .



فالعدل والانصاف يختلفان . فالعـــدل هــو القانون ، والانصاف هو الايمان التام الذي يومن بـه القاضي حينما يحكم . واذا اجتمع العدل والانصاف اجتمعت المقومتان الضروريتان الصالحتان للحكم ثم لتنفيذ الحكم . فكونوا رعاكم الله ووفقكم رسلي الامناء الى اخواني واشقائي الملوك والرؤساء الذين تمثلونهم . وقولوا لهم ، ان الحسن الثاني ، خـادم الامة العربية وخادم بلاده لن يتاخر ابدا ولو بدقيقـة اذا اقتضت الظروف ان تسيل الدماء من جديد وان يضحي العرب بابنائهم . ولكن فيناشدهم الله ان لا يتركوا اخاهم الرئيس انور السادات وحده فى ساحة القتال . وهو قتـــال أخطـــر وأطـــول وأمـــر .

فليس من شيمنا ، لا من شيم العقل ولا من شيـــم الاجتهاد الفقهي أو السياسي ولا من شيم المروءة ان نتركه وحده فى الميدان . اما فيما يخصنا فمن هنا نقول له ، اننا معه قلبا وقالبا ، فان هـــو نجـــح ، فسنصفق له . وان هو فشل فسنكـــون بجانبـــه وبجانب العرب لنسترجع حقوقنا بالوسائل التـــي نراها كفيلة اذاك والوسائل المعروفـــة ، الا وهـــي التضحية حتى ننال رضا الله ورضا ضمائرنا وحتى نكون تلك الامة التي اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله ، والســـلام عليكـــم ورحمـــة الله .

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يفتتح المناظرة الوطنية للجماعات المحلية بمراكش :

الأحزاب مقبولة دستوريا

بشرط ألا تقع في قبضة أيديولوجية ونفوذ أجنبي

● شهدت مدينة مراكش مؤخرا مناظرة وطنية كبرى للجماعات المحلية ترأس جلسة افتتاحها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله الذي القى خطابا توجيهيا هاما طرح فيه عدة افكار وآراء قيمة تمس حياة الجماعات والتسيير السياسي والاداري للبلاد من قريب .

ومما قاله جلالة الملك فى خطابه التوجيهي الهام : « انني أكن شخصيا للاحزاب السياسية التقدير والاحترام الكبيرين ، وهي مقبولة دستوريا فى البلاد بشرط الا تقع في قبضة ايديولوجية ونفوذ اجنبي .
وقال جلالة الملك أيضا ان المغرب ينطبع ويطبع . وقال حفظه الله : ان الله سبحانه وتعالى سيكلل أعمالنا بالنجاح لان منطلقه من نية التشاور والشورى وتحديد الرأي المستمد من الفلسفة الاسلامية الاصيلة .

وفيما يلي النص الكامل للتوجيه الملكي الهام :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة : انني شخصيا فى حيرة لانني لم اختر لحد الآن اللغة التي سأخاطبكم بها ، وذلك علما مني بأن المواضيع التي ستطرق هي مواضيع الساعة وكنت دائما اقول ولا زلت اعتقد ان مستقبل المغرب وطموحه هو الاشعاع الفكري والتعرف على المغرب علميا وأدبيا وثقافيا .

فهل لغتنا ستكفي لنشر الدعوة المتواضعة التي ستنبثق من خطابي أم من الاصلح والاليق ان استعمل لغة اخرى .

ولكن مطمحنا هو أن تصبح اللغة العربية أكثر اشعاعا وأكثر رواجا في المحافل الفكرية العالمية .

وبما اننا نتطرق لموضوع الديمقراطية فعلي ان أبدا بنفسي فبأي لغة تريدون ان أخاطبكم ، العربية الفرنسية ؟ .. سأستعمل اللغتين .

ان القرن الذي نعيش فيه مليء بالمشاكل ، مشاكل لم يكن يعرفها آباؤنا وأجدادنا من قبل ، المشاكل هي وليدة الحال ، وليدة التقدم ، وليدة الثقافة المعممة ، وليدة الصحافة ، وليدة وجود جهاز الطرانزسطور ، وليدة الحدود ، الحدود الجغرافية لم تبق حدودا بل اصبحت معالم فقط

حتى تعرف كل دولة اين تنتهي سيادتها وأين تبتدىء سيادة الدولة الاخرى ، ومن ثمة أصبحت الحدود الجغرافية لا تقي احدا سواء من الصواريخ او من طرانزسطور .

فمشاكلنا الطبيعية الاصلية القديمة من اكل وشرب وتناسل وامن واطمئنان عرفها آباؤنا من قديم واجدادنا من قديم .

اما مشاكل اليوم : الاختيارات والتخطيطات اصبحت وليدة اي شيء ؟ .. أصبحت وليدة تعميم التعليم ، أصبحت وليدة ما يقرا وما يرى ، ويكون من المتناقضات ان تعطي لابنائنا وسائل التعليم ووسائل التعبير ونجعلهم فى احتكاك مستمر مع الخارج ومع ما يبدع الخارج ومع ما يصنع الخارج من قبيح وحسن وان نقول لهم قفوا هنا ، اياكم ثم اياكم أن تتدخلوا فى شؤون قريتكم او فى شؤون مدينتكم .

وبهذه الاسباب اخترت ان أعالج بكيفية عالمية وهذا فى اول مهامي لانني قانوني قبل ان اكون ملكا . ولكن كيفما كان الحال فأنا رجل قانون ورجل القانون العام لهذا اخترت ان اعالج بقدر المستطاع ولا سيما بالتجربة التي تمكنت من الحصول عليها من الحضانة الادارية ، لانني اعتقد انها جزء تندرج فى جدول اعمال ندوتكم ، وكيفما كانت ترجمة كلمة وصاية بالعربية الحضانة أو الوصاية ، وكيفما كانت تلك الوصاية او تلك الحضانة ، فهي قبل كل شيء تعبير عن الروح او النفس او الدافع للمشرع، وعبد ربه هذا وخادم شعبه نفسه وروحه ودافعه حين تطرق الى صلاحية المجالس البلدية والقروية او الجهوية حينما تطرق لهذا الموضوع ودرسه واعطي اختياراته واتجاهاته فهم أنه من الواجب أن يحذف من قاموسه الاداري نص الحضانة أو لفظ الوصاية او يجد ما يقابلها لاعطائه للمجالس البلدية والقروية .

فمن جهة ، هناك الوصاية وماذا من جهة اخرى لا شيء ، والنتيجة هي أنه يمكننا أن نجد انفسنا أمام آلة معطلة تماما ويمكننا أن نجد انفسنا امام النتيجة المعاكسة لما نريد ، لماذا ؟ انني أكن شخصيا للاحزاب السياسية التقدير والاحترام الكبيرين ، وهي مقبولة دستوريا وفى البلاد . وأعتبرها بطبيعة الحال بشرط الا تقع فى قبضة ايديولوجية ونفوذ اجنبي وأعتبرها احسن مدرسة سياسية . طيب ولكن هذه المدرسة هي مدرسة نظرية فقط ، التطبيق يمارس عند ممارسة حقوق المنتخبين فاذا ركزنا على الوصاية او الحضانة نكون قد خنا روحنا وانفسنا وما هو رد فعل الجماعة المنتخبة ؟ سيكون العقم وعدم الانجاب او التأخر فى انجاز البرامج وبالتالي الفشل ، الفشل المادي والمعنوي لتجربة الديمقراطية فاعتقد شخصيا آن الاوان على الجميع أن يعتقد بل آن يومن بانه يجب علينا ان نتعايش فى كل الظروف وفى كل الاحيان مع ما يسمى الدولة .

لم يعد هناك سربران توامان بين الدولة والمواطن ان المواطن والدولة لا يكونان حجرة متكافئة وملكية خاصة يمنع الدخول اليها ، لم يعد هذا موجودا ، وعندما يطلب منا جلب الماء نجد أنفسنا مضطرين لدخول المنازل ، وعندما يطلب منا شق القنوات نجد انفسنا ملزمين بالدخول الى الملكية الخاصة ، وعندما يطلب منا تعويضات عائلية نصبح ملزمين بمعرفة عدد اطفال المواطنين الشيء الذي يسبب نوعا من المضايقة بحيث لم يبق هناك فارق بين المواطن وبين الدولة ، عليهما جميعا ان ينطلقا من منطلق مسلم مسبقا ، ان التعايش لا اقول واجب ولكن التعايش ضروري بل انه بدون ذلك التعايش ستتحمل الدولة من جهة والمواطنون من جهة اخرى العبء والوزر اقول الوزر وزر عدم التعايش فلهذا اعتقد شخصيا ان اجتماعكم هذا سوف يكون ان شاء الله منطلقا ، لفلسفة جديدة حول تعايش المواطنين والدولة ولا سيما ان المجالس والجماعات المحلية هي المدرسة او هي احسن مدرسة هي المثلى حتى يمكننا ان نجد فيها ونأخذ منها أطر المستقبل .

ومن الاكيد انه اذا علمنا هذه الاطر المقبلة منذ الانطلاقة ان تكون ضد الدولة لانها ضد الوصاية فستكون عقيمة وبماذا سيفيدون هذا المجلس ، بلا شيء واكثر من هذا فانهم يخلقون مدرسة للرفض ولكنها ديموقراطية على اي حال ، الرفض وسياسة الرفض يقال عنها انها غير ديموقراطية ، وهذا صحيح، ولكن ، اذا نحن لم نتنبه الى شيء وهو تربية المواطن ليعرف ما عليه ، ليمارس كذلك ما عليه ويعرف امكاناته وطموحه ويوفق بين الامكانات والطموح والانجاز السريع وعدم الانجاز والاخذ بالامور فى الوسط وبدون انجاز ، اذا نحن لم نعلمه هذا بكيفية

عملية في قريته وبلديته ستكون اطرا ولكن اطرا للرفض ، أطرا عقيمة ، اطرا سياسيا وديموقراطيا ، معاندة لكل تعامل ديموقراطي وكل قرار جماعي .

ان المشاكل التي تعترض العالم يوميا هي المشاكل التي تواجهنا حيث يتعين التركيز عليها لانه لا يوجد هناك مشكل لا يمر من ثلاثة مراحل وهي المبتكر ثم التقني ثم التقنوقراطي ، وافرق هنا بين الرجل التقنوقراطي والرجل التقني ، واذا لم يكن هناك تعاون بين المبتكر الذي يعيش المشاكل من حوله ووسط بيئته فلن يكون هناك مبتكر يعتمد على التقني وهذان يعطيان المشكل الحقيقي الى التقنوقراطي ، فمن المحقق انه مهما كانت كفاءة المجلس البلدي او الجماعة المحلية لن يتم الوصول الى الهدف ابدا وكما يقول المثل الانجليزي لن نكون قد اصبنا الهدف ، وهذا ما لا نريده ، سياسة المغرب الروح والنفس الدافع للمشروع كما قلت لكم ، المشرع عبد ربه الضعيف وخادمكم وخادم بلده الدافع هو ان اعيش مطمئنا وامينا ، اموت مطمئنا على بلدي علما مني بأن المغرب يعيش وسيعيش في مدرسة التعايش والتعايش لا يكون على مضض بل يكون على اختيار وبحرية ، فاذا تعلمت بلدي واذا تعلم ابنائي المغاربة اسرتي الكبيرة ان يعوا اولا وقبل كل شيء ان التعايش لا يغري بل ان التعايش عليه ان يكون ذلك التعايش المثمر لا التعايش العقيم ، امكننا جميعا ان نطمئن نهائيا وابديا على مستقبل بلادنا ومستقبل ابنائنا .

واكثر من هذا اننا لم نكن مطمئنين على مستقبل المغرب فحسب بل ان هذا البلد الذي جعله الله في اقصى غرب افريقيا ويتوفر على منفذ يطل على البحرين ويعتبر ملتقى الحضارة ان هذا البلد يستطيع بنمط الحياة التي يعيشها والسيرة التي ينهجها ان يستمر وان يلعب دوره ليس فقط كنقطة التقاء ولكن كمدرسة للمبادرة لان المغاربة لم يترجموا فقط كتب الاغريق والرومان ونقلوا لاوروبا الطب وعلم التنجيم وغيرها ولكن كما لاحظتم طبعوها بطابعهم الخاص ، المغرب يطبع ، المغرب ليس ذلك الجسر المجهول المشترك المجهول الذي يمر عليه كل أحد ، لا فالمغرب يتطبع ويطبع ، فاذا تعلمنا التعايش بين الدولة وبين المواطنين واذا تعلم المواطنون انفسهم التعايش بينهم سواء كانوا فرقا او احزابا او هيئات ، واذا نظمنا فلسفتنا على ان في حياة القرية او البلدة لا يجب ان يكون غالبا او مغلوبا حاكما أو محكوما ولكن يجب ان يكون الراي بين مواطنين متساكنين عندئذ تمكن المغرب من الوصول الى هدفين ، العيش في السلامة والطمأنينة والتوازن والاتزان والقيام بدور الانعاش دور اعطاء المثل ذلك الدور الذي كان دائما دوره عبر التاريخ وعبر القرون.

انني بهذه المناسبة ارحب بجميع الوفود التي هبت للاستجابة الى استدعائنا انني لارجو الله سبحانه وتعالى ان تجد في مناخ مراكش مناخها الفكري ومناخها الجغرافي في تاريخها في اصالتها في قدمها في صوامعها في مآثرها على وجود سكانها وعلى الزرابي زرابي طبيعتها ومناظرها الخلابة ، أن يجدوا في هذا كله ما يلهمهم التوفيق والسداد والادلاء بالاراء لا الاراء التي لا غد لها ولكن الاراء التي من شأنها أن تلد يوما بعد يوم مسلسلا ديمقراطيا ، تلك الديموقراطية ليست الديموقراطية العقيمة ولكن ديموقراطية الخلق والبناء والتشييد ، وما هذا على تفكيركم وعبرتكم وقدرتكم بعزيز ، كما ان الله سبحانه وتعالى سوف يكلل اعمالكم بالنجاح واعمالنا جميعا لانها منطلقة من نية التشاور من نية الشورى من نية تحديد الراي المستمد من الفلسفة الاسلامية الاصيلة ، والله المعين ، والسلام عليكم ورحمة الله.



وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين

للدكتور أحمد رمزي
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

يحل ربيع هذه السنة 1398 من هجرة سيد الانام سيدنــــا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يحتوي ويحتضن ذكريان مجيدتان عظيمتــــان عزيزتان : ذكرى مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وذكرى استلام حفيده سليل الكرام الابرار امير المومنين الحسن الثانـــي عرش الامة المغربية الابية ، امة المجد والكرامة ، امة الشجاعة والبطولة ، الامة التي عاشت بضعة قرون من الزمن في مواجهة الصليبية الدولية تكافـــح وتجالد للحفاظ على عقيدة التوحيد وشريعة الاسلام التي ورثتها منذ أزيد من ثلاثة عشر قرنا عندما حل بكنفها الدعاة الاولون ، وشرفها الله فشرح صدور اهلها للايمان بعقيدة الاسلام وشريعته فاحتضنوها وحملوها الى جيرانهم في أوربا وافريقيا .

وعند ما يقيم شعب المغرب ذكرى ميلاد الرسول عليه السلام ، فانما يقيمها تمجيدا وتقديرا واجلالا واكبارا لدعوة سيد الاولين والآخريـــن . وليجدد العهد ، ويحفز الهمم ، ويستأنف العمل ، الذي بداه الاولــــون ، وسار عليه سلفهم الصالحون ، تضحية وتفانيا وبذلا للنفوس والاموال ، في سبيل نشر دعوة الاسلام ومبادئه ، ودفاعا عن هذه الدعـــوة وهـــذه العقيدة ، حتى تظل صامدة في وجه الخصم العنيد الثالوث الحاقد : الصليبية ، والصهيونية ، والشيوعية .

والاسلام اليوم ، يعاني من شدة تكالب هـــذا الثالوث في الشرق والغرب ، وفي كل مكان تحدث فيه المواجهة ، مواجهة الغزو العسكري المدمر ، بكل قواه ، والغزو الفكري الماكر ، وقـــد تغلغـــل في مسارب النفوس وتسلح بكل ما عرفه ابليس اللعين من وسوسة وتدليس وتشكيك واغراء . وقد تعهـــد بتضليل بني آدم منذ النشأة الاولى « لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين » .

فالمسلمون أينما كانوا يجب ان يستوحوا من هذه الذكرى ما يقوي عزائمهم ، ويوحد صفوفهم ويمكنهم من استيناف العمل بالروح التي نشا عليها الرعيل الاول من حملة هذه الرسالة ، بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين من بعده ، تضحية وايثارا واخلاصا وصدقا واقداما ، حتى يواجهوا المعركة بما يقتضيه المقام من قوة وصبر وثبات ، متمثلين فى كل مواقفهم حياة القائد الاعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده ، وبذلك وحده يلمون شعثهم ويوحدون صفهم ويفوزون بالنصر الموعود .

أما الذكرى الثانية التي يحتضنها ربيع هذا العام ، فهي ذكرى جلوس حفيد الرسول وسليل الاكرمين ، امير المؤمنين الحسن الثاني قائد المسيرة الخضراء وموحد الصف فى مؤتمر القمة الاسلامي ، على عرش اسلافه المنعمين ، من عهد ادريس الاول وابن تاشفين وعبد المؤمن والمنصور السعدي ، واسماعيل ومحمد الخامس وعلى مر القرون والاعصر التي ظل هذا العرش يحرس الجالسون عليه هذا الجناح الغربي من دولة الاسلام وامة المسلمين ، ويواجهون الغزو الصليبي بكل ما عرفه تاريخهم الطويل من احداث ومعارك حربية وسياسية ، ضربوا فيها كلها اروع الامثال فى الصبر والثبات والتضحية ، يأتي النصر على قدرها تبعا لسنة الله .

ان الاحتفال بذكرى هذا العرش والجالس عليه تحمل اكثر من معنى، وتوحي بأكثر من مغزى ، انه يعني القاء نظرة بعيدة على تاريخ هذا الشعب وما ضمه من وقائع واحداث ، كان لها الصدى البعيد ، والوقع الكبير ، فى تكوين هذه الامة ، فى هذا الجزء الغربي من عالم العروبة والاسلام ، فى غربي شمال القارة السمراء .

واننا ونحن اليوم فى وضع شديد الحساسية يجب ان نستلهم فيه المواقف من احداث غبرت منذ مئات السنين ، ولكنها تركت بصمات بارزة على تاريخنا الطويل العريق ، يجب أن نستلهم منها ونستوحي ما يجب أن نأخذ به ، فهذه وقعة الزلاقة بالاندلس بقيادة يوسف بن تاشفين ووقائع أخرى غيرها بقيادة آخرين من رجالات المغرب وأبنائه فى عهد الموحدين وبني مرين ، والسعديين والعلويين :

من أمثال المولى علي الشريف الذي كان يقود المتطوعين من جميع قبائل المغرب فيعبر مضيق جبل طارق للدفاع عن الاسلام فى ربوع الاندلس الشهيرة ، دون ان تكون له مسؤولية فى الحكم والدولة الا واجب المؤمن بعقيدته ورسالة الاسلام ، فى الذب عن ملته وقومه اينما كانوا .

وموقف الملوك المغاربة فى وقائع عدة مثل وقعة وادي المخازن او وقعة الملوك الثلاثة كما يسميها بعض المؤرخين ، وفى وقائع اخرى كانت من أجل تحرير الثغور والشواطىء من المهاجمين المحتلين فى مختلف الازمنة والاعصر .

واخيرا صمود المغرب عرشا وشعبا ايام الزحف الصليبي الاستعماري في مطلع القرن العشرين هذا حيث وزعت المملكة المغربية بين ابناء الصليبية بعد كفاح دام عدة قرون ، وظل بنوها يكافحون ملتفين حول رمز سيادتهم وعزتهم بطل التحرير والانعتاق جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله سره الى ان اختار المنفى مع اسرته الكريمة ووارث سره ووزيره يومئذ وولي عهده جلالة الحسن الثاني حفظه الله واعز امره فكان هذا الصمود وتلكم التضحية تعبيرا عن نهاية الاستعمار وعهده القصير في هذا البلد الامين المعتز بقيادة عاهله الكبير الحسن الثاني .

اننا اذ نحتفل بذكرى تربعه على هذا العرش فمعنى ذلك اننا يجب أن نستحضر كل هذا في اذهاننا ونتقمصه في سلوكنا واعمالنا لنكون جديرين بالانتساب الى اولئك السلف الابرار الذين أورثونا ذلك المجد الرائع ، وجديرين بقيادة بطل المسيرة الخضراء وباني السدود : سدود الماء وسدود المعرفة والمجد الحسن العظيم . وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

د. أحمد رمزي
وزير الاوقاف
والشؤون الاسلامية

كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في افتتاح الاجتماع الثالث للجنة الخاصة بإعداد الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري

●● انعقد في الرباط في نهاية الشهر الماضي الاجتماع الثالث للجنة الخاصة باعداد الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بمشاركة اثنتي عشرة دولة عربية واسلامية من ضمنها المغرب اضافة الى الامانة العامة لمنظمة مؤتمر القمة الاسلامي بجدة . وقد حضر الاجتماع السيد احمد كريم جاي الامين العام للمؤتمر الاسلامي والسيد قاسم الزهيري الامين العام المساعد واعضاء من الامانة العامة الى جانب وفود الدول المشاركة .

وقد استقبل جلالة الملك الحسن الثاني الاعضاء المشاركين في الاجتماع والقى فيهم حفظه الله كلمة توجيهية هامة .

وكان الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية قد افتتح الاجتماع الثالث للجنة الخاصة باعداد الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري وانتخب رئيسا للمؤتمر .

وفيما يلي كلمة السيد الوزير :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد اشرف المرسلين وعلى آله وصحابته اجمعين .

حضرات السادة :

اود بادىء ذي بدء ان ارحب بكم باسم حكومة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني واغتنم هذه الفرصة لاتمنى لكم – باسم المغرب ملكا وشعبا وحكومة – مقاما طيبا في هذا الجزء من وطنكم الاسلامي الكبير ، الذي اخترتموه مقرا لاشغال اللجنة التحضيرية للاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجري .

حضرات السادة :

ان التفكير – المقرون بالعمل – في اقامة هذا الاحتفال على مستوى العالم الاسلامي تخليدا وتمجيدا

لهذا الحدث الذي سيشهده العالم الاسلامي ومعه الدنيا كلها بعد سنتين ليعكس بصدق تعلق المسلمين بامجادهم الحضارية والتاريخية ويؤكد عمق الروابط التي تشدهم الى عقيدتهم وشريعتهم الغراء .

وانه لمن حسن حظنا نحن مخضرمي القرنين ان نعيش هذا الحدث الكبير في دورة الزمن ، الذي يسجل نهاية قرن وبداية قرن آخر من تاريخنا الهجري المجيد ، والمناسبة هذه تثير لدينا اكثر من احساس بالذاتية المستقلة التي تميزنا عن غيرنا من باقي الامم المتحضرة .

والاحساس بهذه الشخصية المتميزة بكل مفاهيمها وتصوراتها الفكرية والحضارية يدفعنا الى تفقد هذه الشخصية للتأكد من سلامتها ومدى قدرتها على المواجهة والتحدي الذي لا بد ان يقابلها في خط مسيرتها المستقبلية .

حضرات السادة :

ان كان القرن الذي نودعه قد فاق في معطياته العلمية والتكنولوجية كل تقدير حيث تحقق في اطاره الزمني ما كان يعتبر من قبيل الوهم والخيال ، مما دفع بعجلة التطور الى الامام ، ورفع انسان هذا العصر الى قمة التقدم المادي ، فان ما واكب هاتيك المعطيات العلمية والتكنولوجية من سلبيات وتناقضات نزل به الى الحضيض الاسفل ، ودل على ما يقاسيه من تخلف وفراغ كبيرين في روحه ووجدانه ، ولعل في ذلك ما يكشف لنا جانبا من سر التخبط والاضطراب الذي يعانيه عالمنا المعاصر ، والذي يكمن في هبوط الضمير الخلقي وعجزه عن مجاراة النمو المادي الهائل ، مما يذكرنا نحن المسلمين على الخصوص بدورنا المستقبلي باعتبارنا اصحاب رسالة وورثة حضارة انسانية جمعت بين العلم والاخلاق في انسجام ووئام ، لم يعرف التاريخ لهما مثيلا .

واذا كنا نحن المسلمين نسجل باكبار واعجاب ما تحقق خلال هذا القرن من فتوحات علمية جبارة شرفت العقل الانساني ، وابانت عن سر ما اودع الله هذا الكائن من استعدادات خارقة وقدرات كبيرة للسمو الروحي والمادي ، فان اعجابنا هذا لا يمكن ان ينسينا ما تكبدته امتنا من خسائر مادية وروحية في لحظات الضعف التي مرت بها في دورتها الحضارية فوقعت صريعة الغارة الاستعمارية على الوطن الاسلامي التي تمت خلال هذا القرن ولا اعتقد انني بحاجة الى التذكير باسباب هذا الغزو وذرائعه ومراحله واهدافه ، اذ ما يزال كل ذلك حيا واضحا في اذهاننا جميعا ، ومع ذلك فانه لا يسعني الا ان اذكر بظاهرتين اثنتين ارتبطتا بحياة المسلمين سياسيا وحضاريا .

اولاهما : سقوط الخلافة الاسلامية التي كانت رمزا لتلك الرابطة المعنوية التي جمعت المسلمين على مدى ثلاثة عشر قرنا من الزمن .

ومعلوم ان اوربا المسيحية كانت غير مرتاحة من بقاء هذه الرابطة القائمة على اساس العقيدة ، فركزت قوتها العسكرية وشددت ضغطها على الدولة العثمانية التي كانت تجسم هذه الرابطة ، وتحمل شعارها . وقد بلغت نشوة الفرح عند بعض جنرالات الحرب العالمية الاولى ان عقب على هذا الحدث قائلا: « ان اعظم نصر حققته أوروبا المسيحية في هذه الحرب ، هو سقوط الخلافة الاسلامية » وهو تعقيب يغني عن كل تعليق ، ويصور مشاعر اوربا النصرانية التي يقلقها ان يرتبط العالم الاسلامي باي شكل من اشكال الارتباط ، فكيف اذا كان هذا الارتباط يعود بضمير المسلم وشعوره الى منابع القوة التي جعلت منه ذلك العنصر الحضاري ورفعته الى مستوى القيادة الفكرية السياسية .

ثانيتهما : « سقوط الوطن الاسلامي اسيرا في قبضة الاستعمار » .

واذا كانت ظاهرة استعمار الدول القوية للشعوب المستضعفة في آسيا وافريقيا وغيرهما هي بعض ما امتاز به هذا القرن الآذن بالرحيل ،وكانت هذه الظاهرة قدرا مشتركا بين الامم والشعوب المغلوبة على امرها ، فان غزو العالم الاسلامي بالخصوص – وهذا موضع الشاهد عندي – لم يكن مخططا له على اساس استغلال الثروة الطبيعية والبشرية فقط ، بل كانت العناية مصروفة بعد ذلك الى اغتيال الشخصية الاسلامية عن طريق تدمير الوجود المعنوي للمسلمين واجتثاث فكرهم وحضارتهم من الاساس .

وتحقيقا لهذه الغاية لم يكن جيش الاحتلال مؤلفا من الغزاة العسكريين والجنود المقاتلين

وحدهم ، بل احتوى ضمن وحداته العسكرية كتائب من العلماء والمفكرين ولفيفا من القساوسة والمبشرين الذين انطلقوا للعمل التدميري بهمة واخلاص ووفق مخطط مدروس ومنهاج واضح المعالم محدد الاهداف والغايات وقد تعلقت ارادتهم بناشئة المسلمين وشباب الاسلام باعتبارهم مستقبل الامة والامتداد الطبيعي الذي يحقق وجودها الحضاري فينزلوا عليه بكل ثقلهم ، مسخرين لذلك كل ما يملكون من أسباب ووسائل وقد كان لذلك من النتائج ما كان مما نعرفه جميعا لاننا ما نزال نعيش نتائجه حتى يومنا هذا .

ومع ذلك فانه لا خوف على امتنا ان شاء الله ذلك لان المسلمين استطاعوا ان يطهروا وطنهم من الوجود الاستعماري ، وهم الآن يخوضون معركة التصفية ، تصفية رواسب الاستعمار ومخلفاته ، وتنقية مفاهيمهم وتصوراتهم من الايحاءات المدسوسة على فكرهم وحضارتهم ، والذي يثلج الصدر ويقر العين هو ان رغبة المسلمين فى التحرر الفكري لم تعد حلما يداعب الخيال ، ولكنها اصبحت شغلهم الشاغل آحادا وجماعات ، ومحور مناقشاتهم فى جميع المحافل والملتقيات ، وكل قرائن الاحوال تدل على أن القرن الذي نستعد لاحتضانه سيشهد تحولا كبيرا فى مجرى تاريخنا الفكري والحضاري .

ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الجامعة الاسلامية التي اشتد حنين المسلمين اليها وتطلعت انظارهم لتحقيقها وبعثها ، وما من شك فى أن خطوات ايجابية صاحبها كثير من التوفيق قد تحققت فى هذا المجال .

غير أن هناك صعوبات جمة تعترض هذا الاتجاه لا بد أن يتم التغلب عليها ، فى مقدمتها تسوية الخلافات القائمة بين بعض البلدان الاسلامية تمهيدا للوحدة الكبرى التي تجعل جماعة المسلمين كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وما دامت الخلافات قائمة بين المسلمين فان كثيرا من القضايا الكبرى كتحرير القدس مثلا ستظل معلقة بحيث لا يمكن ان تجد حلولها الا فى ظل الوحدة الاسلامية .

حضرات السادة :

ان ما أصاب المسلمين خلال هذا القرن من تسلط الاعداء على أوطانهم وما تلاه من استيلاب لفكرهم ومصادرة لحرياتهم رغم وفرة عددهم وكثرة سوادهم ، مرده الى انحرافهم عن تعاليم الدين وخروجهم عن اطار الشريعة وتهاونهم فى الاخذ بأسباب القوة المادية التي أمر الله ان يؤخذ بها عندما قال : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** »

ولا شك ان المسلمين قد استوعبوا هذا الدرس الرباني وتعلموا منه انهم لن يكونوا شيئا فى أعين الناس ما داموا لا يعتنون بدينهم واصالتهم ، « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » .

ومن اجل ذلك نحب أن تكون كل برامجنا ومخططاتنا المستقبلية ، منطلقة من ذاتيتنا الاسلامية، حتى تكون مكفولة النتائج ، مضمونة المردود ان شاء الله .

« **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** »
صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله .

لنكن تطورنا في إطار الأصالة التي تعطينا الحصانة اللازمة .

● ننشر فيما يلي الكلمة التي القاها السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي فى الحفل الديني الكبير الذي اقامته الوزارة بمسجد السنة بالرباط تخليدا لمطلع السنة الهجرية الجديدة (1398) على صاحبها أطيب الصلاة والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

(صدق الله العظيم)

الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

اصحاب السعادة
حضرات السادة

لكل أمة فى تاريخها ايام مجيدة وذكريات خالدة ، اقترنت بأحداث كانت لها دلالتها واثرها الايجابي فى حياة تلك الامة .

وتاريخنا الاسلامي غني بالعبر والعظات ، حافل بالاحداث الكبرى التي ظلت على مسار التاريخ معالم بارزة فى طريق مسيرتنا العلمية والحضارية .

ولا شك ان يوم الهجرة المحمدية من مكة المشرفة الى المدينة المنورة ، سيبقى الحدث الشامخ فى تاريخ الجهاد ، فى سبيل اقرار الحق واظهاره ، ودحض الباطل وازهاقه ذلك لان حدث الهجرة المحمدية كان منعطفا فى خط سير الدعوة الى الله اتجه بها نحو الغلبة والظهور والانتشار بعد ان ظلت محبوسة فى شعاب مكة ووهادها قرابة ثلاثة عشرة عاما تطور خلالها الصراع بين الحق والباطل من الجدل الكلامي ، الى التآمر على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عما تعرض له انصاره – وعددهم قليل – من امتحان عسير ، وساعتها اذن الله لرسوله بالهجرة ، ومغادرة الوطن الى حيث شاء الله لهذا الدين ان ينطلق وينتشر . الى حيث كانت كل عوامل النصر وظروفه واسبابه قد تضافرت وتهيأت .

اصحاب السعادة
حضرات السادة

لو شاء ربنا ان يسلك بدينه الذي ارتضاه للناس ، وبرسوله الذي جعله خاتم النبيئين ، غير هذا المسلك لفعل ، لان ربنا على كل شيء قدير ؛ فقد كان من أهون الهين عليه سبحانه ان يكفي رسوله عناد وجهالة خصومه ، وان يوفر عليه عناء جهاد استمر ثلاثة عشر عاما تعرض خلالها المسلمون لاشد واقسى انواع البطش وافظع الوان التعذيب والترهيب، كما انه كان قادرا على ان يشرح صدور المعارضين ، فيكونوا انصارا بدلا من أن يكونوا اعداء ؛ بيد ان حكمته اقتضت خلاف ذلك ، بأن تسلك الدعوة تلك

المسالك الوعرة الصعبة التي سلكتها من تضحية وجهاد بالانفس والاموال ، وهجرة للاوطان ، اختبارا للهمم والعزائم ، وامتحانا لمستوى الايمان وتعليما للناس بان انتصار المبادىء والعقائد يعتمد اساسا على قوة وعزيمة واخلاص المؤمنين بها ؛ وذلك هو المقياس الصحيح لعمق الايمان وصدق اليقين : قال تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم الم ، احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

وبعد هذا الامتحان العسير لصدق الايمان ورسوخ اليقين ، ياتي نصر الله الذي وعد به عباده المؤمنين قطعا جزاء لهم على صبرهم وعظيم بلائهم ، تحقيقا لوعده الصادق في محكم كتابه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

نعم ، صدق الله وعده ونصر عبده اذ ما كادت شعلة الايمان تنتقل الى المدينة المنورة ، وتصبح يثرب مفتوحة في وجه الدعوة الاسلامية رسميا بعد بيعة العقبة ، حتى انتشر نور الله ؛ فاضاء القلوب وانار البصائر والابصار ، ولم يبق في المدينة بيت من بيوت الاوس والخزرج الا وفيه ذكر وتلاوة ؛ ويومئذ اذن الله لرسوله ان يخرج مهاجرا من مكة ، ويولي وجهه شطر قاعدة الايمان (يثرب) (ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله) .

حضرات السادة :

لم يكن الطريق بين مكة والمدينة سهلا ميسورا بل كان محفوفا بالمكاره والاخطار ، ذلك لان قريشا التي منيت بخيبة المسعى في تنفيذ ما تقرر في دار الندوة من اعدام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ازداد قلقها فقررت مطاردته وملاحقته في كل مكان ، وبث الجواسيس والعيون في كل ممر وطريق ، ورصدت الجوائز السخية لكل من يدل على مكانه او يستطيع الاتيان به حيا أو ميتا ، ونشطت حركة البحث والطلب لكن انى لهم الخلوص الى من تولت العناية الربانية رعايته ؟ فعميت عليهم الانباء وظلوا يخبطون خبط عشواء ، « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » .

ونجا رسول الله بعد ان رأى من آيات ربه الكبرى ، فكان ذلك وجها آخر من أوجه النصرة والرعاية التي احاط الله بها نبيه المصطفى : « الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » .

وما ان حل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة حتى اجتمع حوله المسلمون من مهاجرين وانصار ، هاتفين بشعار العقيدة الخالد : « الله اكبر » وبعد هذا الحدث العظيم برزت الى الوجود دولة الاسلام بمفهومها الكامل الشامل كما بدا التطبيق العملي للشريعة الغراء ، نظاما يحدد علاقة الانسان بربه ، وبنفسه وباسرته ومجتمعه وبالناس كافة ، كما يحدد علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول الاخرى وبخصوص علاقة الدولة بغيرها اعتمد مبدأ المعاملة بالمثل انطلاقا من قول الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . ومن قوله عز وجل : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وهكذا كان حدث الهجرة حدا فاصلا بين الحق والباطل فاصلا لا لبس فيه ولا غموض .

ونعود مرة اخرى الى حدث الهجرة لتناوله من حيث انه أصبح مبدأ التقويم الاسلامي فقد انعقد اجماع كبار الصحابة على ان سنة الهجرة هي انسب سنة لبداية التاريخ متجاوزين غيرها من الاحداث الكبرى كسنة ميلاد المصطفى وسنة بعثته ، وسنة وفاته ، ويوم بدر مثلا ؛ اختاروا حدث الهجرة لما انطوى عليه من دلالات وابعاد ، كان لها ما بعدها . وقد جاء تفكير الصحابة في اعتماد يوم يكون مفتتحا للتاريخ عندهم على عهد سيدنا عمر بن الخطاب وبالضبط في السنة الخامسة من خلافته حين اجتمع بامره منه مؤتمر استشاري لوضع تاريخ مسلسل من الايام والشهور والسنين .

وسبب ذلك انه رفع الى أمير المومنين عمر ابن الخطاب قضية وثيقة بدين كتب فيها : يحل هذا الدين

فى شهر شعبان ، فقال عمر : اى شعبان ؟ أهو الماضي ، ام المستقبل ؟ وجاءت رسالة من ابي موسى الاشعري العامل على البصرة يستوضح عن مثل هذا وانتشرت كتابة الوثائق بين الناس ؛ فجمع امير المومنين عمر بن الخطاب اهل الراي لتقرير مبدا معين يكون به تاريخ السنين ؛ فقرروا سنة الهجرة بداية له وكان قد مضى على الهجرة حينئذ ستة عشر عاما كاملا .

ان اختيار المسلمين ليوم من ايامهم الكبيرة منطلقا بداية للتاريخ يعني اعتزازهم بامجادهم وتخليدهم لانقى صفحة من صفحات البطولة والشجاعة والتضحية .

وكان من السهل عليهم لو شاءوا ان يختاروا واحدا من التقاويم التي كانت سائدة حولهم ولكنهم لم يرضوا لانفسهم ان يكونوا عالة على غيرهم ولهم مفاخر وامجاد .

حضرات السادة :

هكذا كان اسلافنا يتصرفون عندما كانت تعترضهم آمشاكل ؛ وبهذا المنطق كانوا يفهمون الاحداث ويبتكرون لها الحلول المناسبة .

ونحن كذلك احفاد لاولئك الاجداد تجري دماؤهم غزيرة فى عروقنا ، ونحمل فى خلايانا خصائصهم ومميزاتهم ، ولا نستطيع الانسلاخ منها ولو حاولنا ؛ فعلينا ايضا ان نسلك مسالكهم ونتصرف على غرار ما تصرفوا وان نبني كما بنوا وشيدوا ؛ فمن الخير لنا ان نعتز بشخصيتنا ، وان يكون تطورنا فى اطار الاصالة التي تعطينا الحصانة اللازمة ضد كل عوامل آتفتت والذوبان ؛ وكما كان هذا اليوم منعطفا نحو الظهور والانتصار فى تاريخنا البعيد ، فلنجعل منه باذن الله نقطة انطلاق وانبعاث لتاريخنا الحديث .

وبهذه المناسبة الخالدة يشرف وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ان ترفع اغلى التهاني واخلص الاماني الى رائد البعث الاسلامي ومجدد امجاد امتنا امير المومنين ، جلالة الملك ، مولانا الحسن الثاني اعز الله به ديننا ودنيانا ، واقر بولي عهده الامير الجليل سيدي محمد عينه وعين شعبه ، وانبت سمو الامير مولاي رشيد نباتا حسنا ، ومعه سائر الاسرة المالكة الشريفة .

كما نوجه اصدق التهاني الى الشعب المغربي المسلم المحافظ على قيمه ومقدساته والى كافة امم وشعوب الاسلام بهذه الذكرى المباركة سائلين الباري تعالى ان يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ، وان يعجل بتطهير اولى القبلتين وثالث الحرمين من رجس الاحتلال الصهيوني وان يلهم المسلمين طريق العودة الى الحق حتى يتحقق فيهم مدلول الآية الكريمة : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

العرش المغربي حمى اللغة العربية في مختلف العصور

للأستاذ عبد الله كنون

لا يمتري احد في هذه الحقيقة ، وهي أن العرش المغربي في مختلف العصور كان في خدمة اللغة العربية ، وحماها كلما تعرضت لمعاكسة او مؤامرة ... ونشير فقط الى ما فعله الادارسة في سبيل نشرها وتوطيد معالمها ، فقد كان وزراؤهم وكتاب دولتهم وقضاتهم وكل من بيده حل أو عقد من الولاة او الرؤساء من صفوة العرب واهل العلم بالفقه والحديث والتفسير والعربية وآدابها ، ناهيك برحلة أهل القيروان والاندلس اليهم ، واستيطانهم في عاصمتهم الجديدة فاس التي بدات تأخذ طابعها العلمي من ذلك العهد ، لا سيما عند تأسيس جامع القرويين الذي أصبح منارا للاشعاع الفكري الاسلامي العربي في افريقيا الغربية كلها ، وكان عملهم في شمال المغرب ابان دولتهم الثانية عندما أخرجهم موسى بن أبي العافية من فاس ، مثارا للاعجاب . اذ قاموا بتعريب قبائل الشمال تعريبا كاملا ، مع أن دولتهم في تلك الناحية كانت قليلة الامكانات ومهددة في كل وقت من جميع الطامعين في حكم المغرب .

وكان لدولة المرابطين قدم الصدق في اعلاء شان العربية واضفاء صبغتها على كل المؤسسات ، مع انها تنتمي الى العنصر البربري ، ولما قامت بحملتها العظيمة التي انقذت بها الاندلس من السقوط في يد العدو ، اجتمع لها من علية الكتاب وفحول الشعراء والوزراء العلماء من اهل الاندلس ما لم يجتمع لغيرها، فقاموا تحت رعايتها وبتعاون مع زملائهم واخوانهم من أدباء المغرب وعلمائه بنهضة علمية فريدة ، كانت العربية لحمتها والاسلام سداها وعادت للمغرب العربي الكبير صولته وبهجته وسمعته وريادته في مجال الفكر والادب والمعرفة بلغة الضاد طبعا .

ولم تشذ دولة الموحدين ولا دولة المرينيين عن دولة المرابطين في رفع راية العربية عالية ، وتقريب علمائها واحلالهم محل الصدارة من مجالسهما، مع ان ارومتهما كالمرابطين غير عربية ، ولكن العربية ليست بأم ولا اب من احد . فمن تكلم بها فهو من اهلها كما جاء في الحديث ، فأحرى من نشرها وحماها . ونهضة العربية على عهد هاتين الدولتين ومن نبغ من اعلامها وما كتب بها من مؤلفات وسجل بها من تراث لا يحيط به مقال عابر ولا عدة مقالات .

والشان بالنسبة لدولة السعديين لا يقل عن سابقاتها ، لا سيما وهؤلاء من بيت الشرف وسلالة النبوة ، فهم في ذؤابة العرب وذروة سنامهم ، وقد احيوا مجد العربية بعد فتور تعرضت له في اواخر ايام المرينيين وابناء عمومتهم بني وطاس ، ونبغ على عهدهم كثير من فحول الكتاب والشعراء ، وكان احدهم وهو وزير القلم الاعلى بالمثابة التي قال فيه مخدومه المنصور الذهبي : « ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونباري لسان الدين ابن الخطيب ».

وناتي الى دولتنا العلوية الشريفة ، وهي بيت القصيد من هذه الكلمة ، فلا نبالغ اذا قلنا انها كانت

موئل العربية الصحيحة في القرنين المنصرمين . وكلمة الشيخ محمد بيرم صاحب كتاب صفوة الاعتبار، وهو الذي جاس خلال الديار ، وعرف بلاد المغرب والمشرق معا ، تعتبر شهادة قاطعة في هذا الباب قال سماحته : « لعمري ان صناعة الانشاء في الدول باللغة العربية كادت تكون الآن مقصورة على دولة مراكش » .

ومن درس وضع اللغة العربية في هذه الفترة الطويلة ، في مصر ، عرف كيف كانت اعجمة تسيطر عليها حتى اصبحت على حالة لا تسر من له ادنى غيرة على هذه اللغة الحبيبة ، والباحثون المصريون انفسهم لما يدرسون تطور اللغة العربية في عصر النهضة يوردون بعض النماذج مما كانت عليه قبل الاحياء ، سواء في الرسائل العمومية او الرسمية بل وفي تحرير جريدة الوقائع التي كانت هي الجريدة الرسمية للحكومة المصرية ، وهي نماذج الى العامية الممزوجة بالالفاظ التركية اقرب منها الى العربية الفصحى .

في هذا الظرف وما قاربه كانت اللغة العربية في المغرب ، وفي حضن العرش العلوي بالذات ، تحظى بعناية فائقة ، وتعيش حقبة من حياتها المجيدة، كانها ايام بغداد الزاهرة او قرطبة الخالدة مما يحقق الواقع الذي تحدث عنه الشيخ بيرم في كلمته السابقة الذكر .

وبين يدي الآن عدة شواهد ساقتصر على البعض منها واختارها مما قرب عهده في الجملة ، فدل على أن هذه الظاهرة بقيت موجودة الى ان غزى الفكر واللغة الاجنبيان بلادنا ودخلت العربية مع هذا الغزو المشؤوم في صراع مرير .

فهذا ظهير (اي مرسوم) ملكي كريم للسلطان الحسن الاول الى احد قواد المملكة يعلمه بوصول وفد التهنئة بعيد الاضحى الى حضرته العلية ، وما قوبل به من العناية والتكريم ، وما قام به الوفد من المشاركة في تلك التظاهرة الدينية والوطنية التي تنظم في العاصمة بهذه المناسبة .

ونصه بعد الافتتاح والطابع الشريف :

« خديمنا الارضى القائد (فلان) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وبعد وصل كتابك معلما بأنك أوفدت على حضرتنا العالية بالله ، من انبته عنك في شهود ايام الله ، والانخراط في سلك جيوش المسلمين عند اداء سبحة الضحى ، والبروز الى المصلى ضحى ، يوم النحر والاضحى . وما يتبع ذلك من باقي مشاهد الحضرات ، المفترة ثغورها عن درر هاتيك المسرات . فقد وفدوا مهللين ، وبالجا الى الله مبتهلين . وبمآزر السمع والطاعة لله ورسوله متوشحين ، وبحصيات اجمار في اعين الكسل رامحين ، ولهدي شعائر الامتثال مقلدين، وبامام مناسك الاهتداء مقتدين ، فوقفوا بعرفات الاطمئنان ، واغترفوا من بحر البر والامتنان ، ثم اصبحوا بمنى نيل المامول مخيمين ، ضاربين سرادق اليمن ، وبالضحايا مبررين مقيمين ، فانهالنا هم من مناهل الصفا معينا ، وبوأناهم من روض الرضا حصنا حصينا ، قصدا الى التشبه بذوي الفلاح ، فان التشبه بالكرام رباح ، فخلوا واحلوا بهاتيك الحضرات، وتسربلوا بنسيج اليمن على بساط المسرات ، واسفرنا اليهم عن وجه القبول ، وعاملناهم بالجميل في ذلك المثول ، وادوا الهدية ، وادوا ما حملتهم من آداب التهنئة ، ورجعوا مسرورين فائزين ، والقصبات السبق حائزين عوضكم الله بالخلف المتوال ، واصلحك واصلحهم ورضي عنك وعنهم وبارك في الزرع والضرع والرجال والسلام .

في 15 حجة الحرام عام 1302 هـ .. »

فهذا الظهير جمع من فنون البلاغة والبيان ما يدركه اهل العلم ويحتاج شرحه وتوضيحه الى كلام طويل ، والمهم انه فوق ان ينعت بالفصاحة وجريانه على قواعد العربية لغة ونحوا ، والبعد عن العامية والركاكة فأحرى العجمة ، بل هو قد حلق في افق النثر الفني والانشاء الرفيع المشتمل على صور واساليب من الاستعارة والكناية والتلميح وما الى ذلك من فن القول والبديع .

وهذا نموذج آخر احدث مما قبله ، وهو ظهير عزيزي للقائد المذكور قبله يأمره باستخلاص الزكاة ممن وجبت عليه : نصه بعد الافتتاح والطابع :

« خديمنا الارضى القائد (فلان) وفقك الله ، سلام عليك ورحمة الله ، وبعد فان فريضة الزكاة من اركان الدين المعتقدة ، ومن دعائم الاسلام الممهدة ، قد فرضها المولى سبحانه تزكية للاموال وتطهيرا للاعمال ، وتنمية للمكاسب ، وصيانة لها من المعاطب، واوجب على من كلفه استخلاصها من كل من وجبت

عليه ، وجعلها امانة تؤدى فى سبيلها المنسوبة اليه، وأوعد سبحانه مانعها بأليم المعاقبة ، وجاءت السنة باستخراجها من أهلها ولو بالمحاربة ، قال تعالى : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال تعالى فى وصف المؤمنين : « ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وذلك دين القيمة » . وقال صلى الله عليه وسلم : (من كان عنده ما يزكي ولم يزك سأل الرجعة يوم القيامة ، يعني قوله تعالى : « رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت » ؛ وعليه فنأمرك أن تلزم من بايالتك اداء ما أوجبه الله عليهم من الزكاة ، وتقوم على ساق الجد فى استيفائها منهم لتحل محلها قياما بما فرضه الله ، وهو سبحانه موفق الجميع لما فيه رضاه والسلام ،فى 27 ربيع الثاني عام 1317 هـ . . »

ويلاحظ تخفف هذا الظهير من حلية السجع انتهاجا لسبيل الترسيل الذي أصبح هو الاسلوب المفضل بعد ذلك .

ومثال ثالث وهو ظهير عزيزي ايضا فى موضوع وقد التهنئة بعيد المولد النبوي الذي وجهه القائد نفسه . ونصه بعد الافتتاح والطابع :

« خديمنا الارضى القائد (فلان) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصل كتابك بتوجيهك وفد تهنئتك لجنابنا العالي بالله ، بالموسم النبوي الانور ، الذي اسفر عن وجوه الاسعاد ثغره الباسم ، وفاح شذا انوار ميامنه باطيب النواسم وحضروا المشهد الذي تشرف بخلق ذي الخلق العظيم ، وعاينوا أمرا جليا من اسرار الله التي خص بها نبيه الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله ما تواصل الصدور بالورود ، وازدهت المواكب والكتائب بسيد الوجود ونالوا من دعائنا الصالح حظا وافرا ، وقاموا عنك بواجب النيابة قيام من كان بنفسه حاضرا ، أصلحك الله واصلحهم ورضي عنك وعنهم ، وعوضكم خير خلف ، وابعدكم عن موارد التلف ، والسلام .

فى 18 ربيع النبوي الانور عام 1320 » .

وهذا الظهير كأنه نسخة مختصرة من الظهير الاول وان كان الموضوع مختلفا .

ان هذه النماذج من الكتابة الراقية ، بقيت الى ما قبل الاستقلال أعني أيام السلاطين المرحومين مولاي حفيظ ومولاي يوسف وجلالة المغفور له بطل التحرير سيد محمد بن يوسف او محمد الخامس كما صار يدعى بعد الاستقلال ، والى اسلوبها الخاص فى الانشاء والتعبير عن مختلف الاغراض والمصالح، سواء ما كان يصدر منها عن القصر الملكي أم ما كان يصدر عن مختلف الوزارات من الصدارة فما دونها . فانها كانت تكتب بخط مغربي جميل من نفس الكاتب المنشىء ان كان حسن الخط او من كاتب ناسخ فقط انما وظف لجمال خطه ... وكانت سلطات الحماية تتجاوز هذا التقليد وتحاول التقليل من اهمية العربية، وتحارب تعليمها الا بمقدار ، وتعمل على مسخ كل ما يرجع لتثبيت أصالتنا واحياء تراثنا ، وبالاسف فان بعض ما سمت اليه من ذلك كان يتحقق ، وكنا نفزع الى جلالة العاهل الراحل طيب الله ثراه فيوقف الخطر ، كما نفزع الآن الى خليفته ووارث سره عندما تسول لبعض العابثين نفسه ، ان يتسور على حرمة العربية فى التعليم أو فى الادارة ، فيصدر امره بان يوقف المتسور عند حده ... والامر المنتظر والامل المعلق على جلالته هو انجاز التعريب الكامل الشامل للتعليم فى جميع مراحله وللادارة على اختلاف مصالحها وفى قطاعاتها الخاصة والعامة جريا على سنن اسلافه الكرام ، وتمسكا بتقاليد ملوك المغرب العظام فى الاخذ بضبع العربية واحلالها اعلى مقام . والله عز وجل يبقيه ذخرا للعروبة والاسلام ، وقرة عين لشعبه الوفي على الدوام .

طنجـــة : عبد الله كنون

عيد العرش الخمسون بعد ثلاثة قرون

حادث فريد وسعيد في تاريخ الدولة المغربية

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

تتطاول الانظار وتشرئب الاعناق في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي الى موعد اختتام القرن الرابع عشر ، وافتتاح القرن الخامس عشر ، من تاريخ الهجرة المحمدية ، على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام ، ويستعد الخاصة والعامة ، والحكومات والشعوب في دنيا الاسلام الواسعة ، لاستقبال هذا الحادث السعيد بما هو اهل له من التطور والتجديد ، والبناء والتشييد ، وبالاضافة الى هذه المناسبة الاسلامية العظيمة التي يستعد المغرب لاستقبالها اكرم استقبال ، ببالغ الحفاوة والاجلال ، ينفرد الشعب المغربي وحده في نفس الوقت بحلول مناسبة اخرى وطنية كريمة ، جديرة بالتأمل والاعتبار ، والتعرف على ما تركته في حياته من جليل الآثار ، الا وهي مرور ثلاثة قرون ونصف قرن على مبايعة المغاربة الاحرار للشرفاء العلويين الابرار . فقد سجل التاريخ المغربي ان أول بيعة شرعية بويع بها اول امير علوي من ابناء المولى (الشريف بن علي الشريف) كانت عام خمسين وألف بمدينة سجلماسة ، وكانت هذه البيعة للمولى محمد (بفتح الميم) وتتابعت بعده لاخيه المولى الرشيد ، فأخيه المولى اسماعيل ، ثم تسلسلت في اسرة الملوك العلويين ، حماة الوطن والدين ، وورثة المجد بكلتا اليدين . وها هي الاسرة العلوية الشريفة في عمرها الطويل المديد باذن الله تشرف على اتمام العام الثلاثمائة والخمسين ، جالسة على عرش هذا البلد الامين ، متمتعة بولاء ووفاء المغاربة اجمعين .

ولعل أي مؤرخ للدولة المغربية وعرشها الخالد لا يجد سابقة من هذا النوع لاية اسرة اخرى من الاسر المالكة التي تعاقبت على عرش المغرب خلال تاريخه الاسلامي الطويل ، بل لا يجد لها نظيرا حتى في تاريخ المغرب قبل الاسلام . الامر الذي يدعو الى التقصي العميق لاسرار هذه الظاهرة المغربية الكبرى ، وتحليلها بما هي اهل له من الدقة والنزاهة والموضوعية ، اذ مثل هذا الموضوع المتشابك الاطراف لا يسوغ التعلل لتبريره بمجرد الصدف ، ولا التوقف في تفسيره على ما جرت به الاقدار ، فالاقدار الالهية نفسها أقدار « حكيمة » ، ولها سنن ثابتة لا تتخلف ، وهي لا ترحم من تمرد عليها او حاول العبث بها ، (سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وتزداد هذه الظاهرة المغربية اهمية واثـــارة للتساؤل والاعجاب ، واحقية بالبحث والتحليل ، اذا وضعنا امام انظارنا الظروف الاستثنائية التي قامت فيها الدولة العلوية الشريفة ، وما واجهته في الداخل والخارج خلال هذه الفترة الطويلة من مشاكل متوالية لا نهاية لها ولا حصر ، فقد تسلمت مقاليد المغرب ، والشعب المغربي يجتاز اخطر الادوار التي عرفها في تاريخ حياته ، واوربا الطاغية المتطلعة الى السيطرة على العالم ، تجتاز اشد المراحل تعنتا وعدوانا ونهما وحبا في التوسع على حساب الغير ، ثم نجد بالرغم من ذلك كله ان الدولة العلوية الشريفة استطاعـت — بقيادتها الرشيدة ، وزعامتها الوحيدة ، للعناصر الصالحة في هذا الوطن — ان تخرج ظافرة منتصرة على عدد لا يحصى من الفتن الداخلية ، واستطاعـت ان تحرر المغرب من رق الاستعمار الدخيـل ، وان تحفظ للشعب المغربي كيانه السياسي والقومي كاملا غير منقوص ، فاستعاد في ظلها وحدته الوطنية التي اصبحت في مامن من التمزق والتصدع ، واستعـاد وحدته الترابية سليمـة من الغصـب والنهـب ، والاستيلاء والاستعلاء .

وبديهي ان هذه القرون الثلاثة ونصف القـرن من تاريخ المغرب كل لا يتجزأ من حيــاة الشعـب والعرش ، تقاسما فيها السراء والضراء ، والشـدة والرخاء ، وتبادلا خلالها مشاعر الحب والولاء والوفاء، فهي لذلك كله جديرة بالتمحيـص والاستقصـاء ، والتتبع والاستقصاء ، حتى تكون عنها اصدق فكرة ، ونستخلص منها للمستقبل انفع عبرة .

فما على حكومتنا الموقرة ، وبرلماننا الفتـي ، وشعبنا الابي ، الا ان يعدوا العـدة لاستقبال هـذه الذكرى الفريدة ، الى جانب استقبال القرن الخامس عشر الهجري ، وانه « لقران سعيـد » في مستوى « المغرب الجديد » .

الرباط : محمد المكي الناصري

"أنا سعيد لأنني أحمد الله على أن منحني عائلة طيبة ولأنني أحاول تربيتها وتثقيفها طبقاً لمبادئ ديننا ولغتنا وحضارتنا ، وأنا سعيد لأنني مقتنع بأنني بقدر الامكان وبقدر ما استطعت لم أعمل الا الجميل حولي ، وإنني لم أسئ ولم أخطئ ازاء أي أحد وأنا سعيد أخيراً لأنني أشعر أنني وسط شعبي وكما يقول ماو" كالسمكة في الماء" ."

الحسن الثاني

الأستاذ أحمد ابن سودة مستشار صاحب الجلالة في حديث مع "دعوة الحق" :

• تأسس العرش المغربي شركة مغربية - شرقية : أعطى الشرق أحسن ما عنده : الاسلام والعروبة وأعطى المغرب التربة والانسان

●● خص الاستاذ أحمد بن سودة مستشار صاحب الجلالة مجلة (دعوة الحق) بحديث هام عن مكانة العرش المغربي عبر التاريخ وجهود ملوك المغرب في سبيل الاسلام والعروبة والثقافة والحضارة .

قال الاستاذ بن سودة : ((لقد كان العرش المغربي من ناحية ، ثورة على أنظمة في الشرق لم يرض عنها ادريس الاول ، وكان من ناحية أخرى حركة تصحيحية للمسائل التي استنكرها ادريس واخوانه)) .

وفي معرض حديثه عن الخصائص المميزة للعرش المغربي منذ ادريس الى الحسن الثاني قال الاستاذ بن سودة : ((ان عروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم ، وان تيجان ملوكنا أعمالهم ومنجزاتهم ، وان صولجانهم أفكارهم وتوجيهاتهم ...)) .

وربط الاستاذ بن سودة بين جهاد المولى الحسن الاول وحفيده الحسن الثاني وانتهى الى القول أن عرشنا اليوم يسير على نفس الطريق الاسلامي العربي المستقيم الذي اختطه الملوك والفاتحون ورواد الفكر والحضارة العربية الاسلامية .

وفيما يلي النص الكامل لحديث الاستاذ أحمد بن سودة :

دعوة الحق : نرجو أن تحدثوا قراء المجلة عن موقع العرش المغربي من تاريخ الامة العربية والاسلامية انطلاقا من المقارنة بين نظام الحكم في المغرب وخصائصه ومميزاته وبين أنظمة الحكم في البلاد العربية قديما وحديثا .

أحمد بن سودة :

من اجل أن نعرف موقع العرش المغربي من تاريخ الامة العربية والاسلامية لا بد أن نرجع بعيدا الى الوراء فالعرش المغربي تأسس في الوقت الذي أخذت الخلافات تهز كيان الخلافة الاسلامية على عهد هارون الرشيد . فلقد قامت حروب بين العباسيين وأبناء عمهم العلويين وبالاخص المعركة التي تعرف

بمعركة « فخ » التي شارك فيها المولى ادريس الاول واستطاع ان يفر ويصل الى مدينة وليلي وان يستقطب حوله القبائل المغربية ، تلك القبائل التي حاربت كثيرا من الفاتحين الذين وردوا على المغرب ، والذين كان المغاربة يتخوفون من وجودهم كغزاة فاتحين . كان حضور ادريس الاول الى المغرب وحيدا مجردا من كل سلاح لا يحيط به الجند وانما يحمل في قلبه ايمانا بالله وفي يده كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكان عزبا فتزوج من بنت زعيم القبيلة . ثم ترك هذه الحياة مخلفا وراءه جنينا في بطن امه المغربية ، حتى اذا ولد الطفل اعطي اسم والده ، وتربى في وسط قبيلة امه ، وهكذا تأسس العرش المغربي شركة مغربية شرقية ، اعطى الشرق احسن ما عنده : الاسلام والقرءان ، واعطى المغرب التربة والانسان .

وهكذا كان العرش المغربي من ناحية ثورة على انظمة في الشرق لم يرض عنها ادريس ، وكان من ناحية اخرى حركة تصحيحية للمسائل التي استنكرها ادريس واخوانه العلويون .

ومن هنا اصبح العرش ركيزة واساسا لتكوين الامة المغربية ؛ اتحدت الامة حوله ، فتكونت الوحدة المغربية القوية المتينة : وحدة الدين ، ووحدة المذهب ، ووحدة الطريقة ، وبهاته الوحدة الاختيارية حول العرش وبالعرش تكونت الدولة المغربية القوية الراسخة .

وبمجرد ما تمكنت الدولة واستكملت جميع عناصرها الضرورية للعمل والحركة اخذت تقوم برسالتها الدينية والحضارية ، فتارة شمالا لامداد المسلمين في الاندلس وحمايتهم من الصليبيين الذين كانوا يتآمرون ضدهم ، وتارة جنوبا عند اخواننا الافارقة لدعوتهم لدين الله وحمل مشعل الحضارة العربية الاسلامية الى هاته الربوع .

فالعرش المغربي — اذن — من أول تأسيسه كان تصحيحا للاوضاع والتزاما بحمل مشعل رسالة الاسلام . وبهذه الوحدة استطاع المغرب ان يقف في وجه كل الاعاصير . فلئن كان الصليبيون استطاعوا ان ينظموا اكثر من 15 حملة صليبية في الشرق العربي حول بيت المقدس وبلاد الشام ، فان المغرب بفضل قيادة عرشه ووحدته حول هذا العرش استطاع بالرغم من قربه من اوروبا ان يقف سدا مانعا لحماية ارض الاسلام والمسلمين في شمال افريقيا . فبفضل العرش والجالسين عليه استطاع العرب والمسلمون ان يبقوا في الاندلس اكثرمن 8 قرون ، وبفضل المعارك التي خاضها العرش المغربي على ارضه استطاع ان ينزل أقصى الضربات بالمعتدين الذين ارادوا بعد ان استردوا الاندلس ان يطاردوا المسلمين المغاربة في عقر دارهم . ولكن العرش المغربي استطاع ان يلقنهم درسا قاسيا في معركة وادي المخازن . والسبب في كل هذا ان العرش المغربي والقائمين عليه لم يكونوا مثل ملوك بعض الدول الغربية قديما وحديثا . ولم تكن لهم مميزات ولا خصائص تميزهم عن بقية الشعب . ومن هنا يغلط كثير من اليساريين وكثير من الشباب الذين لا يعرفون تاريخ بلادهم ولا حقيقة عرشهم الا من خلال ما قدم اليهم من طرف الكتاب والمؤلفين الاجانب ولو درسوا طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ انشائه لرأوا أن اكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة اعدهم اباؤهم أحسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة امتهم وزعامتها . وكانوا يكونونهم تكوينا شعبيا ويربونهم تربية قاسية وصعبة حتى يكونوا اهلا لقيادة شعوبهم . وكانوا ملتصقين بالامة . واستمرت هذه التقاليد من عهد ادريس الاول الى يومنا هذا .

فملوك المغرب من عهد ادريس الاول سنة 172هـ لم يكونوا يتميزون عن الناس بعرش ولا تاج ولا صولجان ، كما كان يتميز القياصرة والاكاسرة وجل الملوك والرؤساء في القديم . وحتى ملابسهم لم تكن تتميز عن ملابس العلماء والقضاة وسراة الناس . فهي لا تعدو قفطانا ومنصورية وكساء وسلهاما وشاشية وعمامة . وهذا اللباس كان مباحا لجميع الناس .

ان عروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم ، وان تيجان ملوكنا أعمالهم ومنجزاتهم ، وان صولجانهم افكارهم وتوجيهاتهم . وكان الملك يتميز بمسؤوليته الكبرى على راس الدولة ، فهو في ساعة الخطر يسير على رأس جنوده ، وعند الصدام والالتحام يكون في المقدمة . وبالامس القريب كان الملك الصالح محمد الخامس قدس الله روحه اول من ضحى وفدى في سبيل حرية بلاده واستقلالها . ومنذ سنتين كان وارث سره الحسن الثاني اول سائر في المسيرة الخضراء المظفرة ، وفي ساعة السلم يشتغل الملوك

بالبناء والانماء . وفي حياة الملك الخاصة يكون دائما محفوفا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى ، وقلما يتغذى او يتعشى وحده . فلقد جرت العادة ان يتناول الطعام معه جماعة من الفضلاء يكون دورهم في العالم دور النصحاء والمستشارين . لهذا لم يخطيء احد المؤرخين حينما قال عن ملوك المغرب : « انهم اما محاربون او بناؤون » . ومن الاقوال المأثورة في حق السلطان المولى الحسن الاول ان عرشه كان على ظهر فرسه .

كانت همة ملوكنا ولا تزال هي تحقيق المآثر وتخليد المناقب وتسجيل المحامد ، فالعبقري ادريس الاول وابنه ادريس الثاني استطاعا ان يضعا الاسس المتينة لهذه الامة التي قامت برسالتها الانسانية والحضارية احسن قيام . ويوسف بن تاشفين هو الذي هزم « الفونس الثاني » ملك قشتالة واطال عمر الاسلام في الاندلس خمسة قرون اخرى ووحد الشمال الغربي للقارة الافريقية واسس المدارس والاحياء الجامعية وشجع الشعراء والكتاب والعلماء بالمغرب والاندلس على اعمالهم العلمية والادبية . ومثل يوسف بن تاشفين يعقوب بن المنصور وابو الحسن المريني والمنصور الذهبي ومولاي اسماعيل العلوي الذي حرر المغرب وطهر الموانيء من رجس الاستعمار ووحد الامة واعاد للعرش المغربي هيبته وللمغرب مكانته وسيدي محمد بن عبد الله الذي قام باصلاحات جذرية وقضى على الخرافات ودعا الى التمسك بالكتاب والسنة ووجه الرسل والسفراء الى الخارج . وكان في نفس الوقت ملكا قائدا ومصلحا رائدا ومفكرا بارعا . ولما تواطأ الاستعمار على استقلال المغرب ووحدته وسقطت كثير من الدول الاسلامية والعربية والافريقية تحت قبضته وقف المولى الحسن الاول مناورا محاورا واخر استعمار المغرب لمدة طويلة . وفي الوقت الذي كان يصد الاستعمار بيد كان يوجه البعوث والطلبة الى الخارج من اجل ان يهيء اطارا عصريا يستطيع به ان يطور البلاد وينقذها من المخاطر التي كانت تحيط بها . ومحمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ بالرغم من وجود العدو المغتصب في البلد بجيشه وشرطته واقتصاده استطاع ان يتحدى وان يقوم باصلاحات وان يهيء الاطر ، ففتح المدارس ودعا الى التعليم ، وقادة حركة الاستقلال والحرية ، وكان المضحي الاول والمقاوم الاول حتى حقق الاستقلال . وجلالة الحسن الثاني وارث هذه الامجاد من عهد ادريس الاول الى الآن خير مثال ونموذج لملك المغرب ، فلا فخفخة ولا فخامة زائدة ، لباسه بسيط في اناقة ، واكله صحي معتدل، وهمته في تربية ابنائه وابناء شعبه وتنمية وطنه ، هو المضحي الاول والباني الاول والسابق لكل مكرمة، كان بجانب والده مناضلا مكافحا ، وكان ساعده الايمن وكان ردءه وناصره ، وشريكه ومستشاره . عمل بجانبه من اجل الاستقلال وذاق بجانبه مرارة النفي والحرمان ، وعندما استرجعنا استقلالنا بنى مع البناة في طريق الوحدة ، وعندما هدمت اكادير تجند مع المتجندين للانقاذ ثم البناء ، وعندما نظم المسيرة الخضراء تولى قيادتها بحكمة ومهارة الى شاطيء السلامة واصلا سواد الليل ببياض النهار .

وهكذا ، وبهذا العرض البسيط يتضح ان المغرب كما خصه الله تعالى بموقع جغرافي ممتاز يسبح بين الاطلسي والبحر الابيض المتوسط وطراوة اوروبا وشمس افريقيا خصه الله سبحانه بعرش وملوك من نوع خاص فهم كما شرحت لا يتميزون عن شعوبهم بشيء . ميزتهم الاولى ان يتحملون العبء الاكبر والمسؤلية الكبرى باتصال مستمر مع الامة . فالملك تتركز فيه آمال الامة وآمانيها . وهذا هو السر الذي ضمن للعرش المغربي الاستمرار وللبلاد الاستقرار والازدهار ومكن المغرب من ان يقوم برسالته على كل الاصعدة مغربيا وعربيا وافريقيا واسلاميا ودوليا . فالمغرب بالرغم من تمسكه باستقلاله وغيرته على وحدته وكيانه كان دائما متفتحا على العالم . ونعتز باننا من الدول التي كانت لها سفارات وعلاقات دولية في السلم والحرب منذ ما يزيد عن الف سنة . ونعتز ايضا باننا نحن الذين حافظنا على كثير من التراث الاسلامي كالفسيفساء (الزليج) والنقش على الجبص والنقش على الخشب، وكثير من مظاهر الحضارة التي تدل على رقة الفن واصالته .

ونعتز ايضا اننا حافظنا على موسيقى الآلة . وهي موسيقى لا نزال نرددها بنفس النغمة والاداء والاشعار التي كانت تؤدى بها في الاندلس . نعتز ايضا بالمطبخ الذي كان غنيا منذ قرون حتى ان بعض المؤرخين كتبوا كتابا في الطبخ على عهد المرينيين أحصوا فيه 500 طجين . اما المكتبة المغربية ، فتحتفظ بتراث اسلامي وعربي مهم جدا . كل هذا حافظنا عليه كما حافظنا على حريتنا

واستقلالنا بفضل وحدتنا حول عرشنا الذي اسسه ادريس الاول على تقوى من الله ورضوان .

دعــوة الحــق :

بعد تحرير الصحراء المغربية استانف المغرب دوره الحضاري في الاشعاع الفكري عبر افريقيا والوطن العربي والاسلامي ، كيف تنظرون الى ابعاد هــذا الدور في الوقت الراهن .

أحمد بن سودة :

الواقع ان الدول الاستعمارية ادركت قبــل غيرها أهمية الصحراء المغربية بالنسبة الى قيـــام المغرب بدوره الحضاري العربي الاسلامي ، فلذلك وعندما عزم الاستعمار على احتلال المغرب كان اول عمل قام به انه احتل الصحراء الغربية حتى يقيـــم بيننا وبين اخواننا الموريطانيين والافارقـــة ســـدا يمنعنا من الاتصال بهم وتبادل المصالح فيما بيننـــا وبينهم وحتى يسهل عليه تطويقنا وعزلنا عن كل مدد ياتينا من اصدقائنا وجيراننا ، ولذلك عندما استرد المغرب استقلاله سنة 56 طالب بعودة كل اراضيــه اليه وبالاخص الصحراء الغربية . لكــن القــوات الاستعمارية التي تدرك أهمية الصحراء والدور الذي سيضطلع به المغرب هو واخوانه الموريطانيون من اعادة العلاقات القديمة بين الامة العربية والاخــوان الافارقة ناورت وبذلت كل الجهد حتى لا تعود هــذه الصحراء الى اصحابها ، ولكن بعــد ان تحــررت الصحراء واستكمل المغرب وحدته وكذلك الشقيقة موريطانيا قامت الجزائر بمناورات ومؤامرات مــن اجل التشويش على موريطانيا والمغرب ، ونسجــل هنا انه بالرغم من هذا التشويش فان المغرب استانف نشاطه وقامت بينه وبين كثير من الدول الافريقيــة علاقات جد طيبة وتعاون في كل الميادين كما نسجل ان الموقف الجزائري يخدم بكيفية مباشرة او غير مباشرة اعداء الحرية واعداء القضية الغربية ، لان هذه الجهود التي تصرفها الجزائر كان الاولى بها ان تصرفها في ميادين اخرى لخدمة القضايا العربيــة والافريقية ، ومهما يكن فان المغــرب مصمـــم على القيام بدوره الحضاري المؤهل له بتعاون وتبادل مع اخوانه في العالم الافريقي والعربي والاسلامي .

اما كيف ارى هذا الدور . اعتقد ان لنا مــن تاريخنا واصالتنا ما يجعلنا نستمر في تطور جامعة القرويين التي كانت منبعا للافارقة وممثلا للثقافـــة العربية الاسلامية والفكر الانساني الاصيل ومنـــارا للاشعاع الثقافي والادبي والعلمي عبر القارة الافريقية، بل وعلى امتداد القارة الاروبية ايضا كما هو مسجل ومحفوظ في كتب التاريخ . وكذلك الامر بالنسبـــة لكلية بن يوسف بمراكش ومعهد سمارة . فيجب ان نطور معاهدنا وجامعاتنا لتفتح ابوابها لاخواننا الافارقة وهو الدور الذي يواصله المغرب اليوم في عهــد جلالة الحسن الثاني ، حيث يفــد على جامعاتنـــا وبالاخص جامعة القرويين العتيدة ودار الحديـــث الحسنية مئات الطلبة والدارسين من مختلف البلاد الاسلامية في افريقيا وآسيا .

وبالاضافة الى ذلك ، يجب ان نمد اخواننـــا الافارقة بالاساتذة والمعلمين ونكثر من تزاور الشباب والمنظمات الشعبية على اختلاف انواعها .

أصول الاشعاع موجودة منذ القدم ، وعلينا ان نجعلها تناسب العصر الحديث .

دعــوة الحــق :

باعتباركم رجل فكـر وقلـم وخريج القرويين العتيدة كيف ترسمون صورة التوفيق بيــن الاسلام والحضارة الحديثة مع العلم ان المؤمرات ضد الاسلام بصفة خاصة بلغت ذروتها في هذا العصر .

أحمد بن سودة :

الواقع أن من يدرس الاسلام ويعرف حقيقته من منبعه الصحيح : الكتاب والسنة ، وما انتجه المفكرون الاسلاميون في عهد ازدهار الفكر الاسلامي في عصره الذهبي ، يعلم ان الاسلام لا يمكــن ابدا واطلاقا ان يتعارض مع الحياة العصرية التقنية الحديثة لكــن الاسلام لن يعيش ولن يتعايش في الماضـــي ولا في الحاضر مع مفاسد الحياة الحديثة .

ما هو الاسلام ؟ .. هو ايمان بأن هذا الكـون كله خاضع لقوة عظيمة هي الله . ما شكلها ؟ . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ومن هنا ولـدت فكرة الحرية المطلقة وفكرة المساواة المطلقة .

ولست أرى شيئا في الحياة الحديثة يمكن ان يتعارض مع الاسلام . الاسلام يامرك بأن تعبد الواحد الاحد . وان تومن بكل انبيائه وان تقوم بواجباتك . وقد اعطاك كل التسهيلات في كل ظرف من الظروف في الصلاة التي هي عماد الدين ؛ سمح لك ان تتجه الى اي اتجاه اذا تعذر عليك ضبط القبلة وان تقصر في صلاتك او تجمع اذا كنت مسافرا . ليس هناك أي شيء يتعارض مع الاسلام . لكن الاسلام يتعارض مع المفاسد التي تملأ الحياة العصرية ، والتي أصبحت مثار الانتقاد من الذين لا يؤمنون .

الحياة العصرية غارقة في الكحول . الاسـلام حرم الكحول . ولكن تتعالى اليوم الاصوات من كل اطراف العالم لتنذر الانسانية من أخطار هاته المادة التي تجعـل الانســان ينتحـر بتدرج . فكـل الامور التي ينهي عنها الاسلام قامت الدلائل القاطعة على انها خطيرة ومضرة للانسان عقليـا ونفسانيـا واجتماعيا واقتصاديا .

المشكل الحقيقي هو أن المسلمين لا يقومـون بدورهم الاساسي كمسلمين .

ان العالم الآن يتخبط ، والناس ناقمون رافضون متساوون سواء في المعسكر الشرقي او المعسكـر الغربي . وظن الناس أن بالانقلابات وتبديل الانظمة من يمين الى يسار سيحلون مشاكلهم . ولكن تبيـن بعد الانقلابات والانتقال من نظام الى نظام ان المشاكل لا تزال قائمة هنا وهناك .

المشكل الحقيقي ان الانسان من الناحية التقنية تفوق تفوقا كبيرا . وصل الى القمر وتعدى القمر . ولكن الانسان في حقيقته لـم يتغيـر ، فهـو لا يزال كما كان يحـب ويكـره ، يحقد ويبغـض ويحسد . فالمشكل هو البحث عن وجود توازن بين التفوق العلمي وحقيقة الانسـان .

ولن يوجد هذا الا في الاسلام نفسه فاذا تمسك المسلمون باسلامهم واظهروا فضائله وطبقوهـا على انفسهم سيصبح العالم الاسلامي هو المنبع والمـاء الفرات الذي يطفىء عطش الانسانية الحائرة التائهة .

وهنا ـ يجب ان أنبه ان الاسلام الذي ادعـو اليه ، هو الاسلام الحقيقي المتفتح الذي يقبل التطور ويعايش التطور لان سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم كان رجل الامس واليوم والغد ..

فيجب على المصلحين ألا يتمسكوا بالقشور بل يكونوا كالعلماء الذين قال فيهم الحديث النبـوي : « العلماء ورثة الانبياء ... الح الحديـث » فـلا يسدون طريق الحركة الاصلاحية بمواقفهم المتطرفة وان يدعوا الناس الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنـة .

عندي ان مشكلة العالـم الاسلامـي هـي ان المثقفين المسلمين قسمان : ـ قسم قرا الكتـب القديمة ووقف عندها ـ وقسم درس دراسة حديثة ووقف عندها . وكلاهما يضر بالقضية الاسلاميـة . **ولن يستقيم أمرنا الا عندما نخلق الرجل المثقـف الذي يستوعب تاريخ بلاده وتعاليم الاسلام والفقه وفي نفس الوقت يدرس العلوم الحديثة حتى يستطيـع أن يخاطب الشباب والنـاس بلغـة عصرهـم .** ونحمد الله سبحانه وتعالى على انه يوجـد بالمغرب وفي العالم الاسلامي نواة من هؤلاء الرجال وهذه هي المدرسة المحمدية التي انجبت لنا جلالة الحسـن الثاني والتي كان قد أسسها محمد الخامس رحمه الله لتكون مدرسة نموذجية يجب ان تعمم في المغرب .

دعـوة الحـق :

مارستم الصحافة فترة طويلة ما رأيكم في الدور الذي تؤديه مجلة (دعـوة الحـق) على الصعيدين الداخلي والخارجي

أحمد بن سودة :

أنتهز هذه الفرصة لانوه بمجلة دعوة الحق فانها سفارة متنقلة تعطي عن المغرب وجها مشرقا وتعكس صورة نعتز بها ونفخر . ففي رحلاتي المتعددة وفي ممارستي للعمل بالخارج كسفير مدة 5 سنوات وفي جميع المؤتمرات التي حضرتها عندما كنت بالمشرق العربي كنت أسمع الكثير الطيب من الاطراء والتنويه والتقدير لهذه المجلة ، والتي اصبحـت محـورا

يستقطب حوله كثيرا من الكفاءات فى العالم الاسلامي والعربي .

غير انني أتمنى ان يكون فيها باب مستمر للتعريف بالدور الذي قام به المغاربة والعرب والمسلمون فى تاريخ الحضارة الانسانية ذلك ان جميع ابنائنا الذين تعلموا فى المعاهد الاجنبية والذين لا يزالون يتعلمون بكتب مدسوسة لا يعلمون شيئا عن تاريخ بلادهم وامتهم . فانا اتمنى فى هذا الباب الذي ادعو اليه ان يقدم الى شبابنا بكيفية مستمرة ما قدمناه فى الميدان الاقتصادي لان كثيرا من الشباب يبدأ الحياة والاقتصاد من ماركس ولينين . وكذلك فى علوم الكيمياء والطبيعيات والتاريخ لان الكتب التي تدرس تتجاهل نهائيا الدور الذي قام به العرب والمسلمون .

صحيح ان نشر هذا الباب باستمرار قد يستثقله البعض من المثقفين الفارغين ولكن ما دامت المجلة هي دعوة للحق وفى سبيل الحق فلا بد ان تطلع الشباب المثقف على الدور الحضاري الهائل الذي لعبه آباؤهم واجدادهم ، وكذا الرصيد الضخم الذي قدموه للعالم فى شتى المعارف وفروع الثقافة الانسانية وذلك حتى يكون لهم نعم الزاد فى مسيرة الحضارة الاسلامية الطويلة باذن الله .

" ان بلدنا بلد محب للسلام، كان دائماً داعية للسلام وسيبقى دعامة للسلام، لذا أريد منكم أن تنكبوا على مشاكل أمن بلدكم وطمأنينتها واطمئنانها، أن تنكبوا عليها بإمعان وإدراك للمسؤولية ذلك أن عملنا اليوم، وخطابي اليوم، ووجودكم هنا اليوم يشكل استفزازاً بل تحدياً لمدرسة الديكتاتورية ولمدرسة الحزب الوحيد، ولمدرسة الافقار الفكري حتى تتمكن بسهولة من السيطرة على الأفكار وعلى الجماعات والأفراد . "

الحسن الثاني

تلاعب الصليبية والصهيونية في الشرق العربي

للأستاذ الرحالي الفاروقي

كان من اهم الدواعي التي دعت الى تسطير هذه اللمحة التاريخية ، والدفعة الاخبارية ، الاشارة الى روح التعاون الموجود والمعقود بين الصليبية والصهيونية ، والرغبة في ربط الاحداث الماضية بالاحداث الجارية فى الشرق الاوسط ، لما يوجد بين الفريقين من تشام كما تتشام الخيل عند الالتقاء فى البداية وفى النهاية ، ومن تشابه فى القصد والارادة ، وفى الهدف والغاية .

وذلك ما اوحى بهذه الاسطورة الصليبية ، كما اوحى بها — ما نراه من تلاعب الصهيونية ، بمقدراتنا المادية ، ومقدساتنا الدينية ، وما وجب علينا بحكم الشريعة ، وقانون الطبيعة من استثارة مشاعر المسلمين واستجاشة صدورهم ، وتحريض المومنين على التضحية بانفسهم ، والاعانة للموتورين من اخوانهم ، فان ديار المسلمين واحدة ، وان تراث الاسلام شيء مشترك ، وقد قال الله جل وعلا : « وحرض المومنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد باسا واشد تنكيلا » فجاءت هذه الصفحة البطولية فى موضعها ومقامها ليستفيد اهل الغفلة من معانيها ومراميها ، وليتذكر ذوو اليقظة ان عناصر الشر التي كانت تعتدي وتخرب بالامس عادت اليوم الى شنشنتها وطبيعتها . واذا عادت وجب ان نعود لمناقشتها ومقاومتها كما قال الله جل علاه : « وان عدتم عدنا » وهذا تعليم وايماء الى مقابلة الاعتداء بالاعتداء ، كما صرح بذلك القرءان الكريم فى قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ولولا هذه العوامل القريبة والبعيدة الحاضرة والغائبة لكان من صواب القول وسداد الامر اننا لسنا فى مثل هذه الظروف المعبسة الوجوه والمخضبة بالدماء بحاجة الى تنسيق العبارات وتنميق الكلمات، فان الوقت أكثر واكبر من ذلك — الوقت وقت النضال والقصال — لا وقت التحدث عن شجاعة الرجال وبلاغة الاقوال ، لانهم وان كانوا قد تركوا لنا باقوالهم المنطقية ، وأفعالهم المرضية ، ما يستحقون به كل اجلال وتحية، فعلينا ان نخوض مثل ما خاضوا معركة الحياة والمصير جنبا الى جنب وقلبا الى قلب لنحفظ الدار، وندفع العار ، فالمقام مقام اعمال لا مقام اقوال ، ومجتمعنا الحاضر فى ضرورة الى الانجاز ، وليس فى حاجة الى الايجاز «اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون » .

ولقد كان اسلافنا الاولون ، يعملون أكثر مما يقولون ، وهذا بطل من ابطال الاسلام يقول فى تثبيت وجوده ، وتحريض جنوده ، وحمليم على الاقدام ، والزحف الى الامام : البحر وراءكم والعدو أمامكم ، وهذا بطل آخر يقول فى جوابه لاعدائه : الجواب ما ترون لا ما تسمعون ، وقديما اعتمد الآباء والاجداد ، فى حفظ التراث ودفع الطغاة على الابناء والاحفاد .

وعلى مصير هذه المعركة الضاريـــة ، يبنـــى تاريخ الاجيال الآتية ، ويسجل ما يكون من الانتصار أو الانتحار ، فليتداع المسلمون الى ميدان الملاكمة، وحاش لله أن يقبلوا المظالمة ، والله عز وجل يقول : «لا تظلمون ولا تظلمون» أي لا تظلمون احدا ولا تقبلون ان يظلمكم احد ، وليطلبوا الموت للحياة فان من مات فى سبيل الله وفى سبيل الحق حي وليس بميـــت كما قال الله سبحانه : « ولا تقولوا لمن يقتـــل فى سبيل الله اموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

ولقد خاطب الله المومنين منذ اربعة عشــر قرنا ان ياخذوا حذرهم ويعدوا عدتهم فيقول فى حالة الخوف وفى صلاة الخوف « وليأخـــذوا حذرهـــم واسلحتهم » كما يقول سبحانه « واعـــدوا لهم مـــا استطعتم من قوة » اي مادية ومعنوية ، والاعداد انما يكون فى عدان المحاجزة ، ولا يكون فى ابان المناجزة، حتى لا يفاجأ الحق بالباطل ويميل عليه ميلة واحدة . وكل معركة فلا غنى لها عن استعداد واعداد ، وعـــن تدريب واسناد ، ولن يكسبها المتكامل والمتغافـــل والمتخاذل .

اما الصليبية والصهيونية فعرقهما متاصـــل الجذور ، ولكنها جذور شجرة خبيثة ونظامهما قائم على حقد الصـدور ، ولكنه حقد عداوة شديدة .

ويوم قامت الصليبية بالتذبيح والتحريق وانواع الابادة باسم سيدنا عيسى كانت الصهيونيـــة مـــن ورائها ، وكانت تشير اليها بيدها ، وعند ما كشفت الصهيونية عن وجهها ، وكشرت عن أنيابها ، ظهرت الصليبية بجانبها ، لانها قرينتها وشقيقتها ، وهـــي لا تشبع من سفك الدماء ، ولا من خراب البنـــاء ، وهكذا كان كفر الصليبية ، وكفر الصهيونية ، وكفر المجوسية كفرا واحدا متاخذا ومرتبطا بعضه ببعض.

واذا اراد العرب والمسلمـــون الآخـــرون ان يخلصوا الارض المقدسة والمسجد المقدس من هذا الكفر المتواطيء ، وان يتخلصوا من طغيان الصهيونية وسلطان الصليبية فليحتذوا حذو صلاح الدين الايوبي رحمه الله الذي اعلى كلمة الاسلام ، ورفع رايتـــه الخفاقة ، واقام شريعته السباقة ، والذي جاهد فى سبيل الله جهاد الكماة الابطال ، وناجز باسم التوحيد الكفر والضلال ، حتى ارهب اعداءه واخاف اضداده واسترد بلاده ، وايومنوا بوحدة نضالهم ووحـــدة أوطانهم ووحدة مصيرهم ، وبهذا كله استطاع صلاح الدين ان ينتصر على الصليبيين وان يعيد العزة الى بيت المقدس والى المسلمين .

واذا دندنت هذه الصفحة على السيرة الصلاحية والهمة الايمانية ، فلانها كانت صفحة الايمان القوي ، والاسلام النقي ، وصفحة النضال المستمر ، والقتال المستمر وصفحة العزة والكرامة ، والغيرة والشهامة، وصفحة الشهادة والسعادة ، والفتح والنصر .

لقد مر على بيت المقدس الذي يمثل ولايـــة فلسطين وتتشرف به ، والذي يسميه الاسلام المسجد الاقصا وينوه به ، والذي يهدده الطغيان مـــن — آن لآخر ، ويسعى الى تخريبه — اطوار تاريخية وادوار عسكرية منذ ان اقام معالمه ، وشيد هياكله سليمان ابن داود عليهما السلام — وقد تخلل هذه الاطـــوار والادوار الاسرائيليون ، والبابليون والفاريسيـــون واليونانيون والرومانيون ، الى ان طلع فجر الاســـلام بجزيرة العرب وظهر نوره بربوعها ، واشتهـــر امره بجوانبها ، وجاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانتزعه المسلمون من يد الرومانيين عمـــلا باشارة كتابهم ، وتحقيقا لبشارة نبيهم صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك حضر عمر رضي الله عنه بنفسه، عند فتحه ، وأذن بلال رضي الله عنه على سطحه .

وعند ذلك سأل عمر رضي الله عنه عن الصخرة فأرى مكانها ، وقد علاها الزبل والتـــراب ، فكشف عنها وأزال الحجاب ، وبنى عليها مسجدا بعيدا مـــن فنون الحضارة ، وفنون الزخرفة ، ثم احتفل الوليد ابن عبد الملك فى تشييد مسجده بمـــا شاء مـــن الاحتفال ، وسار فى مساجد مكة والمدينة ودمشق على هذا المنوال ، وكانت العرب تسميه بلاط الوليد لما أحاط به من معاني التشييد ، قال المؤرخون : الزم الوليد ملك الروم أن يبعث العملة لبنـــاء هـــذه المساجد وتنميقها بالفسيفساء ، فتم بناؤها على نحو ما أراده الوليد من التسامي فى الزخرفة والانشاء .

ولما ضعف أمر الخلافة آخر خمسمائة عام من الهجرة النبوية ، وكانت يومئذ فى ايدى العبيديـــين خلفاء القاهرة من الشيعة ، زحف الافرنج الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه سائر ثغور الشام ، وبنوا على صخرته المقدسة كنيسة كانوا يفتخرون ببنائها .

ولما استقل صلاح الدين رحمه الله بملك مصر والشام محا اثر العبيديين وما خلفوه من بدائع الدنيا، وزحف الى الشام وحارب من كان به من الافرنج حتى استرجع بيت المقدس وما اخذوه من الثغور ، وذلك فى سنة 580 من هجره سيد المرسلين ، وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخره وبنى عليها المسجد . وظل النفوذ ظاهرا فى هذه الناحية على اساس المعاملة الطيبة ، والمساكنة السلمية ، الى ان جاء دور الاستعمار الخبيث فقسم الشام اقساما على عادته ، وطبق مبداه - فرق تسد - ولعب فى فلسطين لعبته الاخيرة التي واطد بها امر اليهودية والصهيونية ، وذلك اثر من آثار الحروب الصليبية ، التي ما زالت تنبعث من حين لآخر ، والتي ما انفكت تعمل فى السر والخفاء ، وعلى ذلك ظهرت اسرائيل فى مسرح الحكم والسياسة فقام العرب فى وجهها ولكن كان امر الله قدرا مقدورا .

ثم اتسعت اطماعها وازدادت مخططاتها ، واستعملت اساليب الغدر والمكر وساء عملها ، وهي لا تعتمد فى الغصب والتعدي على ذاتها وقوتها ، وانما تعتمد على شيوخ الاستعمار الذين كانوا سببا مباشرا فى تركيزها ، من أصدقائها المعروفين ، وحلفائها المشهورين ، الذين يظهرون للسلام بمظاهرهم ، ويعملون لحرب بباطنهم ، وكل ميسر لما خلق لاجله ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

ولقد كان تاريخ الاسرائيليين مليئا بالعلو والافساد ، وبالمناورات والمغامرات كما قص الله ذلك على العباد فى سورة الاسراء ، الى المسجد الاقصا ، فقد خالفوا احكام التوراة وافسدوا فى الارض مرتين ، فسلط الله عليهم من عباده الاشداء الاقوياء من شتت شملهم وفرق جمعهم ، وخرب مسجدهم ونزع منهم الدولة والسلطان وهم البابليون بقيادة بختنصر ، والرومانيون بقيادة اسبيانوس ، وافسدوا مرة ثالثة ورابعة ، وفى كل مرة كانوا يلقون جزاءهم ، وها هم الآن يفسدون فى ارض فلسطين مستعلين ومستكبرين ، والله يقول لهم « وان عدتم عدنا » وهذا انذار لهم من الله سبحانه ان عادوا الى الافساد عاد الله الى الانتقام ، والله على كل شيء قدير .

هذه نتفة يسيرة من تاريخ القدس الشريف وخبر بني اسرائيل المخالفين لكتابهم والمفسدين فى الارض بعلوهم واستكبارهم .

وأما صلاح الدين الذي حرر المسجد الاقصا من سيطرة الاعداء ، فهو ابو المظفر **يوسف بن ايوب** الايوبي الكردي الملك الناصر صاحب الديار المصرية والشامية المولود سنة 532 كان رحمه الله مشهود الذكر ، وجليل القدر ، وواسع الصدر ، وواسطة العقد ، ذا راي وتدبير وبصر وتقدير ، وكان متواضعا قريبا من الناس رحيما بهم كثير المداراة والاحتمال ، وكان يحب اهل العلم والفضل ، ويحسن اليهم بالقول والفعل ، وكان ميالا بطبعه الى السمو والكمال ، تلوح عليه مخايل السعادة ، وملامح النجابة ، وتعلم فى أوليته طرائق الخير والمعروف ، ووسائل الاجتهاد فى امور الجهاد ، من نور الدين محمود بن عماد الدين صاحب دمشق حينما كان ملازما لصحبته ، ومن عمه اسد الدين ، وقد كان فى خدمته ، وقائدا من قواده، ومشاركا له فى الحركات والوقعات التي ادت الى امتلاك الديار المصرية ، ولما مات عمه أسد الدين استقرت الامور بيد صلاح الدين ، وتمهدت له القواعد والحصون ، ومشت الاوضاع على احسن ما يكون ، وسلك سياسة البذل والعطاء ، فبذل الاموال وملك قلوب الرجال ، وهانت عنده الدنيا وشكر نعمة الله عليه ، واشتغل بمعونة الله وطاعته ، وأعرض عن اللهو واللعب ، والزور والكذب ، وتقمص بقميص الجد والاجتهاد ، وما زال قائما على قدم الصدق وحب الخير والحق الى أن اختاره الله للقائه ، ولما ادخر له من جزائه .

وكان رحمه الله يجالس أهل الظاهر والباطن ، ويحادث اهل الخير والدين والناس يهرعون اليه من الاقارب والاجانب ، ويفدون عليه من كل صوب وجانب وهو لا يخيب قاصدا ، ولا يعدم وافدا .

ومنذ استتب له الامر بالديار المصرية وهو يشن الغارات على الافرنج بجميع قواته ، ويمطر الناس بسحائب نعمته ، ولما علم الافرنج ما تم له من رسوخ الملك وثبوت الطاعة ادركوا أنه سيملك بلادهم ويخرب ديارهم ، ويقلع آثارهم بما له من القوة والمكانة ، فاجتمع الافرنج والروم وقصدوا دمياط من الديار المصرية بما يملكون من ادوات ومعدات ، فاستعد صلاح الدين رحمه الله لهم بما يملك من عتاد وقوات ، وبما يفيض من عطايا وهبات ، ثم نزل الافرنج عليها ، واشتد زحفهم وقتالهم بها ، وهو رحمه الله يشن الغارات تلو الغارات من الخارج والعسكر يقاتل من الداخل حتى نصر الله المسلمين

بسياسته ، واستقرت القواعد كلها بيده ، ورحلوا عنها خائبين وخاسرين ، بعد أن نهبت اموالهم ، وسبيت رجالهم ، واشتدت حسرتهم ، وفي سنة 569 استولى على الشام شيئا فشيئا واجتمع الناس اليه ، وفرحوا بمجيئه ومقدمه ، وأنفق في ذلك اليوم أموالا جزيلة ، واعطى عطايا كثيرة ، وتتابعت المعارك في السواحل بين المومنين والكافرين ، حتى احتل رحمه الله سائر الثغور والحصون ، التي كانت تحيط بالقدس الشريف ، ثم شمر رحمه الله عن ساق الجد ، وجمع الجيوش المتفرقة ، وقصد بيت المقدس معتمدا على نصر الله وعونه ، ومنتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : من فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه ، وكان نزوله رحمه الله على بيت المقدس في الخامس عشر من رجب سنة 583 ، وكان فتحه له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة 583 ، وقد لاحظ الناس هذا الاتفاق الغريب والسر العجيب كيف يسر الله عودة بيت المقدس الى حوزة المسلمين في مثل زمن الاسراء بنبي المسلمين ، صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا الفتح شيئا عظيما شهده من ذوي العلم والزهد ، وارباب السياسة والحكم خلق كثير وعالم كبير .

ولقد قدر بعض الخبراء الذين حضروا هذه الواقعة أن الجيوش الذين فتحوا بيت المقدس يزيد على ستين الف من الخيالة والرجالة .

نسأل الله العلي العظيم أن يفتحه على المسلمين من جديد ، وما ذلك على الله ببعيد ، وان يهيء للمسلمين لتقبل الفداء في سبيله ، والعزم القوي على تخليصه من ايد الاعادي ، باجتماع السواعد والايادي .

وبعد ، فغير خاف على من له اتصال بالماجريات ، واطلاع على الوقائع والاحداث ان المغرب الاقصى بعناية ملكه الهمام ، وقيادة بطله المقدام ، امير المومنين جلالة الحسن الثاني رائد النهضة وقائد النجدة ، قد تجاوب بسرعة مع حوادث الشرق الاوسط وشارك في دفع الحملة الصهيونية الموجهة ضد الدول العربية ، بمبادرته الى ارسال تجريدة عسكرية ، من خيرة الضباط وجنود القوات الملكية ، فرابطت باثقالها في مواجهة قوة الاعداء ، وانجدت ببسالتها الاخوة الاشقاء ، بالجولان والضفة الغربية وسيناء ، ويتتابع الدعم في هذا المجال ، كلما دعت الظروف واقتضاه الحال ـ كما ناصر سياسة منظمة التحرير الفلسطينية ، ودافع عن حقوقها الشرعية والانسانية ، في المؤتمرات الاقليمية والمنظمات الدولية ، وبهذا اثبت المغرب مشاركته الفعالة ومساعدته المنطقية في حرب الصهيونية الماكرة والصليبية الكافرة .

الا انه خاض حربا تحريرية ومصيرية بصبر ومصابرة ، وحزم ومثابرة ، فاخترع بعبقريته المسيرة الخضراء ، التي عادت تاريخيا واصبحت ذكرى . وقادها بحنكته في اقبح جو وأوسع فضاء ، حتى حررت اقاليم الصحراء ، ووقفت حجر عثرة في طريق الاهواء .

وها هو الرائد والقائد ينهض بكل ما تتطلبه الحاجات والضرورات ، وما تفرضه المناوءات والمفاجئات ، ويصعد في ابتناء السدود والروادف ، وتشريف المحافل والمواقف ، علاوة على انه يتحدى المؤامرات الفاشلة ، ويطارد المرتزقة والسافلة ، ويفضح الدعايات الكاذبة ، وهاهم أصحاب الاطماع الفارغة ، يتلونون في عالمهم ، ويتناقضون في منطقهم ، ويتلاعبون في خوضهم وباطلهم حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

الرحالي الفاروق

الحسن الثاني
رجل العدل والانصاف

لالأستاذ أحمد مجيد بن جلون

تشرق مرة اخرى شمس البشرى على أرض الطموح ، تحية لعاهل عظيم ، وملك مصلح قويم ، عاهد فأوفى وأقسم فأنجز لأنه المؤمن الصالح ولأن « لله رجالا لو أقسموا عليه لأبرهم » .

بعد أيام سيعيش المغرب قاطبة يوما من أعز أيامه ، وذكرى من أغلى وأجل ما يفتخر به ، حدثا يشكل قاعدة منطلقه ، وفرصة سانحة لكل مواطن غيور على مقدساته ، للتعبير عن شكره وامتنانه ، وحبوره وافتخاره ، بملك محبوب أرسى قواعد استقرار طموحه ، واستمرار اطمئنانه ، فرسم وخطط ، وعبأ وجند ، واختار أحسن السبل حتى كانت المسيرة المظفرة والانطلاقة المباركة .

بعد أيام ستعود ذكرى ذلك اليوم المشهود الذي بايعت فيه أمتنا ملكا طموحا وقائدا محنكا ورائدا متبصرا فكانت على حق في بيعتها ، وإن لم تجعل منها سوى تزكية لشعور ثابت وغريزة راسخة استمدت عناصرها من أصول تاريخها العريق وجذور تقاليدها المجيدة التي صنعها المجهود المشترك وصقلها التحام مستمر لشعب شغوف بعرش متطلع سموح ومتجرد .

منذ أن جلس الحسن الثاني العظيم على عرش أسلافه الميامين ، وتسلم مقاليد المسؤولية ، وقبل تحمل عبء القيادة ، ورضي خدمة شعبه الوفي ، نسجها خيوطا ذهبية ، ونظمها دررا غالية ، بتوجيهاته النيرة ، كما صمم لتحقيق الهدف فأنجز حر ما وعد به. فكان نماؤنا عبر الشهور والسنوات ، وكانت تلك الحملة الخالدة ضد التخلف المادي والفكري . فتحققت النتائج رغم كل التحديات وضد كل الصعوبات .

وكم يطول الرجوع الى ما سبق انجازه والى سرد ما خططته عبقرية ملكنا الرائد وحققته ارادة عاهلنا الشفوق .

انها ملحمة تتكلم عناصرها بنفسها على كل شبر من أرض الوطن ، في كل اقليم بخصائصه ، وفي كل ناحية بحاجياتها ، وفي كل بلد بمعطياته ومميزاته . ان كل عمل من أعمال الحسن الثاني ، وكل مبادرة قام بها ، وكل توجيه أسداه لرعيته ، يستحق التفسير والتحليل ، والتنويه والتبجيل ، لأننا نعيش النتائج التي هي أكبر دليل على جدوى الاختيار وحسن التدبير .

لقد وجه جلالته مجهوده نحو جميع الميادين ، فكان المعبر الصادق عن طموحنا ، والمحقق النزيه لمرامينا ، والموجه الغيور للمستقبل الذي نريده لجيلنا ولأبنائنا .

فكانت توجيهاته حكما لن يتخلى المستقبل البعيد عن صلاحية مقاصدها وفاعلية تنفيذها وأصالة منطلقهـا .

ان الحسن الثاني ، وهو الملك الصالح ، لهو كذلك القانوني المتضلع الذي أخذ من الشريعة أصول اختياراته ، فأبرز الحقيقة كما يجب أن تكون ، واستخلص العبرة الهادفة من معطيات مختلفة وحيثيات ربما كانت متباينة ، فعرف كيف يأخذ من بين المبادىء ما هو صالح للمجتمع مغربي ، أصيل له تقاليد معروفة وعوائد راسخة .

لقد تكلم أخيرا جلالته حفظه الله على العدل أمام نخبة هي أحسن ماأنجبه في عصرنا الفكر العربي والاسلامي في هذا الميدان ، فكان الخطيب الفصيح والمرشد القويم . ففسر وحلل ، وذكر بأن الاسلام يأمر بالعدل ، ولكنه كذلك يأمر بالاحسان الذي يتجلى عمليا فيما يسميه القانون العصري بالانصاف ، معبرا بذلك عن تمسكه بما يفرضه ديننا الحنيف ، مصدقا لقوله تعالى ، وهو أصدق القائلين : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) .

في بضع جمل فسر فاقنع ، وبين فاعجز ، وسلط أضواء كاشفة على مبدأ قار ، فكان تفسيره مرة أخرى توجيها سليما في اطار صلب التشريع ، ومعطيات الضمير ، وما تفرضه الاخلاق ، وما يحتاج اليه المجتمع الانساني في هذا الظرف الحرج الذي أصبحت فيه المبادىء عرضة للتأويل المغرض أو التسلط العنيد .

انه مثال من بين الأمثلة التي كان من الممكن التصدي لها قصد التعريف بعبقرية الحسن العظيم التي لا تحتاج في الحقيقة الى تعريف .

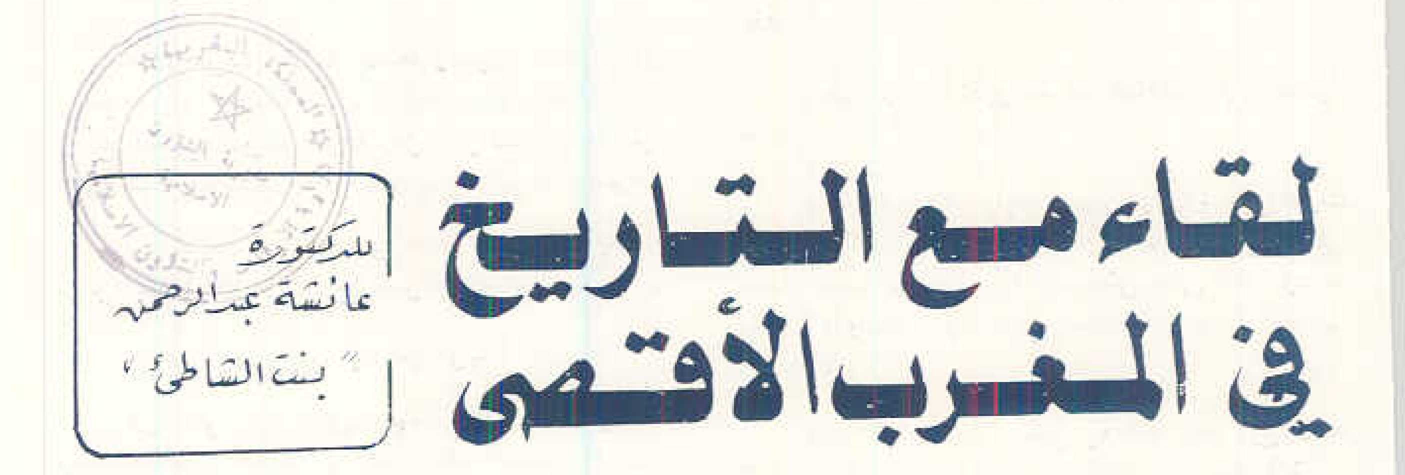
انه الحسن ، ملك المغرب ، الغيور على كرامة شعبه ، المتشبث بمبادىء خالقه ، الساهر على حرية أمته ، المدافع على حوزة وطنه .

انه المسلم الذي لا يتردد في نصرة اخوانه .
انه الانسان الذي يؤمن بالانسانية ويخدمها .
انه ملكنا المحبوب ، سليل ملوكنا الميامين ، وأبو ملوكنا المهتدين ـ ان شـاء الله ـ بقدوته الصالحـة .

أبقاه الله ذخرا وملاذا لشعبه الوفي ، وجعل أمتنا تحتفل بعشرات الذكريات لتربعه على عرش أجداده المقدسين ، انه نعم المولى ونعم النصير .

أحمد مجيد بن جلون





« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى»

من ليلة القدر ، فى احتفال المغرب المشهود بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، بدا هذا اللقاء الذي امتد سنين عددا ، ، حتى شهدت المسيرة التاريخية الى الصحراء المغربية .

اكتب عنه اليوم من ذاكرتي ، لا ارجع فيه الى مدونات رسمية او اعلامية وصحافية ، فلقد كنت شاهدة من شهود هذا العصر ، فحسبي ان ادون ما رسخ فى وعيي من مشاهد لقائي مع التاريخ فى المغرب ، دون ما مر بي من احداث عابرة لم الق اليها بالا ، فما لبثت ان تاهت فى غيابات النسيان .

. . . .

لم اكن من هذا اللقاء على موعد ،

بل لعلي كنت اقرب الى يأس منه ، حين فوجئت ، فى منتصف شهر رمضان سنة 1387 ـ ديسمبر 1967 ، بالدعوة الى المهرجان القرآني الكبير بالمغرب ، وانا وقتئذ على وشك السفر الى السودان فى رحلتي الموسمية ، استاذا زائرا لجامعة ام درمان الاسلامية .

وكان ذلك هو ظاهر عذري الذي ابديته للسيد الكريم سفير المغرب بمصر .

ووراءه كانت موانع اخرى قاهرة ، كرهت معها الظهور فى محافل عامة ، ووطني جريح مقهور ، واهلي فى حداد عام على ضحايا رحلة الموت الى صحراء سيناء فى يونيه المشئوم من تلك السنة .

والعلاقات الثقافية بين المغرب ومصر ، مقطوعة البتة ، منذ الموقف الشاذ من قضية الحدود المغربية مع الجزائر .

. . . .

لكن الله سبحانه ، اراد لي ان اتجه الى المغرب لشهود المهرجان ، من حيث لم اتوقع ولم احتسب .

ودون ان يخطر لي على بال ، انني بسبيل تحول حاسم فى مسار خطاي ومجرى حياتي العلمية ، او انني على موعد لقاء مع التاريخ فى ربوع المغرب الاقصى . . .

* * *

الدعوة كانت موجهة الينا باسم جلالة الملك الحسن الثاني ، عاهل المغرب ورئيس الاحتفال القرآني الكبير وراعيه .

واثر وصولنا ، دعينا للقاء جلالته ، فى القصر الملكي بالرباط .

(*) مقال موجز ، من كتاب فى سفرين عن هذا اللقاء مع التاريخ ، لم يبق على انجازه سوى الفصل الاخير

وتهييت ذلك اللقاء :

كنت أعرف جلالته سماعا وصورة ، فاراه على البعد أصيل السمت نبيل الطلعة مرهف الذكـــاء ، والمح فيه مع شرف العرق وعز العراقـــة ، فتـــوة الفروسية وعناد الارادة والتحدي ، وكبرياء النخوة .

لم أستبعد ان أكون فى هذه الرؤية على بعد ، متأثرة بما قرأت من تاريخ اسرته العلوية الشريفة .

فكيف تكون رؤيتي اياه من قرب ؟

هل القي فيه سمي سيدنا الحسن السبط ، وحفيد المولى ادريس والشريـــف الحسن الاول ، وخلف المولى اسماعيل ، وابن سيدي محمد الخامس، رضي الله عنهم ؟

او ينأى به عنى ، علو السلطان ، وابهة القصر ، وجاه التاج والصولجان ؟

والانتماء القومي لجلالة الملك الحسن الثاني ، اعرفـــــه .

فماذا عن انتمائه الفكري والثقافي ، بين اصيل ميراثه العريق ، وجواذب عصره وطموح شبابه ؟

ما موقفه في مفترق الطرق ، حيث تتشعـــب الدروب على ساحة بلده ، متصلة شرقا بوطنه العربي والعالم الاسلامي ، واصلة جنوبـــا الى قلب قارتنـــا الافريقية العتيقة السمراء ، مطلة شمالا وغربا على مداخل اوربا ومعبر الاطلسي الى أمريكا ؟

لم يطل بي التفكير فى هذا ومثله ، واذان الصلاة يرتفع عاليا من مآذن الرباط وسلا السامقة ، قبـــل شروق الشمس وعند الزوال واوان العصر ، ومـــع غروب الشمس وحين العشى ، فيؤنس مقامي بالمغرب اول عهدي به ، ويجلوه لبصيرتي ، قبل ان اعرفه من قرب : ملكا وشعبا ودارا ...

* * *

ثم حان الموعد ، ولقيت جلالة الملك ،

فوالله ما ادري حتى اليوم ، ما اذا كان محياه النبيل هو الذي شد اليه اهتمامي فشغلني عما حوله؟ او انني اتجهت اليه ببصيرتي ، ابتغي رؤية عاهـــل المغرب وحامل امانته ، لا التفرج على القصر الملكي الذي استقبلنا فيه ؟

ولعلي لو سئلت يومئذ عما شاهدت فى القصر، لما عرفت بم اجيب .

ذلك لاني ما ان رأيت سمي سيدنا ، حتى القيت اليه بالي كله ، فما شغلني عنه شاغل وانا اجتلي فى محياه قبسا من نور نبينا المصطفى صلى الله عليـــه وعلى آله وسلم ، واستروح نفحة زكيـــة من عطـــر شـــذاه .

فلما تكلم ، اخذ سمعي بمنطقه الحر وبيانـــه النقي ، ولعل ضيوفا آخرين اخذهم مثل ما اخذني ، والحظ جلالته أن مائدته تنتظرنا ، فدعانا اليهـــا : « بسم الله »

واخذ مكانه بيننا فى غير تكليف ، يرحب بكل منا ويسأله عن الجديد من بحوثه ومؤلفاته ، وعـــن هموم بلده وشواغل قومه ، عن دراية راسخة بهـــا . فما لبث الحديث أن افضت بنا شجونه الى نكبـــة الاجتياح الصهيوني لديارنا ، همنا الشاغل ، وازمتنا المعقدة الكبرى . فقال جلالته ، فيما اذكر :

« انها بالنسبة الينا جميعا ، من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، ازمة وجود ومصيـــر . نكون أو لا نكون » .

سألته على استحياء ، مثلما سألت من لقيت مـــن قادة الفكر السياسي :

— فماذا ترى لنا يا صاحب الجلالة ؟

واصغيت الى جوابه :

« ان نعرف اولا ، اللواء الذي نخوض به المعركة، وذلك يقتضي أن نصحح مقولة كاذبة خاطئة : ان اليهود انتصروا على الاســـلام . نحن مـــا خضنا المعركة معهم بلواء الاسلام ، فى اي جولة من جولاتها ، ليقال ان الغلبة عليه كانت للعدو. ويظنون بالاسلام الظنونا ، وقد توزعتنا الويـــة شتى : مذهبية ، وعصبية ، واقليمية . تاريخنا شاهد على أن امتنا ما انهزمت قط فى معركة ، والاسلام لواؤها، فهلا جربنا أن نواجه العدو امة

واحدة ، لواؤها الاسلام ؟

ذلك كان رأيي ، صارحت به اخواني الرؤساء قادة دول المواجهة . وما زلت ارجو ان ينظروا فيه . والا فما مثلي ومثلهم الا كما قال شاعر بني جشـــم :

وما انا الا من غزية ان غوت
غويت ، وان ترشد غزية ارشد »

دعونا جميعا : حفظ الله جلالة الملك ، واعز به الاسلام وامته .

فتطلع الينا بنظرة رجاء ، يحملنا امانة اللواء فى الموقع العلمـــي .

وودعنا جلالته ، الى لقاء قريب ، ثاني ايام عيد فطرنـــا .

وفى موقف الوداع ، التقطت عيناى فى لحظة بصر خاطفة ، المشهد المهيب لعاهل المغرب ، يحف به رجال ديوانه ودولته وعلماء بلـــده ، فى سمتهم المتماثل وزيهم التقليدي الاصيل ، ناصع البياض...

وتحرك ركبنا تجاه نزل ضيافتنا ، وفى مسمعي رجع ايقاع لقصيدة « دريد بن الصمة الجشمي » التي تمثل جلالته ببيت منها ، لم يشا ان يكملها . فلمـــا وصلت فيما استرجعت منها الى قول دريد :

امرتهم امري بمنعرج اللـــوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى
. . . .

انقطع رجع الصدى بصوت مقرىء ، خشع لـه سمعي وفؤادي ، وهو يتلو فى مسجد القصر القريب من مدخلـــه :

« اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكـــم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مـــرض ما وعدنـــا الله ورسولـــه الا غـــرورا ... »

وغير بعيد من المسجد ، كانت جموع من المغاربـــة محتشدة عند ابواب « جامع السنة » ساعية لاقامـــة صلاة العشـــاء ...

* * *

من يومئذ ، بدا لقائي مع التاريخ فى المغرب .

رحلتي الاولى اليه ، لم تستغرق سوى عشرة ايام ، اذ كنت مرتبطة بزيارتي العلميـــة لجامعـــة ام درمان الاسلامية .

لكنها ، على قصرها ، غيرت مســـار خطـــاي ومجرى حياتي العلمية والفكرية .

ودعت المغرب ، وانا مشدودة اليه بوثاق ، فما لبثت ان عدت اليه بعد اشهر ، لاشارك فى الندوات الفكرية للمهرجان الذي امتد الى نهاية الموسم .

ثم فى العام الذي يليه ، شاركت فى المؤتمـــر التأسيسي للجامعات الاسلاميـــة بفاس ، ممثلـــة لجامعتي فيه ، ومقررة له ...

ومع الزملاء اعضاء المؤتمر ، شهدت مؤتمـــر القمة الاسلامي الاول فى الرباط .

غير أني احتجت الى أكثر من سنتين ، لانتـــزع نفسي من اهلي وداري وجامعتي وبلدي ، واتجه الى المغرب فآخذ مكاني فى جامعة القرويين ، تكليفا من جلالة الملك العالي بالله ، وتشريفا ...

* * *

على مدى سبع سنين ـــ من فاتح اكتوبر سنـــة 1970 الى ربيع سنة 1977 ـــ كان المغرب لي دارا ومدرسة ورباطا . وتأصل وجودي العلمي ، مع ابنائي طلاب الدراسات العليا بجامعة القرويـــيـــن ، الذيـــن التمست فيهم العوض عمن ثكلت وفارقت ، ورضيت من دنياى وآخرتي ، بأن أقدم الى المغرب والى امتي، كتيبة من صفوة جندها شباب علمـــاء القرويـــيـــن ، مرجوين لان يكونوا خير خلف لسلفهم الائمة الابرار الذين جعلوا من المغرب دار قرآن وحديث وفقـــه وسيرة ، وعربية وفلسفة وتصوف ...

وازددت معرفة بالمغرب من قرب ، ملكا وشعبا ودارا ؛ القى التاريخ فى رؤية مستوعبة لابعاد المكان ما بين غار حراء فى أم القرى ، ومضيق جبل طارق ، على مطل الاندلس ...

وابعاد الزمان ، من الفتح الاسلامي فى القرن الاول للهجرة ، الى المسيرة التاريخية المشهودة .

فماذا عساى ان اقدم فى مقالي هذا عن ذلك اللقاء الرحب ، مما ضاقت عنه مئات صفحات دونتها فى كتاب لي عنه، ينتظر الفصل الذي لا يريد ان ينتهي؟!

التاريخ الديني ، على وجه الشمول ، لقيته فى رباط الفتح وقلاع سلا ، وقواعد الموحدين والمرابطين والسعديين والعلويين ، ومعاقل الريف والاطلسي ، والحصون الاثرية للفرسان المجاهدين فى البحر تربصا بالعدو ، وثغور الحراسة من الغزو الصليبي ..

وفى الزوايا التاريخية التي كانت فى العصور الوسطى معسكرات لاعداد جند الاسلام ، ورباطا لتعبئة قوى جبهته المغربية ، مثلما كانت دورا رحبة لعلومه ، وخزانات عامرة بكنوز تراثه ، ومنارات يشع ضوؤها عبر البوادي والوديان والمروج ، الى أعالي القمم ونائي الثغور ...

ولقيته ، كذلك ، فى جامع القرويين ومزارات الائمة السبعة فى مراكش، والوف المساجد العامرة ، مبثوثة فى كل قرية ونجع ودرب وزقاق ، من ريف وبادية وحضر ......

* * *

والتاريخ العلمي ، لقيته دواما فيما كنت استرجع — كلما دخلت فى خشوع قاعة الدرس فى كلية الشريعة بفاس — من عطاء علماء السلف المغاربة، الذين كانوا أساتذة لي واسائر طلاب المدرسة الاسلامية فى مشرق أو مغرب ، ننهل من تراثهم على طول مراحل الطريق ، فنتعلم التجويد والقراءات على القاسم الشاطبي والداني ، والعربية على ابن سيده وابن مضاء والرضي الشاطبي وابن مالك ، والتفسير على ابن عطية والقرطبي وأبي حيان ، والحديث والسيرة على ابن عبد البر والقاضي عياض والحميدي والسهيلي والخشني والطلاعي وابن سيد الناس ، ثم اصول الاحكام على ابن حزم وابن الطلاع والقاضي ابي بكر ابن العربي، والتصوف والمنطق والفلسفة والتاريخ، على ابن عربي الشيخ محيي الدين ، والاخضري وابن طفيل وابن مسرة وابن رشد وابن خلدون ....

والقيته كذلك ، فيمن كرت بلقائهم من شيوخ القرويين ، بقية اولئك السلف الصالح من اعلامنا المغاربة رضي الله عنهم .

وفيمن صحبت بالجامعة الاسلامية العريقة ، من أبناء زملاء ، أثروا وجودي العلمي بما قرات معهم من حصاد سعيهم الكادح وجهادهم المبارك ، اجمع المادة العلمية من مغمور مخطوطاتها ومجهول مصادرها، لرسائل دراساتهم العليا التي اعتز بما انجزوه منها معي ، بفضل الله تعالى ومنه :

« الفقيه ابو علي اليوسي ، وعصره »

« الناسخ والمنسوخ ، للقاضي ابى بكر ابن العربي »

« المدرسة القرآنية فى المغرب : من الفتح الى ابن عطية »

« مختصر ابن ابى زمنين ، لتفسير يحيى بن سلام » اقدم تفسير مغربي وصل الينا .

« شرح الفقيه الحطاب ، لمنظومة ابن غازي ، فى نظائر رسالة ابن أبى زيد القيرواني »

« رسالة القضاء ، لعمر بن الخطاب رضي الله عنه » وقضية اتهامها ، واسانيد توثيقها من كتب السنن والحديث والمصطلح ، والفقه والاحكام والقضاء والتاريخ : مشرقية ومغربية .

« الصحابة الشعراء رضي الله عنهم »

ودليل الى ديوان شعرهم ، وقضايا الاسلام والشعر ، فى مصنفات القدامى ومقولات المستشرقين ودراسات المحدثين .

« الحافظ ابن سيد الناس ، ابو الفتح اليعمري»

ومخطوطات تراثه ، مجموعة فى مصورات من خزائن المغرب والاسكوريال ، والقاهرة والمدينة المنورة وعنيزة — بنجد — وتركيا وايران والهند ..

« الجرح والتعديل » في مدرسة الحديث بالمغرب »

« احكام عبد الحق الاشبيلي » في اوهام ابن القطان الفاسي » وتعقب ابن المواق المراكشي »

« الرواية المغربية للسيرة النبوية »

و « المصنفات المغربية للسيرة النبوية »

من الطبقة الاولى » الى نهاية القرن السادس للهجرة في المنشور من مطبوعاتها ، والمغمور من مخطوطاتها بخزائن المغرب والمشرق ، وما ضاع من تراث لهم فيها ، لم نقف له على اثر الا ذكره في مدونات علماء السلف .

« كتاب النبي صلى الله عليه وسلم » مقدمه الى يثرب » وموادعة يهودها »

توثيق وتحقيق ودراسة » للمعاهدة الاولى في تاريخ الاسلام

« الحلال والحرام » للوليدي »

و « صرف الهمة » الى تحقيق معنى الذمة ، لابي عبد الله المسناوي الدلائي » .

« اصول الفتوى على مذهب الامام مالك » لمحمد ابن حارث بن اسد الخشني »

« شواهد ابن عباس الشعرية » في مسائل ابن الأزرق »

. . . .

والله تعالى مرجو لان يزيدنا من كرمه وفضله ، بأن يهيىء سبل النشر لما في هذه الدراسات من صالحات باقيات تنفع الناس ، ولتطمئن أمتنا الى مذخور حيوية القرويين وخصبها ، وتشهد لمستوى هذا الجيل من علمائها الشباب ، اصالة ورسوخا .

ومنهم ، لله الحمد والمنة ، من جاوزني وجاوز طبقتي من الاساتذة الشيوخ . وذلك غاية ما رجوته اذ أستدبر الحياة ، هامة اليوم أو غد . . .

* * *

واما عن لقائي مع التاريخ في المغرب المعاصر ، فقد كنت شاهدة من شهوده ، ارقب احداثه من قرب ، واطالع مطبوعات مفكريه وأدبائه ، وأزور ما تسعف عليه شواغلي من معارضه الفنية وصناعاته التقليدية ، واتابع مواقف عاهل المغرب « جلالة الملك الحسن الثاني ، المؤيد بالله » في مركزه القيادي لجبهة الاسلام المغربية ، متصلة بميدانها العام على ساحة العالم الاسلامي والوطن العربي والقارة الافريقية ، في وحدة وجود ومصير . . .

وارصد من الموقع الفكري ، مع اصداء مواقف عاهل المغرب في الفكر السياسي الدولي لعالم اليوم ، ذرائع رد الفعل في جبهة العدو السافرة المكشوفة ، وفي أوكاره الخفية الناشبة في مواقع حساسة بأرجاء العالم الاسلامي مشرقه ومغربه ، وجنوده وعملائه الذين يجوسون خلال الديار ، متنكرين في شتى الاقنعة .

. . . .

على وهج نار الحريق التي سعرها الشيطان في المسجد الاقصى ، ثارت شعوب الامة الاسلامية في غضب جائح ، فكان ان تحرك رؤساؤها على رجاء استنقاذ مسرى خاتم النبيئين عليهم السلام ، أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وتقرر عقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، فكان الاجماع على انعقاده بالرباط ، في فاتح أكتوبر سنة 1969 ، والجو العالمي يهدد بشائعات مرجفة بتعذر أن يلتقي ملوك ورؤساء ، بينهم خصومات معلنة وعداوات مشبوبة ، وحواجز فاصلة بين متفاوت النظم ومتناكر المذاهب ، وفيهم حكام غير مسلمين ، لشعوب اسلامية : آسيوية وافريقية . . .

واستطاعت « الرباط » بجهود فذة ، أن تتخطى تلك العوائق المثبطة ، وأن تستقبل وفود المؤتمر في ميعاده المحدد .

قبله ، في الايام العشرة الاخيرة من سبتمبر ، كانت رحاب جامعة القرويين في فاس ، ملتقى ممثلي الجامعات الاسلامية في مؤتمرهم التاسيسي الذي دعت اليه العاصمة العلمية العريقة للمغرب الكبير ، على ان يختم المؤتمر اعماله ليلة افتتاح مؤتمر القمة الاسلامي ، ليشهده ممثلو الجامعات الاسلامية بدعوة من رئيسه « جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب » تقديرا من جلالته لخطر الموقع العلمي ،

وحرصا منه على أن يتيح للمؤتمر السياسي ، شهود رؤية من اساتذة الجامعات الاسلامية .

في « الرباط » كذلك ، عقد مؤتمر القمة الافريقي الاول ، ليتابع دوراته من بعد ، في العواصم الافريقية ، مستلهما « روح الرباط » التي رسخت الادراك لما بين الدول الافريقية والعربية والاسلامية ، من وحدة مصلحة ومصير ، ووجهت الى النضال المشترك في قضاياها ، وفي معارك استقلالها وتنميتها ، ودعم حركات التحرير لتصفية الاستعمار العسكري والاقتصادي والثقافي ، والخلاص من الاحتلال الاستيطاني ، وسحق القرصنة المصرية والتفرقة العنصرية ...

والجبهة المغربية تأخذ دورها في هذا كله ، دار رباط ومركز تعبئة ، ومعسكر جند وذخيرة لمعارك التحرير حيث تكون ، في ساحة الشرق الآسيوي الافريقي ...

* * *

ما كان من رد الفعل المضاد ، في الموقع السياسي والعسكري ، ذائع معروف .

لكن الاحداث لا تظهر للعيان في هذا الموقع ، الا بعد فترة تحضير واعداد لها في الخفاء ، تطول او تقصر ، يدأب فيها العدو بشتى الذرائع ، على حفر انفاق سرية الى ثغرات يترصد منها الفرصة المواتية للوثوب .

على نحو ما كان يجري خفية في الجبهة قبل جلاء المستعمر عن الصحراء المغربية : أغوت الفئة الباغية نفرا من الصحراويين ، المغامرين او المضللين ، وسهرت على تعبئتهم ليظهروا من مكامنهم عندما يحين الاوان ، فيعلنوا الحرب على اهليهم ويقاوموا تحرير الصحراء ....

* * *

وجدت مواقف واحداث ، كشفت عن صلابة جبهة المغرب ، وسلامة الموقع الديني منها :

في أوائل شهر ربيع الانور من سنة 1393 هـ ، كانت الربوع المغربية تتهيأ للاحتفال بالذكرى الخالدة للمولد النبوي ، وجرت التقاليد في المواسم الدينية الكبرى ، على أن يفتتحها جلالة الملك بخطاب الى شعبه ، يوجه فيه الى ما يليق بجلال الذكرى ، وما تتزود به الامة من عطائها .

في تلك الليلة الغراء ، كان خطاب جلالته استنفارا لجنده المومنين ، ليخرجوا مجاهدين فيرابطوا على خطوط النار من جهة المواجهة بالشرق الاوسط ، تأهبا لحرب مع العدو ، توقع جلالته بحدس فراسته المرهفة وبصيرته الثاقبة ، أنها على وشك ان تستعر هناك .

في أيام معدودات ، ضاق معسكر «أهرمومو» — على مقربة من فاس — بمن حولتهم اليه مراكز التطوع في انحاء المغرب ، وسخوا بانفسهم فداء للاسلام وامته ، وسخا بهم اهلوهم هدية غالية الى الحبيب المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، في ذكرى مولده الميمون .

ومن معسكر التجمع والتدريب ، ساروا باسلحتهم وزادهم الى جبهة المواجهة ، واهازيج حفلات وداعهم ، تغلب ما كانت تلغو به أبواق الاعلام الحاقدة والماجورة والمضللة ، من تفكه « بمسرحية التعبئة لقتال لن يكون ابدا » وتندر « بمظاهرة جهاد وهمي ، ضد عدو جبار ، هيهات أن يجرؤ المشارقة والمغاربة مجتمعين على مواجهته ، بعد وطأته الساحقة للجيوش العربية ، في بضع ساعات من سادس يونيه 1967 » .

بعد خمسة أشهر ، لا أكثر ، من مسير التجريدة المغربية الى الجبهة ، دوى نفير الحرب في اليوم العاشر من شهر رمضان 1373 هـ ، وشارك الجند المغاربة اخوانهم على ساحة سينا والجولان ، في قهر العدو الذي ارجف المرجفون انه لايقهر .

وصدقوا « ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

* * *

وكما حدث في المشرق بعد حرب رمضان الباسلة ، اشتد ضغط التيار الالحادي على هذه الجبهة الاسلامية الصامدة . وعنف الجدل بين يمين ويسار ، واحتد الصراع بين المدارس الفكرية

والثقافية المتناكرة ، مع شغب الخصومات الحزبية والعصبيـــة .

ثم ما ان اذيع الاعلان عن عرض قضية الصحراء المغربية على محكمة العـدل الدوليـة في لاهاي ، حتى استقطبت اهتمام المغاربة جميعا ، فكفوا تلقائيا عن الجدل المذهبي والحزبي ، وتناسوا ما بينهم من خصومة وخلاف ، فما يكتب كاتب ولا يتحدث خطيب أو محاضر ، الا عن قضية الصحراء : خدمة لملفها ، وتعقبا لاقوال الخصوم في المحكمة ، بالنقد والتمحيص والتفنيـــد .

كانت قضيتهم القومية الكبرى ، لا ريب .

وفى الناس من يفصلون بين قضايا القوميـة والعقيدة ، فهل كان احتشاد المغاربة لقضية الصحراء، ايذانا بتحول لوائهم العتيد ؟

ذلك ما ظنه بعض الراصدين للظاهرة ، عن جهل منهم بان العقيدة عنصر جوهـري فى الشخصيـة المغربية ، بل لعله آصل عناصرهـا فليس بحيث يتفك عن قوميتها ، اللهم فى حـالات فردية لمـن أضاعوا هويتهم ، بالمسخ أو بالشذوذ أو بالفتنة .

وجاءت المسيرة المغربية فجلت شبهات الظانين بالعقيدة الظنون ، وحسمت الشك باليقين .
ونسخت آيتها المبصرة ، بين ليل ونهار ، ما كان من جدل عقيم فى العقيدة والقومية ...

* * *

أعرف هؤلاء المغاربة .

ولي فيهم أهل وابناء أصحاب .

واعرف فيهم شموخ الاصالة وصدق النخـوة وعز الولاء والانتماء .

وحين سمعت جلالة الملك يذيع فى شعبه دعاء المسيرة ، كنت على يقين من استجابة الشعب لدعاء أمير المومنيـن .

لكن الذي حدث ، تحدى منطلق الخيال وابعاد التصـور :

بين عشية وضحاها ، كانت مكاتب التسجيـل للمسيرة فى انحاء المغرب ، قد اقفلت أبوابهـا دون مئات الوف من الضاغطين عليها طلبا لشرف التسجيل فى اللوائح التي استوفت فى بضع ساعات ، أكثر من العدد الذي طلبه امير المومنين من رعيته .

ولم تخرج المسيرة فى ذلك اليوم ، ولا فى أيام بعده ، لكن المغرب كلـه بدا فى حالـة تعبئـة فريدة ، لا يشغله شيء سوى انتظـار اشارة أميـر المومنين بالانطلاق .

فلما حان اليوم الموعود ، كان المشهد عجبا من العجـب :

المواكب التي خرجت من حواضـر المغـرب وريفه وجباله وبواديه ، اندمجت فى ركـب واحـد عندما وصلت الى مراكش ، قاعدة انطلاق المسيرة ومركز قيادتها العليا .

وسار الركب : مئات الوف من مختلف الطبقات والمدارس والمذاهب والاحزاب ، شيوخا وكهـولا وشبانا ، رجالا ونساء .

المصاحف فى أيديهم ،

والايمـان عدتهـم ،

والله ، والمصطفى وامته ، معهم .

واستقبلوا الصحراء بشوق مرهـب ، صفـا واحدا وقلبا واحدا ، فلما بلغوا صحراءهم ، تالقـت « العيون » بنور الركب المومن .

وعلى مرمى ابصارهم وقلوبهم ، توهجت الرمال الذهبية بوقدة اللهفة والحنين الى اللقاء ، بعد فراق طـال ...

وتطهرت بعرقهم ودموعهم .

وخشع الكون كله لمرآهم يخرون عليها ركعـا سجـدا .

واشرقت الارض بنور « الله أكبر »

وارتجت معاقل الاحتلال وحصونه ، تريـد ان تنقـض ...

وتعطلت طائراته التي كانت تحلق فوق الركب ، هادرة بالوعيد ، كانما اصابها شلل .

واجهزة الاعلام العصرية ، تنقل الى انحاء الدنيا، المشهد المهيب لركب المسيرة ، قد اتخـذوا من ارض صحرائهم المطهرة مسجدا ، واقاموا صـلاة

الجمعة على ساحتها المكشوفة الرحبة ، ليس بينهم وبين السماء حجاب من سقف أو جدار .

بلاغا الى الناس فى عالم اليوم ، ان أمتنا لم تفقد وعيها فى دوامة العصر ، ولا اضاعت لواءها فى هوج الاعاصير ...

* * *

من قريب وبعيد ، كنت املأ بصري من مشاهد المسيرة ، فألقي تاريخ امتي الذي قرأته من قبل فى مدونات ارخت لفتوح الاسلام ومعاركه مع أعدائه من كل جنس وملة ، فيما مضى من الزمان .

هكذا اذن كان واقع التاريخ المكتوب ؟

هكذا اذن كان أجدادنا المؤمنون يستجيبون لداعي الجهاد ، لا يرهبهم بأس عدو وكثرته وتفوق سلاحه ، ولا يترددون ريثما يحسبون مخاطر المعركة، بل كل حسابهم أن يظفروا باحدى الحسنيين ، فما يبالي أحدهم على اي جنب كان فى الله مصرعه ...

هكذا اذن ، انتصرت فى بدر ، القلة المؤمنة الصابرة ، على الكثرة الكافرة المزهوة بعددها وعدتها! هكذا ، تحددت موازين القوى من يوم بدر ، فى كل صراع بين حق وباطل ، فانتصرت كتائب الفتوح ، البدوية جندا وسلاحا ، على أباطرة الرومان واكاسرة الفرس وملوك العالم القديم ...

وانتصر آباؤنا الاميون ، وكتاب الاسلام نور بصائرهم ووعيهم ، على جبابرة الصليبيين ومردة التتر ، وطواغيت القراصنة والغزاة .

وجاءت المسيرة المشهودة ، فأعطت ذلك التاريخ كله ، تفسيره ومنطقه ...

* * *

عندما خلوت الى كتاب (لقائي مع التاريخ فى المغرب) لادون فيه صفحة المسيرة ، خطرت على بالي كلمة كنت قد سمعت جلالة « الملك الحسن الثاني ، المنصور بالله » يقولها غير مرة :

« انني اجس نبضي فاعرف نبض شعبي » .

وكتبت ، وموضعي غير بعيد من مركز قيادته للمسيرة بمراكش :

« فى نبضه أصغيت الى نبض شعبه .

وفى ضميره ، وجدت كذلك ضمير امته » .

ورضيتها خاتمة للكتاب .

لكنه لم يرد أن ينتهي ...

بعد المسيرة بستة اشهر على التحديد ، فى منتصف جمادى الاولى 1396 — مايو 1976 ، استأنفت كتابة فصل جديد ، يستهل بكلمة للملك الحسن الثاني العالي بالله ، فى وفود مؤتمر الجامعات الاسلامية ، عندما استقبلهم جلالته فى مراكش :

« علمني والدي ، رضي الله عنه ، ان احترم العلماء » .

. . . .

وسلام على المغرب ، ملكا ، وشعبا ودارا .

المسيرة الخضراء

أكبر حدث يشهده المغرب بعد الاستقلال

للأستاذ محمد المنوني

تعتبر « المسيرة الخضراء » ، حدث المغرب البارز بعد الاستقلال، لقد كانت مناسبة العمر لتجديـــد المغرب عزمانه لاسترداد صحرائه . وكانت فرصة ذهبية لاظهار المغاربة مدى تعلقهم بالصحراء السليبة.

وفي الوقت نفسه كانت نموذجا لتصميم المواطنين على استكمال وحدتهم الترابية ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات جسيمة بالنفس والمال والراحـــة .

جاءت « المسيرة الخضراء » لتعلن للعالم عربيه وغربيه أن المغاربة مهما كانت اتجاهاتهـــم ، فانهـم سرعان ما يتحدون ، وحول مليكهم يلتفون ، للوقوف صفا واحدا ، وللصمود جنبا الى جنب ، استجابة لداعي الوطن ، وتجاوبا مع مصلحة البلاد العليـــا ، وتلبية للنداء الملكي السامي .

جاءت « المسيرة الخضراء » ، لتعلن للعالـــم عربية وغربية ، أن شعور المغربي بواجبه ، هو الطابع اللامع لهذه الرقعة من العالم الاسلامي ، من القمة الى سائر طبقات المواطنين ، وهذا ما يعبر عنه تركيب المسيرة ، انطلاقا من الشبـــاب الى الكهـــول الى الشيوخ ، من رجل الشارع ، الى المثقف ، الى علية الموظفين ، الى الزعماء ، وعلى راس الجميع مليــك البلاد وحامي الوطن .

والمراة المغربية ـ بدورها ـ ساهمت بالحظ الكبير والنصيب الموفور ، وانتظمت ـ بحماس ـ في سلك المسيرة ، ولم تتخلف السيدة الحامل المقرب عن المشاركة ، فجاءها المخاض وهي تضطلـــع باداء الواجب ، ووضعت وليدها في خضم الوثبة الظافرة، ثم اختارت له من بين الاسماء اسم « المسيرة » ، ليبقى تذكارا خالدا لمشهد بطولة المغربيـــات ، الى جانب بطولات الجنس الموازي .

والى هذا فالمسيرة الخضراء ، منحت الفرصة المواتية للاشقاء والاصدقاء من الخارج ، فابـــدوا عواطفهم النبيلة نحو المغرب ، وساهموا في الحدث الكبير بالتشكيلات المرافقة ، وبالدعم المـــادي . وبالدفاع عن القضية العادلة في المحافل الدولية .

ومن جهة اخرى فان الشعار الاسلامي للمسيرة، اثار تعاليق هادفة صدرت عن كثير من الجهـــات ،

ونشير – من بينها – الى تصريح يقول فيه الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي :

« ان الالتقاء الاخوي بين رجال المسيرة واهل الصحراء، لهو – فى نظر الاسلام – الاستفتاء الحقيقي، للدلالة على اخوة الشعب الواحد ، وعلى رباط المعاهدة ، ووحدة الاباء والاجداد ، وفوق ذلك كله ، وحدة كلمة الامة الاسلامية فى هذه الرقعة من ارض الامة الاسلامية ، وان اي اجراء يختلف مع ذلك ترفضه الامة الاسلامية ولا توافق عليه ... » .

* * *

الان ونحن فى القسم الثاني من هذا العرض ، نشير الى طائفة من الاحداث المغربية جاء توقيت المسيرة موازيا لها : على مستوى العقود من السنين، أو على مستوى من القرون ، مراعين فى ذلك الحساب بالتاريخ الهجري :

تصادف سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف مرور عشرة اعوام ، على زيارة الملك الشهيد فيصل ابن عبد العزيز للمغرب ، وهو يدعو لاحياء تكتيل الامة الاسلامية وتالف شعوب المسلمين ، وهي المبادرة التي تبلورت – من بعد – فى مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد بالرباط .

تصادف سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف ، مرور عشرين عاما على عودة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس ، ثم اعلان استقلال المغرب .

عام 1395 هـ : يصادف مرور ثلاثين عاما على اطلاق سراح مجموعات من الوطنيين المعتقلين فى حوادث مطالبة المغرب باستقلال .

عام 1395 هـ : يصادف مرور اربعين عاما على بدء المواجهة السياسية مع الاستعمار ، عقب التجمع الوطني بالدار البيضاء فى رمضان 1355 هـ فى موضوع المطالب المستعجلة .

عام 1395 هـ : يصادف مرور خمسين عاما على انشاء جمعية الرابطة المغربية أو انصار الحقيقة ، وكانت احدى الخلايا الاولى لتكوين الوطنية المغربية، وتأسست يوم 22 محرم 1345 هـ .

عام 1395 هـ : يصادف مرور سبعين عاما على صدور اول عدد من جريدة « لسان المغرب » الصحيفة الوطنية المعروفة .

تصادف سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : مرور ثلاثة قرون على استرداد مدينة طنجة: وتحريرها من الاحتلال الانكليزي .

تصادف سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : مرور اربعة قرون ، على بدء استعدادات المنصور الذهبي لاسترجاع الصحراء المغربية .

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : تصادف مرور سبعة قرون على عمليات السلطان المريني : يوسف بن يعقوب ، فى سبيل استعادة وحدة المغرب الكبير .

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : تصادف مرور ثمانية قرون على ذكرى ملك مغربي عظيم : يعقوب المنصور بطل وقعة الارك ، وقد كانت مبايعته عام ثمانين وخمسمائة ، ثم توفي عام خمسة وتسعين وخمسمائة .

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : تصادف مرور تسعة قرون ، بعد ما كان يوسف بن تاشفين ، قد اتم توحيد المغرب مع الاندلس .

واخيرا : فان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والف : توافق مرور ثلاثة عشر قرنا ، بعد ان عاد القائد الاسلامي موسى بن نصير ، من المسيرة العربية الامازيغية لفتح الاندلس .

السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي رحمه الله

للدكتور محمد تقي الدين الهلالـــي

التمست مني ادارة مجلة «دعوة الحق» الغراء كعادتها كل سنة منذ زمان طويل كتابة مقال ينشر فى العدد الخاص بعيد العرش العلوي المجيد. واقترح على أن يكون المقال فى سيرة السلطان المكرم مولاي عبد العزيز ابن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن قدس الله ارواحهم . ولم ادر أين أجد ترجمة هذا الملك مع اني لقيته مرارا وتحدثت معه فى مجالـــس خاصة بطنجة فكلمت بالهاتف صديقي الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة وسالته أين أجد ترجمة وافية للسلطان المذكور . فأملى علي كلمة مختصرة مفيدة فى مولـــد صاحب الترجمة ووفاته أستفتح بها هذا المقـــال .

ولد السلطان مولاي عبد العزيز بن الحســـن العلوي سنة 1298 . وأمه شركسية اسمها السيدة رقية جلبها الحاج العربي بريشا التطواني احد خاصة السلطان مولاي الحسن والد صاحب الترجمة ، وبويع مولاي عبد العزيز بعد وفاة والده السلطـــان مولاي الحسن رحمه الله سنة 1311 وعمره اذ ذاك نحـــو اربع عشرة سنة وتنازل عن العرش لاخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ فى شهر رمضان سنة 1326 . وكانت وفاته فى صبيحة يوم ثامن جمادى الثانيـــة سنة 1362 ونقل الى فاس فدفن بضريح جده مولاي عبـــد الله .

وقال لي مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور : لا أعرف كتابا يشتمل على ترجمة السلطان مولاي عبد العزيز . ولكن كثيرا من اخباره مذكور فى ترجمة أحمد بن موسى الوزير فى تاريخ مكناس لمولاي عبد الرحمن بن زيدان فى الجزء الاول منه فتوجهت الى خزانة مكتب البلدية بمكناس ، وسالت مديرهـــا السيد احمد اجانا . ان يعيرني الجـــزء الاول مـــن الكتاب المذكور . فاعتذر لي عن اعارة الجـــزء الاول لانه مفقود ، وقال لي يمكنك ان تطالعه هنا وامـــرت تلميذي محمد بن سلام ، ان يبحث عن ترجمة احمد ابن موسى الوزير فوجدناها مطولة وفيها كثير مـــن اخبار المولى عبد العزيز ولكنها نتـــف مبعثـــرة ، ويستفاد من هذا الكتاب ان الوزير احمد بن موسى كان مسيطرا على السلطان مولاي عبد العزيز وهـــو الذي كان يحكم المغرب باسمه لصغر سنه وعـــدم استعداده وكان رجلا جازما ذا علم وذكاء وتمسـك بالدين الحنيف . وهو الذي بايع السلطان مـــولاي عبد العزيز بدون استشارة العلماء والاعيان كما جرت به العادة نص على ذلك مؤلف كتاب تاريـــخ العالـــم الحديث المقرر تدريسه فى المدارس الثانوية المغربية وكان زمان تولي هذا الســلطان مملوءا بالفتن والثورات. منها ثورة الريسوني فى الشمال وثورة ماء العينين فى

الجنوب ، والثورة العظمى التي هي ادهى وأمر ثورة الجلالي الزرهوني الملقب بأبي حمارة . وفي تاريخ مكناس انه لقب بذلك لانه كان في أول امره يركب أتانا وكانت ثورته في القسم الشرقي من المملكة وقد هزم جيش الحكومة هزائم فظيعة متوالية . وثورته هذه هي التي اضعفت الدولة المغربية وأوصلتها الى الحضيض . ومهدت الطريق لدول الاستعمار الاوربي وكانت الدولة الفرنسية مصممة على نصب الحبائل لاستعمار المغرب فبدات التدخل في شؤونه باستغلال ناحية الضعف الشديد في الدولة المغربية وهي الناحية المالية فان اموال الدولة المغربية كانت تتالف من الزكاة واخذ العشر من الحبوب فعرض الفرنسيون قروضا على الدولة المغربية لينقذوها بزعمهم من ضيقها المالي واقترحوا على السلطان ان يستبدل اخذ الاعشار والزكاة بفرض جباية ضرائب على الممتلكات من المواشي والبهائم والاراضي الزراعية وبضائع التجار المستوردة وغير ذلك ولكن الدولة كانت عاجزة عن اخذ الضرائب القديمة والجديدة على السواء بسبب اختلال الامن في كل مكان وعجز الجيش المغربي عن اخماد الثورات وتعميم الامن فكان الفرنسيون وغيرهم من الاوربيين اذا قتل الثوار او اللصوص واحدا منهم طالبوا وزارة المالية المغربية بدية فادحة ثقيلة ومقصودهم افقار الدولة المغربية لتشتد حاجتها الى المال ثم يعرضوا عليها المساعدة المالية ويتولوا هم بانفسهم جباية المكوس في المراسي وتلك وسيلة بل ذريعة من ذرائع المستعمرين فهذه الاسباب وهي اختلال الامن وفقر الدولة وعجز جيشها بسبب الهزائم التي اصيب بها من الثورات يضاف الى ذلك تنافس دول الاستعمار على استعمار المغرب الخصيب ثم تصالحهم على ان يسمح لايطاليا بالاستيلاء على ليبيا ويسمح لبريطانيا بالاستيلاء على مصر ، وتقتسم فرنسا واسبانيا الاراضي المغربية فتستولي اسبانيا على الجهة الموالية لارضها وهي الشمال وتجعل طنجة ونواحيها دولية وتستولي فرنسا على بقية اراضي المغرب وقد تم لهم هذا الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء المجاورة للمغرب من الاراضي الاسبانية. وكان ذلك سنة 1904 يضاف الى ذلك أن السلطان كان في أول امره طفلا . وكان الحاكم في المغرب الوزير احمد بن موسى . واول ما بدأ به هذا الوزير بعد استيلائه على الحكم الانتقام من الوزير الاكبر في زمان السلطان مولاي الحسن الحاج المعطي الجامعي واخيه محمد الصغير فحبس الحاج المعطي الى ان مات وحبس اخاه زمانا طويلا . وكان عليه أن يجهز الجيوش لاخماد الثورات وان يجتبي الاموال اللازمة لذلك وقد بذل في المحافظة على سلامة الدولة جهدا عظيما ولكن الامر كما قال الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمه

وقال آخر :

وما يصنع الباني وثمت هادم
فكيف ببان خلفه الف هادم

فهذه الاسباب كلها مجتمعة اضعفت دولة مولاي عبد العزيز وهناك سبب آخر لم نذكره وذلك ان السلطان مولاي عبد العزيز عمل بنصيحة الاوربيين اذ اخذ ببعض الانظمة الاوربية كفرض الضرائب والمكوس المعروفة مراكزها عند المغاربة (بالديوانات) وبعث الطلبة للدراسة في اروبا وتعيين بعض الفرنسيين في المراسي المغربية جباة للمكوس يضاف الى ذلك كون السلطان شابا فتيا لم تحنكه التجارب . وبايع بعضهم اخاه المولى عبد الحفيظ فاستولى على الحكم واستعد لحرب اخيه فتنازل عن الحكم حقنا للدماء لئلا يزداد الخرق اتساعا ووعد السلطان مولاي عبد الحفيظ الشعب المغربي باصلاح كل ما افسده الزمان والاعداء واخوه مولاي عبد العزيز فكان في وعده لهم كما قال الشاعر في عجوز متصابية :

عجوز ترجي أن تكون فتية
وقد لحب الجنبان واحدودب الدهر

تدس الى العطار سلعة اهلها
وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

كذلك كانت الدولة المغربية في ذلك الزمان ولا يستطيع مولاي عبد الحفيظ ان يرد لها شبابها . لان ذلك مكتوب عند الله لغيره الا وهو الملك الهمام الذي اجرى الله على يده المعجزات محمد بن يوسف الملقب بالخامس وسليله النابغة جلالة الملك الحسن الثاني الذي كان ردءا له وعضدا في تأسيس الدولة المغربية العصرية . وابدال تلك العجوز الشمطاء

الجيزبون بشابة جميلة فتية وهي الدولة الحاضرة وفق الله امامها لاستكمال رد شبابها . وشفاء عللها والله كريم . وما ذاك على الله بعزيز .

* * *

تنازل المولى عبد الحفيظ عن الملك ولم يقض فيه الا مدة يسيرة ذاق فيها الامرين . وخلفه اخوه مولاي يوسف وتوجه مولاي عبد الحفيظ الى المشرق وزار البيت الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام واحسن الى المعوزين من المغاربة فى تلك البلاد . ثم رجع الى اسبانيا وسكنها مدة من الزمان . واخبرني بعض اهل مجريط (مدريد) والعهدة عليه انه كان متبذرا فضاق رزقه فطلب الالتجاء الى فرنسا . فأجابته الى ما طلب . واجرت عليه راتبا الى ان توفى بها . واما السلطان مولاي يوسف رحمه الله فانه كان متمسكا بالدين محبا لاهل العلم مجالسه عامرة بالمذاكرات العلمية ، ومن مزاياه التي اطلعت عليها فى السنة التي اقمتها فى وجدة فى زمان حكمه وذلك ان الاديب الشاعر ذا التاليف العديدة الشيخ احمد الشكيرج دعاني وانا مستقر بالجزائر لتعليم ابنه السيد عبد الكريم السكيرج وابن اخيه السيد عبد السلام السكيرج الادب العربي فقد كتب الى قائلا : انا لا اثق باحد فى تعليم الادب لابني وابن اخي الا بك. وكانت الطريقة التجانية تجمعنا هو شيخ مقدم فيها وانا كنت متمسكا بها،حتى سنة 1340 للهجرة النبوية وفيها التقيت بالعالم الاديب المنقطع النظير المجاهد الوطني الذي وقف فى وجه الاستعمار الفرنسي بحزم وشجاعة فى وقت لم يكن احد فيه يستطيع ان ينبس ببنت شفة ، عصى امر المرشال اليوطي المستعمر الغشوم واغلظ له القول فنفاه من بلده سلا الى وجدة ، فى تلك السنة علمت ان السلطان مولاي يوسف رحمه الله اعتنى عناية منقطعة النظير بتوحيد الصوم والافطار بطريقة فقهية دقيقة . وبيان ذلك انه كلف جميع القضاة فيما كان يسمى بالمنطقة السلطانية من المغرب ان يصعدوا الى المنارات قبل غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان ومعهم المشهورون بحدة البصر فى ذلك البلد . وطبيب عيون ، وعالم فلكي . فاذا راى احد اولئك الرجال الهلال بعد ما يعين له الفلكي مطلعه ، يقول الطبيب اره رفقاءك فان راوه ابرق القاضي ومن معه من العدول الى السلطان بشهادتهم . وان رآه واحد ولم يره الآخرون فحص الطبيب عينيه وعيون رفقائه . فان وجده أقوى بصرا منهم أقره على شهادته واعترف بها . وان رآه مثلهم او دونهم فى الابصار رد شهادته وحكم عليه بالوهم . وفي نصف الليل تجتمع عند السلطان الحكيم مولاي يوسف بن الحسن رحمه الله برقيات كثيرة فيحكم هو وعلماؤه بالصيام او الافطار او عدمهما وهذا الصنيع لم اسمع به عن احد من الملوك ولا قراته فى كتاب وهو ابو البطل الاكبر الذي حرر الله على يده بمشاركة ولي عهده صاحب الجلالة الحسن الثاني جميع البلاد المغربية من العبودية من حدود شنقيط الى حدود مصر اذ لم يبل احد من الملوك والرؤساء بلاء يشبه ما ابلاه هذان المجاهدان فله ثم لهما يرجع الفضل فى استقلال المغرب الاقصى وموريطانيا والجزائر وتونس وليبيا ايضا . ولذلك لم تعجب شعوب العالم بجهاد رئيس او ملك فى هذا الزمان مثل ما اعجبت بسليل مولاي يوسف وحفيده ولا ينبئك مثل خبير ، فانني كنت مستوطنا العراق فى وقت تنازل المجاهد الاكبر محمد الخامس وولي عهده عن العرش الذي يخضع لاستعمار الاجانب الى المنفى القصي وتجرع مرارة الغربة والتجرد عن الجاه ، وكنت اسافر كل سنة الى الهند ثم سافرت الى أوربا ووجدت جميع الشعوب فى دهشة عظيمة بهذا العمل العظيم ، وبهذا العمل الجليل ارتفع عنا الذل نحن معشر المغاربة المبعدين عن وطننا فانني كلما لقيني انسان من أي جنس كان ، كان يسألني عن وطني . فاقول : انا من المغرب فيبادرني بقوله أنت من المغرب الفرنسي ام من المغرب الاسباني ، ام من طنجة الدولية ؟ فاقول ان المغرب مملكة واحدة عريقة فى الشرف فقدت استقلالها ، وسيعود لها ان شاء الله فيسخر مني ويضحك ويقول : دعنا من الاساطير البالية فلا اجد ما اجيب به وكذلك قال لي نائب رئيس الوزراء العراقي سنة 1934 ، بتاريخ النصارى، حين أراد أن يمنحني الجنسية العراقية فقال لي ما هي جنسيتك الحاضرة ؟ قلت مغربية . فقال لي هذا كلام فارغ قل فرنسية فاظلمت الدنيا فى عيني وغضبت ولم أعد ادرى من أخاطب فقلت له هل انت قبل سنتين أي قبل تحصيل الاستقلال الاسمى اللفظي كنت انجليزيا وكان معي الاستاذ كمال الدين الطائي من كبار علماء المذهب الحنفي فى بغداد فاعتذر لنائب رئيس الوزراء وجذبني حتى اخرجني من مكتبه ولامني لوما خفيفا على تلك الجراة . فقلت دعه يفعل ما يشاء ونسيت ان اقول اني قلت لذلك الرئيس فى وقت الغضب

«أمير شرفين» معناه الامبراطورية الشريفة فهل كتب عليه الامبراطورية الفرنسية فاكتفى ذلك الرجل فى الانتقام مني بأن كتب على اوراق الطلب التي شغلتني اربعة اشهر ، شهرين فى البصرة وشهرين فى بغداد كلمة — مرفوض — ووقع تحتها فلم تدم تلك الوزارة فى الحكم الا اثني عشر يوما ثم سقطت وكانت وزارة جميل المدفعي فجاءت بعدها وزارة علي جودة الايوبي ومنحتني الجنسية العراقية فى ثلاثة ايام بشفاعة صديق شهم . ومنذ ثار البطل العظيم محمد الخامس وسليله جلالة الملك الحسن الثاني على الاستعمار الفرنسي لم يعد أحد من أى جنس كان يتجرأ على السخرية منا معشر المغاربة المغتربين بل كان الناس ينظرون الينا بعين الاجلال والاكبار فاذا سئل الواحد منا عن وطنه فقال انا مغربي يبادره السائل انت من بلاد المجاهد محمد الخامس . لله دره ، ما رأينا ملكا مثله . ثار فى وجه الاستعمار واسترخص عرشه من اجل دينه ووطنه وهذا الامر لا يعرفه الا من ذاقه من المغتربين المبعدين عن وطنهم المغربي ، اما المغاربة الذين لم يبعدوا ولم يخالطوا الشعوب المختلفة فانهم وان كانوا مجمعين على اكبار عمل هذا المجاهد البطل فانهم لم يذوقوا ما ذقناه نحن من مرارة السخرية أولا وحلاوة التكريم بعد تلك الثورة المباركة فرحم الله المجاهد أبا الحسن وبارك فى المجاهد الحسن.

* * *

اجتماع كاتب هذا المقال بالسلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن رحمهما الله

كل ما كتبته من قبل فهو مما قرأته فى الكتب، أما ما احدث به الآن فهو حديث مشاهدة وسماع فى شهر مارس من سنة 1942 ، ارسلني الاستاذ المجاهد صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين الحسيني من برلين الى تطوان ، واتماما للفائدة اقول ، ان هذا الاستاذ المجاهد كان مع الاستاذ رشيد عالي الكيلاني نسبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمهما الله هكذا ينطق به اهل العراق بالكاف نسبة الى كيلان قرية من بلاد الاكراد فى شمال العراق ، أرسلني للاجتماع بالزعيم عبد الخالق الطريس لامر فيه مصلحة للمسلمين وكان سفري بجواز ارسله الى الزعيم المذكور من تطوان على اني من اهلها بعد ما نزعت مني الجنسية العراقية بائتمار كاذب بين سفير العراق فى روما مزاحم الباجه جي مع السفير الانكليزي فى روما بدون علم الحكومة العراقية لاني آذيت الحكومة الانكليزية بالاحاديث التي كنت القيها من اذاعة برلين العربية دفاعا عن وطني لا تكليفا من الالمانيين ولما وصلت الى تطوان كنت جاهلا بالاستعمار الاسباني والفرنسي وحاجتهما الى التملق وبدونه تعتريهم الشكوك فنزع مني مدير الشرطة الاسباني ذلك الجواز باعتباره انه مزور وقد بسطت هذا الخبر فى كتابي (الدعوة الى الله) فاضطررت ان ابقى فيما كان يسمى بالمنطقة الاسبانية فاضطررت الى البقاء فى تطوان وما حولها فيما كان يسمى بالمغرب الاسباني. من الاراضي المغربية الى سنة 1947 . حين تيسر لي الرجوع الى العراق . وفى هذه السنة سنة 1942 . اجتمع الزعيم عبد الخالق الطريس بالسلطان مولاي عبد العزيز الذي كان قد اتخذ طنجة مقرا له بعد اعتزال الملك فجاءني الزعيم عبد الخالق الطريس بتحية من السلطان مولاي عبد العزيز فعزمت على زيارته وقال لي الاستاذ عبد الخالق الطريس ما عليك الا ان تأتي وكيل مولاي عبد العزيز فى طنجة وهو يوصلك الى قصره فى الجبل بالسيارة فتلقاني رحمه الله بغاية الترحيب والفرح وقال لي كنت اسمع برحلتك الواسعة وكنت احب ان اراك فجلست عنده قدر ساعة وكان طويلا ابيض ذا لحية وافرة الا انها مقصوصة الاطراف فتحادثنا وحدثته بما جرى لي فى اسفاري ومحاربة الاستعمار الانكليزي والفرنسي اي دفاعي عن وطني وتحدثنا ايضا فى العقيدة السلفية فى توحيد الاسماء والصفات وتوحيد العبادة بالتبرؤ من عباد القبور . وتوحيد التوجه الى الله تعالى بلا واسطة . وتوحيد اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام بغير تقليد ولا تمذهب فوجدته راسخ العقيدة فى السلفية قدس الله روحه واخبرني ان استاذه فى العقيدة السلفية هو العالم السلفي المحدث المحقق الشيخ عبد الله السنوسي رحمه الله ، واخبار هذا الامام كانت معروفة عند اهل طنجة وشمال المغرب وسأذكر طرفا منها باختصار لان المقال قد طال واخاف أن هذا العدد الخاص من مجلة (دعوة الحق) الغراء لا يتسع له . من ذلك انه كان يعلن توحيد العبادة واتباع الكتاب والسنة فى جميع مجالسه وستعجب ايها القارىء اذا اخبرتك انني رويت كتب الحديث والاثبات عن شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الهندي ، مؤلف (تحفة الاحوذي

فيما شرح الترمذي) فى خمسة من المجلدات مع المقدمة وقد طبع ونشر ، وذكرني رحمه الله فى آخر المجلد الآخر عند ذكر القصيدة التي قرظت به الكتاب بطلب منه عن شيخ شيخنا الامام نذير حسين الدهلوي عن الشيخ محمد اسحاق الدهلوي الى آخر السند . ومن جملة شيوخ محمد اسحاق فى اسانيد الحديث الشيخ عبد الله السنوسي وبسط لي اخبره السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله . وقال لي فى جملة ما قال ان هذا الشيخ الامام لما حضرته الوفاة ترك خزانة كتبه عندي ولا أدري انا ما اصنع بهذه الخزانة وعند من اودعها لينتفع الناس بها دون ان تصل اليها أيدي لصوص الكتب ، فلم أبد له رأيا ولا اعرف الآن ما ذا جرى على هذه الخزانة واخبرني رحمه الله بأن كتبه هو تركها فى فاس .

ولقد حدثني الثقات من اهل طنجة ان المحدث الحجة الشيخ عبد الله السنوسي استاذ السلطان مولاي عبد العزيز سافر الى العرائش وكان له بها محبون يلتمسون منه زيارته لهم حينا بعد حين ليغترفوا من بحر علمه الغزير وكان له خادم جاهل بتوحيد العبادة فلما وصل الشيخ الى العرائش قال الخادم : (أحنا اضياف الله عندك يا للا منانة) معناه نحن ضيوف الله عندك يا سيدتنا منانة ، ومنانة اسم لوثن يعبده الجهال وهو ضريح للمرأة المذكورة فأسرها الشيخ فى نفسه وكان من عادة الشيخ أن ينزل عند احد المحبين ويذهب خادمه الى المقهى فيسمر فيه الى وقت النوم حتى اذا رجع يقدم له عشاؤه . اما فى تلك الليلة فقال الشيخ لاهل هذا البيت لا تتركوا للخادم عشاء فانه مدعو للعشاء عند بعض الناس ، فلما رجع وجلس ينتظر العشاء كالعادة قال له الشيخ كيف كان عشاء منانة عسى ان يكون جيدا ، فقال له الخادم يا سيدي أنا ما تعشيت فقال الشيخ يا عجبا انت طلبت الضيافة من منانة فكيف تركتك بلا عشاء اذهب لتنام فليس لك عشاء فى هذه الليلة جزاء لك على الشرك بالله . وحدثني العالم السلفي الورع التقي النقي الاستاذ الشيخ محمد أبو طالب رحمه الله هنا فى مكناس ان الفقهاء فى فاس كان لهم اجتماع فى الضريح الادريسي كعادتهم عندما تدعو الحاجة الى الاجتماع فلما انصرفوا من ذلك الاجتماع لقي أحدهم المحدث الامام عبد الله السنوسي فقال له يا سيدي كنا نرجو أن تحضر معنا فى ضريح مولاي ادريس فقال له أنت تعلم اني لا ادخل الاضرحة ولا اصلي فى المساجد المبنية عليها فقال له ان الشيخ خليلا اباح الصلاة فيها ونحن خليليون ، ان دخل خليل الجنة دخلنا معه وان دخل النار دخلناها معه .

ومن المعلوم ان اتخاذ المساجد على القبور بدعة منكرة ، روى البخاري ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذي مات فيه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا) . وروى مالك فى الموطأ عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) هكذا رواه مالك فى الموطأ مرسلا ، قال الحافظ بن عبد البر ووصله عمرو بن محمد فقال ، عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم . فزالت عنه علة الارسال وصلح للاحتجاج على ان هذا الحكم ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وأسانيد صحيحة تكاد تبلغ حد التواتر .

مكناس : محمد تقي الدين الهلالي



صفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي

الدور الطلائعي للمملكة المغربية في تحرير الانسان واقرار العدل بين الأمم

لو كانت هناك جائزة عالمية للسلام لمنحت للملك محمد الثالث .

للدكتور عبد الهادي التازي

في الوقت الذي كانت فيه ممالك اوربا ، منذ ثلاثة قرون تتباهى باعداد الرقيق الـذي تملـك ، وتتنافس على استعباد اكثر ما يمكن مـن الاسرى ، وفي الوقت الذي كانت فيه بعض الامبراطوريـات تمنح الميداليات الرفيعة للاميرلات الذين يتفوقون في أعمال القرصنة بعرض البحار ، في ذلـك الوقـت بالذات دوى صوت من المغرب الاقصى كان مفاجئـا لاولئك الذين كانوا يجدون في استغلال الانسان متعة ينعمون بها على حساب ذلك الانسان .

لقد أدرك الملوك في المغرب ، ان العودة الى الاصول الدينية التي تمنع الاستعبـاد ضروريـة للحفاظ على كرامة بني آدم ، ومن ثم كانت الخطوة اثر الخطوة من اجل القضاء نهائيا على كـل ما مـن شأنه ان يذل الانسان او ينال من شعوره وشرفه ، وقد تمت الخطوة الاولى ، في تطويق رق الانسـان وتقليص ظله ، على عهد الامبراطور المولى اسماعيل عندما حظر على الخواص تملك الانسان ومنعهم مـن القيام بممارسة التحكم في مصير البشر ، وارجاع امر من كانوا يسمون بالعبيد الى الدولة وحدها التي فتحت على عهد السلطان المذكور حوارا مع بعـض الدول الاوربية في شأن منح الحرية لمن يوجد هنا او هنـاك .

واذا كانت مساعي العاهل المغربي لم تصادف تجاوبا مع بلاط الملك لويس الرابع عشر فيما يتعلق بتفهم وضعية اولئك المعذبين ، فانه حصل على بعض التقدم في المفاوضات التي جرت في بلاط اسبانيـا بين السفير المغربي الوزير الغساني وبين الحكومة الاسبانيـة .

وقد ادركت الوفاة سلطان المغرب دون ان يصل الى نتيجة مع بعض ملوك اوربا الذين كانوا يرغبون في تحرير أسراهم ولكن دون أن يتنازلوا للافراج عـن الآخرين الذين كانوا يسخرونهم للقيام بالاعمال التـي لا يستطيع العامل الاوربي القيام بها ...

وعندما تولى الحكم بالمغرب السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل (المعروف في التاريخ الحديث بمحمد الثالث) قام بمبادرته المشهورة في أوربـا وامريكا حول تحرير الانسان ، اي انسان كان ، سواء اكان ينتمي للعالم الاسلامي او العالم المسيحـي أو العالـم اليهودي .

ويكفي أن نعرف منذ البداية ان ثلث ميزانيـة المغرب خصص للحملة ضد هذه الظاهرة المحزنـة التي كانت تسود العالم آنذاك ، كما يكفي ان نعرف أن معظم التحركات الدبلوماسية على عهد محمد الثالث كانت مركزة على تصفية الاستعباد حيثما كان بـل وللقضاء على الاسباب التي تؤدي الى الاستعباد وفي صدرها التسابق الى التسلح والاقدام على الحروب التي تدمر الانسانية وتعصف بالقيم الحضارية .

وبالرغم من الاهتمام الذي اولاه رجال القانون الخطوة العملاقة التي قام بها محمد الثالث في هذا الصدد ، فانني اشعر بانه ما يزال على الذين تهمهم حقوق الانسان ان يقوموا بدراسة اعمق لتقديم هذه الشخصية المغربية التي كان لها ـ منذ قرنين من الزمن ـ دور طلائعي في بناء علاقات الامم على أسس متينة من السلام والعدل والمحبة .

واعتقد انه لو كانت هناك جائزة عالمية للسلام تمنح على ذلك العهد لكان محمد الثالث اول شخصية دولية تستحق تلك الجائزة لما قام به من محاولات جريئة للتفاهم بين بني البشر قبل أن تكون هناك هيئات دولية يلجأ اليها الناس لفض مشاكلهم والتغلب على مصاعبهم .

لقد كتب ملك المغرب محمد الثالث الى كارلوس الثالث ملك اسبانيا سنة 1765 يقول له بالحرف

« انه لا يسعنا في ديننا اهمال الاسارى وتركهم في قيد الاسر ، ولا حجة في التغافل عنهم لمن ولاه الله الامر ، وفيما نظن انه لا يسعكم ذلك في دينكم ايضا »

وهكذا نجد ان العاهل المغربي ـ انطلاقا من معتقده الديني ومن نوازعه الانسانية ـ يناشد احد ملوك اوربا في ان يحترم كرامة الانسان .

وقد ارسل هذا الملك نفسه في السنة الموالية 1766 ببعثة سياسية الى مدريد كان على رأسها السفير احمد الغزال من اجل متابعة مضمون الرسالة السابقة والعمل على تحرير الاسرى المنتمين لكلتي الديانتين متخذا المبادرة باطلاق سراح عدد من المسيحيين الذين كانوا بالمملكة المغربية ..

وقد طالب السفير المغربي بالافراج فورا عن المعطوبين ووضع لائحة للاسرى المسلمين من اية جهة كانت ، وبالحصول على وعد من الملك كارلوس بمعاملة الاسرى معاملة اكثر انسانية وباعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية على نحو ما تقرره سائر الديانات السماوية .

وقد اردف تلك السفارة بسفارة محمد ابن عثمان سنة 1779 الذي راح يفاوض من اجل جعل حد للاستعباد هنا وهناك ... ولم تمض فترة من الوقت حتى رحل هذا السفير نفسه الى مالطة ونابولي سنة 1782 لنفس المهمة ...

وقام سنة 1785 بتحرير اسرى امريكانيين وحتى قبل توقيع الاتفاقية الامريكية المغربية حسبما يفيده الارشيف الوطني لمدريد ...

ومن جهة اخرى ففي 25 مارس 1786 اصدر العاهل المغربي اعلانا الى سائر القناصلة الاجانب الذين يقيمون بالمغرب بأن كل دولة مسيحية تقوم بتحرير انسان ، ستمنح الاذن في مقابلة ذلك بتصدير كمية من القمح من ميناء السويرة تبلغ مائتي فنيقة (112 قنطار) بالنسبة للرجل ، وثلاثمائة (168 قنطار) بالنسبة للمراة مع الاعفاء من الحقوق الجمركية التي كانت تصل الى ريال وربع لكل فانيقة .

ولا شك ان تلك الالتفاتة من عاهل البلاد ، وهذه التضحية من الخزينة المغربية كان لها وقع كبير في الاوساط القنصلية التي طيرت الخبر الى دولها

مؤكدة تصميم ملك المغرب على جعل حد لاستعباد الانسان !

وقد وقع محمد الثالث معاهدة خاصة مع فرنسا 1777 وبالرغم من ان الاتفاقية كانت تمس فرنسا وحدها ، لكنه اى العاهل اعرب فى نصوص المعاهدة عن اقتراحاته على كل الدول الاوربية ان تتعاون معه على القضاء على تلك المعضلة !

وفى رابع شتنبر من نفس السنة 1777 ارسل محمد الثالث الى لويس السادس عشر يقترح عليه بواسطة سفيره الطاهر فنيش مشروع تبادل الاسرى كما يطلب اليه أن يقوم على التو بتسريح النساء والطاعنين فى السن من الرجال كيفما كانت معتقداتهم الدينية او انتماءاتهم السياسية ، بل ان العاهل المغربي طلب الى العاهل الفرنسي ان يتوسط لدى باقي الممالك الاروبية الاخرى لبسط اقتراحه حول الموضوع .

ومن المهم أن نعرف ان البلاط الفرنسي لم يحرك جانبا ازاء المقترحات المغربية التي تحدثت عنها صحف فرنسا على ذلك العهد ، وكأن الامر سابق لاوانه بالنسبة الى الملك لويس !

وان القاء نظرة على مختلف الاتفاقيات المبرمة بين المغرب وبين الدول الاخرى ليؤكد انها كلها وبدون استثناء اهتمت بقضية الانسان ، وهكذا ففى اتفاقيته القصيرتين مع البلاد المنخفضة والسويد بتاريخ 10 شتنبر 1777 نجد ان جل البنود كانت تلتفت الى الاسير ، وهكذا كان الشأن فى الاتفاقيات الاخرى حيث نجد طائفة من البنود تخصص للقضاء على الرق ولطريقة التي يتم بها تحرير الانسان بل وعن المساعدة التي يجب تقديمها للاسير فى حالة افلاته من قبضة الذين كانوا يهيمنون عليه !

وقد اشارت بعض المعاهدات الى تحريم الاسر بصفة مبدئية ، اولا : بالنسبة لكل رجل متقدم فى السن وبالنسبة لكل امراة كيفما كان سنها ، وهذا ما نصت عليه اتفاقية المغرب — هولاندا السالفة الذكر (البند الرابع) ، ونص عليه الوفق المقترح على فرنسا بتاريخ 4 شتنبر عام 1777 وعلى الدول المسيحية فى نفس العام ، ونص عليه الاعلان الملكي بتاريخ 27 شتنبر سنة 1778 الذي سلمه الى القنصلية الاجنبية الكاتب محمد القادري ...

ثانيا : بالنسبة لسائر الاطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم عشر سنوات ... وهذا ما نصت عليه اتفاقية المغرب مع طوسكان بتاريخ 6 يبراير 1778 (البند الثاني عشر) .

ثالثا : بالنسبة لكل شخص عاجز عن الشغل وهذا ما نص عليه الاعلان الملكي السالف الذكر ونصت عليه الاتفاقية السابقة بين طوسكان — المغرب (الفصل الثاني عشر) ؛ ولم تخرج عن هذه القاعدة الا انجلترا التي نص الفصل الرابع والعشرون من اتفاقية المغرب معها عام 1760 ، على مبلغ اكثر ...

وقد اشتملت اقتراحات الملك محمد الثالث على الدول المسيحية المؤرخة بمكناس فى 10 شتنبر 1777 على مبادىء تشبه بنود الاتفاقية التي ابرمت مع السويد ومع هولاندا والتي سلف ذكرها ..

وبالرغم من ان العاهل المغربي كان يرمي الى القضاء على الرق نهائيا كما تدل على ذلك نصوص أكثر من معاهدة ، وكما يستفاد من افكاره التحررية التي تكشف عنها ترجمته الشخصية ، فانه قبل من بعض الدول اقتراحها ان يقصر اتفاقها معه على رعاياها دون ان يمتد ذلك الى رعايا دول اخرى ...

وهكذا كان شأنه مع الدانمارك فى اتفاقية 18 يونيه 1753 (الفصل الثاني) ، ومع انجلترا فى اتفاقية 28 يوليه 1760 ، (البند الثاني عشر) ، ومع (فينزيا) البندقية ، بتاريخ 15 يونيه عام 1765 ، (الفصل الثالث عشر) ، ومع طوسكان بتاريخ 6 يبراير 1778 ، (الفصل الثاني) ، بل نص البند الثاني عشر من اتفاقية المغرب — طوسكان على ضرورة ممارسة عمليات تبادل الاسرى حتى فى حالة الحرب بين الدولتين ، وهو الامر الذي كان مدعاة لاستغراب بعض الذين كتبوا عن الملك محمد الثالث

حيث اعتبروه متناقضا مع حالة الحرب التي تقتضي عـدم الرافة بالخصم !

ومن جهة اخرى فان الفصل الواحد والعشرين من معاهدة 1786 المبرمة بين المملكـة المغربيـة والولايات المتحدة الامريكية ينص على ان الاسير لا يصبح عبدا ، ومعنى هذا ان العاهل كـان تواقـا وحريصا على ان يرى الناس احرارا في كل مكان !

ولقد كانت اتفاقية الملك محمد الثالث مع دون جوزي الاول ملك البرتغال بتاريخ 27 نونبر سنـة 1773 اكثر وضوحا وصراحة لانها زيادة على اعلانها بأن رعايا الدولتين لا يمكن الاتجار فيهم فانها تعـد بصفة لا تقبل التاويل بأن لفظة اسير يجب ان تزول حتى في حال عدم استمرار المعاهدة !! وهذا مـا ينص عليه (البندان الواحد والعشـرين والثانـي والعشرون) الامر الذي يظهر مدى الاهمية التي كانت تعطى لحقوق الانسان .

رسالة العاهل المغربي الى ملك فرنسا في شان تحرير الاسرى

وقد سلك الملك محمد الثالث في سبيل تبادل الاسرى وافتدائهم طريقا يدل ايضا على مدى تشبثه بالعدل وترفعه عن ان يجد فروقا بين بني الانسان ، فهو يبني التبادل على مبدا التساوي ، وهكذا ففي الحالة التي يوجد فيها اسرى من الطرفيـن يتـم التبادل راسا براس وهذا ما تم في اتفاقية المغـرب مع الاراضي المنخفضة بتاريخ 10 شتنبر 1777 ، (الفصل الاول) ، وفي اتفاقية المغرب ـ السويد عام 1777 ، (الفصـل الاول) ، وفي الاتفاقيـات المقترحة على فرنسا وعلى كل الدول المسيحيـة عام 1777 ، وفي الاعلان الملكي الى كافـة الدول الاروبية عام 1778 ، (الفصل الاول) .

وفي حالة ما اذا لم يكن عند احدى الدول اسير تفتدي به من يوجد بالجهة الثانية من رعاياها ... فان المغرب يكتفي باخذ مبلغ مائة ريال عن كل واحد بصرف النظر عن ثرائه « لا فرق بين غني وفقير » او منصبه « لا فرق بين قبطان وبحري بسيط » كما انه مستعد لاداء ذلك المبلغ بالنسبة للاسرى المسلمين الذين يوجدون تحت هيمنة الدول الاروبية ، وهذا ما نصت عليه اتفاقيات المغرب السالفة مع الاراضي المنخفضة ، الفصل الثاني ومع ـ السويد (الفصل الثاني) ، ونص عليه الوفق المقترح على فرنسـا ، الفقرة الثانية ، والاعلان الملكي (الفصل الثالث) .

ولم تغفل الاتفاقيات تصفية امر الرق المتبقى عند الخواص سواء اكان في المغرب او كان في الدول الاروبية ... لكن المهم في الموضوع ان يفرض الملك محمد الثالث اجراء عمليات التحرير كل سنة ، بحيث ان الانسان الذي قدر عليه ان يمسي مسخرا بيـن يدي انسان آخر يجب ان لا يمكث على هذا الوضع اكثر من سنة ، وهكذا كانت هناك حركة دائبة لتقصي اخبار الاسرى والاستطلاع عليهم وهذا ما تشير اليه اتفاقية المغرب ـ طوسكان لعام 1778 (الفصـل الثانـي عشـر) ...

الفصل الحادي والثاني والعشرون من اتفاقية السلام المبرمة بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبين مملكة البرتغال ، وهما ينصان على أن الاسرى حتى في حالة الحرب يجب ان « يضمحل » عنهم هذا الوصف وان يتمتعوا بحريتهم فورا ...

تلك مواقف المملكة المغربية منذ الماضي ازاء اخطر مشكل عرفته الانسانية وهو المبدأ الذي سار عليه الحكم في المغرب بعد وفاة محمد الثالث ...

* * *

وبصرف النظر عن قضية الانسان نجد امامنا ومضات من تاريخنا تكشف لنا عن جانب آخر من تعلق المغرب بالسلام وحرصه على أن تتعايش الامم بعضها مع بعض بعيدا عن البغض والحقد والحرب وكيفما كانت مذاهبها وكيفما كانت عقائدها .

وارى من البروز بالتاريخ ان اذكر بالمساعي الحميدة التي ما فتىء المغرب يقوم بها عبر تاريخه اشفاقا منه على المجموعة البشرية أن يصيبها الخراب والدمار ، وهكذا فبالرغم من الشعور الديني المتعصب السائد في العصر الوسيط نراه يقوم بمحاولة اصلاح ذات البين بين بلاط فرنسا وبلاط اسبانيا عارضا وساطته على فيليب الثالث من اجل مصالحته مع الفونس العاشر الذي كان يحتاج لمساعدة جيرانه لمواجهة عدوان كان يهدده ـ تقول رسالة العاهل المغربي ابو يوسف يعقوب الموجهة الى ملك فرنسا المؤرخة في 24 اكتوبر 1280 .

ان (ما تعرض له الفونس) قبيح في كل الاديان ، لم يسمع بمثله قط في حين من الاحيان ، ووجب علينا ان نقدم له النصرة التي تليق بما له من رتبة علية وعزة وسلطان ، ولو اننا بحال مخالفة معه في المذاهب والاديان ... وان اصابكم ما غير خاطركم من قبل الملك المذكور او غير خاطره من قبلكم فنحن نضمن لكم زوال ذلك حتى تعود المودة على أكمل ما به تقر العيون ... »

اننا نعتبر مثل هذه المساعي وهذه الوساطات عملا أصيلا للحد من التوتر الدولي ودعوة صريحة للحد من استعمال السلاح والتحاكم الى العقل لبسط السلام بين الامم .

واذكر بهذه المناسبة ايضا ترحيب المغرب بالوساطة بين رودولف الثاني وقداسة البابا على عهد الامير ابي فارس ابن السلطان احمد المنصور المعروف بالذهبي .

ومن غير أن اتمادى في سرد نصوص الرسائل المشابهة التي لم تخل منها فترة من فترات تاريخ المغرب اكتفي بالاشارة الى بعض الوساطات التي قام الملك محمد الثالث سواء بين باريز وطرابلس في أعقاب خرق اتفاقية 1766 بين فرنسا وليبيا . وقد عمل على تطويق الخلاف بين الامبراطورية كاترينا الثانية وبين السلطان عبد الحميد عام 1778 ، وتوسط بين مدريد والوالي التركي بالجزائر عام 1778 في اعقاب اختطاف اميرة اسبانية ، وتوسط بين مملكة نابل وبين ولاة المشرق عام 1782 اصالح اقرار السلام بين الجانبين ، وتوسط بين الولايات المتحدة وبين طرابلس وتونس عام 1787 على اثر تدهور العلاقات بين الطرفين ، الى غير ذلك من المساعي التي كما قلنا كانت تقصد الى توفير مناخ طيب بين الامم ...

واذا ما تجاوزنا دور الوساطـــات فى اقـــرار الـسلام فلا بد ان نقف قليلا امام مبادرة ثالثة سجلها التاريخ للمغرب بمداد من الفخر والاعتزاز ، ويتعلق الامر بوقوف المغرب الى جانب الشعوب التي كانت تناضل من اجل تحريرها من ربقة الحكم الاجنبي ، ومساعدة تلك الامم على الوقوف على اقدامها والاخذ بيدهـــــا ...

وامامنا حالة (البلاد الواطئة) ، هولاندا ، التي قدم لها المغرب فى بداية استقلالها من المساعدات العسكرية والمالية ما يحتفظ به ارشيف التاريـــخ الدولي للمغرب وما تنوه به المكتبة الوطنية فى (لاهاي).

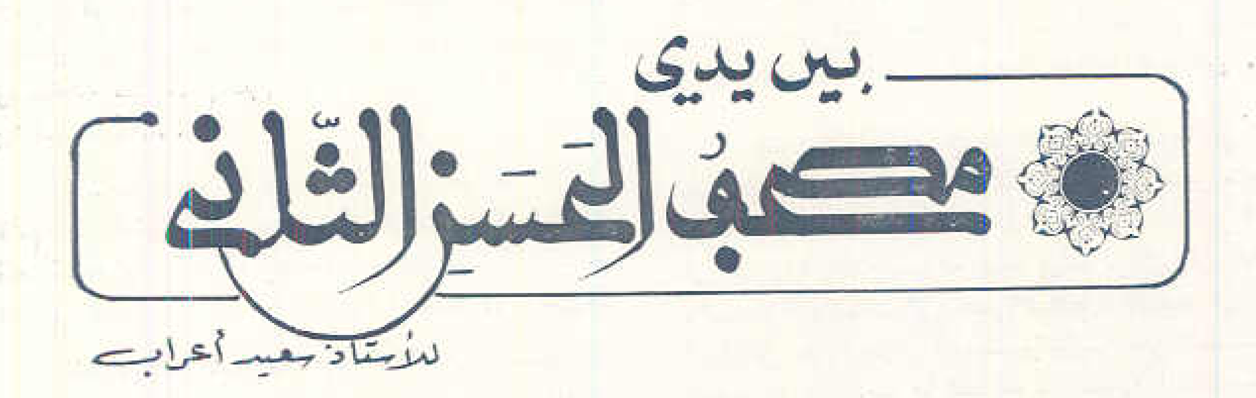
كما يوجد أمامنا حالـــة الولايـات المتحـــدة الامريكية التي كانت المملكة المغربية فى اوائل الدول التي اعترفت باستقلالها بل وقدمتها الى عدد مـــن الامم ، ولم تحل صداقة المغرب لدولة انجلترا دون اتخاذ ذلك الموقف الذي اشاد به جورج واشنطن فى رسالته الى العاهل المغربي محمد الثالث بتاريخ فاتح دجنبـــر 1789 .

الى عدد من الامثلة الاخرى التي يعرفها التاريخ جيدا ويقيمها ...

وان من الطريف الممتع ان نسمع عن منصـــب يبتكره المغرب لاول مرة فى التاريخ حسب علمنا ، ذلك انشاء وظيفة « نائب لمن لا سفير له بالمغرب » رغبة منه فى توطيد علاقات سلام دائم بين الامـــم وحرصا على ايجاد مفاوض باسم المتغيبين ينـــوب عنهم ويبلغ اليهم ما يوفر جوا صالحا للتعايش ...

تلكم ومضات من تاريخ المغرب الدبلوماسي تدل على ظاهرة صحية فى بناء الحكم كما انها تعتبر منطلقا بارزا لحركات التحرر فى العالم وبداية لتفكير الامم فى ضرورة اقامة صلات فيما بينها ترتكز على العدل والمساواة وتهدف الى نشر السلام والاعتماد فى حل المشاكل على الحوار المثمـــر وليس على الســلاح المدمر ، وان اهم ما تميزت به مبادرة الملك محمد الثالث انه استطاع ان يلفت نظر الامم التـــي كـــان يتعامل معها الى ان هناك نقاط لقاء جد واضحة بين الاديان المختلفة ، وان عليهم ان يستفيدوا من هذه الظاهرة لخير المسلمين واليهـــود والمسيحيين على الســـواء .

د. عبد الهادي التـــازي



من حسنات الحسن الثاني ومآثره الخالدة ، اصدار امره الشريف بطبع المصحف الكريم ــ على مقرا نافع ؛ وقد اخرج فى حلة قشيبة ، واختير له من أبرع الخطاطين ، ما جعله بهجة للناظرين ؛ فيالها من هدية ثمينة يقدمها العاهل العظيم الى كل مسلم ، تكون له نورا اينما حل وارتحل ، (... نهدي اليك ــ أيها المسلم الكريم ، حيثما كنت من مشارق الارض ومغاربها ــ هذا المصحف الشريف ، راجين من الله جلت قدرته ــ أن يجعله بين يديك نورا يهديك الى أقوم السبل فى دنياك ، وأوضح المسالك الى آخرتك ، وشفاء لنفسك ، وطهرا لقلبك ، وقوة يشتد بها عزمك ، وتتمكن بها ارادتك ، ويعلو بفضلها شأنك بين الناس ، ومقامك بين الانام ، وتحل بها ارفع الدرجات ، وتبلغ معها اسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايات .

وأملنا ــ أيها المسلم الكريم ان يثيب الحق ــ سبحانه وتعالى ــ عملنا هذا أجزل الثواب ، ويلهمك ــ كلما رتلت هذا الكتاب ترتيلا ، وتلوته تدبيرا واحتسابا ، ــ بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق والتأييد والتسديد ، فيما نحن مضطلعون به من مهام ، ومطوقون به من مسئوليات عظام ، وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين ، لصلاح شعبنا ، واعلاء كلمة امتنا ...) .

وقد حقق الله نبوءة عاهلنا العظيم ، فاستجاب دعاءه فى امته ، فكان هذا المصحف الكريم ، سلاحها القوي فى تحرير الصحراء ، يشد ازرها ، ويقوي عزمها ، ويمكن ارادتها ، فعلا ــ بفضل الله ــ شأنها بين الناس ، ومقامها بين الانام ، وهو ــ سبحانه ــ اذا بدأ اتم ، وستبلغ ــ بحول الله ــ ما تتوق اليه من مقاصد وغايات ــ « والله ذو الفضل العظيم » .

واذا عدنا الى تاريخ المصحف المغربي ، نجد أن المغاربة ــ منذ القدم ــ عنوا عناية خاصة بحفظ القرءان ، فأتقنوا رسمه وضبطه ، وتجويده وقراءاته ، وسيطروا على هذا الميدان سيطرة تامة ، حتى لا يكاد يشاركهم فيه سواهم .

وامامنا جمهرة كبيرة من العلماء القراء ، اثروا المكتبة العربية ببحوثهم ومؤلفاتهم فى علوم القرءان وفنونه ، واختصوا مقرا نافع بدراسات مستفيضة ، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة الا احصوها : نقطه وشكله ، رسمه وضبطه ، تجويده واداءه ، وقفه وابتداءه ، اصله وزائده ، مده وقصره ، حركته وامالته ، رومه واشمامه ، تفخيمه وترقيقه ، همزه وتسهيله ، فكه وادغامه ، اظهاره واخفاءه ، ثبته وحذفه ... وتناولوا كل فرع من هذه الفروع بالشرح والبيان ، وربما خصوه بالتاليف ، وهي خدمة كبرى للقرءان الكريم ، لا ينساها لهم التاريخ .

ولنذكر في هذه العجالة بعض مشاهيرهم ، مع التلميح الى آثارهم ومدارسهم .

1 — ولعل اول مؤلف مغربي جمل اختصاصاته علوم القرءان ومقرا نافع — بصفة خاصة — هو ابو الحسن علي بن محمد بن بري التازي (ت 731 هـ) وهو مدرسة قائمة بذاتها ، برزت فيها الشخصية المغربية في عالم التأليف في فن القراءات ، وقد اتجه — اكثر — نحو المذهب الرسمي للدولة في القراءة — وهو مقرا نافع ، فالف فيه عدة مؤلفات ، من اشهرها ارجوزته : « الدرر اللوامع ، في اصل مقرا نافع » ، وقد تداولها الناس ، ووقع عليها اقبال عظيم ، وكان لها صداها البعيد في المغرب والاندلس ، ووضع عليها ازيد من ثلاثين شرحا ، ولعل اوسعها علما ، واغزرها مادة ، واوفاها استيعابا ، واتمها تحريرا ، — شرح ابي زيد بن القاضي ، الموسوم بـ (الفجر الساطع ، والضوء اللامع ، في شرح الدرر اللوامع) ، فهو — بحق — اعظم موسوعة قرآنية ، تفخر بها المكتبة المغربية ، فما أجدره بالتحقيق والنشر !

2 — أبو الحسن علي بن سليمان القرطبي ، مقرىء فاس وشيخ الجماعة بها (ت 730 هـ) .

ومن مؤلفاته :

— « الاختلاف بين الائمة الثلاثة : الداني ، ومكي بن ابي طالب ، وابن شريح » .

— « تهذيب المنافع ، في قراءة نافع » .

3 — ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الشريشي الشهير بالخراز (ت 713 هـ) ، وهو مدرسة اخرى ، اتجهت الى جانب خاص في مقرا نافع — وهو فن الرسم والضبط .

واشهر مؤلفاته في هذا الباب ، منظومته : « مورد الظمآن ، في رسم أحرف القرءان » ، وهي في (454) بيتا ، والحق بها رجزا آخر في الضبط — وهو في (154) بيتا .

وقد طارت شهرتها في الآفاق ، وغطت على كتب الداني وابن نجاح ، والشاطبي ... — في الموضوع .

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون في مقدمته : (... وانتهت بالمغرب — يعني دراسة هذا الفن — الى ابي عمرو الداني ، فكتب فيها كتبا ، من أشهرها كتاب « المقنع » وأخذ به الناس ، وعولوا عليه ، ونظمه الشاطبي في قصيدته الرائية المشهورة (عقيلة الاتراب) .

ثم نقل بعده خلاف آخر ، فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب — ارجوزة ، زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا ، وعزاه لناقليه ، واشتهرت بالمغرب ، واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها كتب ابي داود ، وابي عمرو ، والشاطبي — في الرسم) (1) .

4 — وممن الف في الرسم القرآني — ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان الازدي المراكشي ، المعروف بابن البناء (ت 721 هـ) .

له كتاب « عنوان الدليل ، في مرسوم خط التنزيل » قال فيه ابن هيدور : جزء نبيل في تعليل رسم المصحف الامام ، وقد ذكر في مقدمته « ان للرسم القرآني أسرارا وحكما ، تشهد بان العرب كانوا الغاية القصوى في الذكاء ، ولطافة الهجاء ، فسبحان من اعطاهم ذلك ، وخصهم به ! »

5 — ابو عبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان القيسي الاندلسي الفاسي ، (ت 810)

له ارجوزة في الضبط ، تعرف بالميمونة ، شرحها الجاديري .

6 — ابو وكيل ميمون الفخار المصمودي . (ت 816 هـ)

له :

— « المورد الروي ، في نقط المصحف العلي »

— « الدرة » .

— تحفة المنافع ، في اصل مقرا نافع » — وهي أوسع منظومة في هذا الباب .

7 — ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عطية المديوني ، الشهير بالجاديري (ت 818 هـ) .

---

(1) انظر المقدمة ص 791 — 792 .

لـــــه :

ـــ شرح على رجز شيخه القيسي الآنف الذكر .

ـــ ومختصر شرح الخاقانية للداني .

ـــ و « النافع » في اصل حرف نافع » .

8 ـ ابو عبد الله محمد بن يحيى بن جابـــر الغساني المكناسي (ت 827 هـ)

له : ارجوزة في الرسم ، كانت عمدة من جـاء بعــده .

9 ـ ابو عبد الله محمد بن احمد العثمانـــي المكناسي ، المعروف بابن غازي . (ت 919 هـ) .

من ائمة هذا الشان ، له مؤلفـــات عـــدة في مختلف العلوم والفنون ، ومن اشهرها ـ في موضوع المصحف المغربي ـ :

ـــ « تفصيل عقد الدرر » ـ ارجوزة في طرق نافع العشرة ، وتعرف عند المتاخريـــن بالعشـــر الصغير ، وقد شرحها جماعة .

ـــ « فواصل الممال » وتصحف في الاتحـاف ب « فواصل المقال » وهو رجز في الفواصل الممالة، وله عليه شرح ادرجه في كتابه « انشاد الشريـد ، في ضوال القصيد » .

ـــ اما علم التجويد ـ وهو علم يعرف به مخارج الحروف وكيفية ادائها ، ومعرفة مدها وقصرها ، وترقيقها وتفخيمها ؛ ـ فتاتي غالب ابحاثه في كتب القراءات ، وقد أورد طائفة منها ابن بري في خاتمـة ارجوزته « الدرر اللوامع » .

10 ـ ومن الذين اختصوه بالتاليف ـ ابـو عبد الله محمد بن يوسف الجناتي قاضي سبتـــة . (ت 778 هـ) .

له كتاب « البستان ، في تجويد القرءان » وهو مختصر ضمنه عشرة ابواب .

11 ـ وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الصفار المراكشي (ت 761 هـ) .

له كتاب « التنضيد ، في كيفية الاداء والتجويد»

ـــ « وجواب الخل الاود ، عن كيفية المد » .
وستاتي مؤلفات أخرى في الموضوع .

12 ـ ابو عبد الله محمد بن ابـــي جمعـــة الهبطي السماتي (ت 930 هـ) ، عالـم مقـــرىء ، له باع طويل في علوم القرءان ، وهو الذي وقـــف المصحف المغربي ، ولا يزال عمل الناس عليه الـى اليـــوم .

13 ـ ابو عبد الله محمد بن يوسف الترغـــي (ت 1009 هـ) ، وهو يمثل مدرسة اخرى في علم القراءات بمراكش ـ في العصر السعدي ، تخرج على يديـــه كثيـــرون .

قال فيه صاحب اعلام مراكش : الشيخ الاستاذ الجود الاديب ، معلم الملوك ، أحد الفقهاء المغاربة ، الممتطين سنام الفضل وغاربه ...) .

تتلمذ لابي العباس المقري ، وله معه مساجلات ادبية ـ نظما ونثرا .

وابو عبد الله الترغي هذا ، لم يشتغل بالتاليف، وانما تلاميذه كتبه ؛ وقد وقفت له على اجوبـــة في مسائل مختلفة في فن القراءات ، كتب اليه في ذلك تلميذه ابو عبد الله المرابط .

14 ـ ابو عبد الله التاملي (ت 1048 هـ) .

له : قصيدة لامية في قراءة نافع .

ـــ ورسائل في التبت والحذف .

ـــ وابيات في الآي التي تمال ، والسور التـي وردت فيهـــــا .

ـــ واستدراكات على « تفصيل » ابن غازي .

15 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن ابي القاسم بن القاضي الفاسي (ت 1082 هـ) ـ وهـــو يمثـل المدرسة القرءانية في العصر العلوي ، قال فيـــه صاحب السلوة : امام القراء ، وشيـــخ المغـــرب الشهير ، أستاذ الاساتيذ ...)

خلف ثروة ضخمة في علم القراءات ، وقلمـــا تخلو مكتبة ـ في الشرق او الغرب ـ من مؤلفاته ، فهو لم يترك جانبا من جوانب هذا الفن الا والف فيه نظما ونثرا ، ولذا يجوز لنا ان نسميه بداني المغرب، لحفظه واتقانه ، ووفرة انتاجه ، ولو لم يكن لـــه الا كتابه « الفجر الساطع على الدرر اللوامع » ـ لكفى .

ومن مؤلفاته ـ فيما يتصل بالمصحف المغربي ـ مقرا نافع ـ :

— « بيان الخلاف والتشهير والاستحسان ، وما اغفله مورد الظمآن ، وما سكت عنه التنزيل ذو البرهان ، وما جرى به العمل من خلافات الرسم فى القرءان ، و ما خالف العمل النص ، فخذ بيانه بأوضح بيان » .

وهو عنوان طويل لمؤلف صغير ، لا يتعدى حجمه ثلاث عشرة صفحة من القطع الوسط ، لكنه فريد فى بابه ، جمع فيه مؤلفه كل المسائل الخلافية فى الرسم ، وما شهره الائمة وما استحسنوه ، وما جرى به عمل القراء فى المغرب والاندلس ، وربما صادم عمل الناس النص ، فوجب نبذه بالعراء ، وقد استدرك خلافات اغفلها ابن نجاح فى التنزيل ، والبلنسي فى المصنف ، والخراز فى مورد الظمآن ، فاكمل ما نقصوا ، واوضح ما اجملوا .

— « كتاب الجامع المفيد ، لاحكام الرسم والقراءة والتجويد » وهو مختصر مهم جدا .

— « تقييد فى بعض القراءات العشرية النافعية » .

16 — ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الرحماني المراكشي ، كان حيا سنة (1070 هـ) . ومن مؤلفاته : « تكميل المنافع ، فى قراءة الطرق العشرية المروية عن نافع » .

17 — ابو العلاء ادريس بن محمد المنجرة (ت 1137 هـ) . من شيوخ هذا الفن ، اسس مدرسته على انقاض مدرسة ابن القاضي ، وحاول ان يضيف اليها مواد جديدة اتى بها من المشرق ، وقد اتسع نطاق المدرسة المنجرية حتى تجاوزت حدود المغرب ، وفى هذا الصدد يقول بعضهم : (لا نرى من سوس الاقصى الى طرابلس ونواحيها ، الا من قرا عليه او على احد تلاميذه ، حتى ان من لم يقرا عليه او بطريقته ، لا يعد قارئا ...) .

ومن مؤلفاته :

— « نزهة الناظر والسامع ، فى اتقان الاداء والارداف للجامع » — ضمنه ثلاثة ابواب ، تحدث فى الباب الاول عن شروط المقرىء وما ينبغي ان يكون عليه من آداب واخلاق .. وتكلم فى الباب الثاني عن الاداء والقراءة ، والقارىء ، والمقرىء .. وخص الباب الثالث للارداف والجمع بين القراءات ...

18 — ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) .

شخصية فذة ، قد تزعم بانها مدرسة قائمة بذاتها ، وكتابه الجامع : « المحاذي » يدل على باعه الطويل فى علم القراءات .

ومن مؤلفاته التي تتصل بموضوعنا — (مقرا نافع) — :

— « الوقف والابتداء » ، تتبع فيه الاماكن التي عينها الهبطي للوقف عليها ، وشرحها شرحا وافيا ، ودافع — فى اكثرها — عن وجهة نظر الامام الهبطي .

— « تسهيل المعارج، الى تحقيق المخارج» وهو رسالة فى مخارج الحرف وصفاتها .

— وله رسالة اخرى فى المد الطبيعي .

— « القول الوجيز ، فى قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز » .

19 — ابو العلاء ادريس بن عبد الله البكراوي، خاتمة القراء بفاس (ت 1262 هـ) ومن مؤلفاته الشهيرة : « التوضيح والبيان ، فى مقرا نافع المدني ابن عبد الرحمان » — جعله — كما يقول — سلما لتعليم الصبيان . — رتبه على أحرف المعجم ، ولعله اول معجم قرآني بالمغرب ، جمع فيه مؤلفه احكام القراءة، ومسائل التجويد — حسب حروف المعجم فى القرءان الكريم .

— وله « عمدة البيان ، فى حكم المحذوف فى القرءان » — ارجوزة فى (387) بيتا ، وضع عليها شرحا وافيا .

— « ازهار الحدائق ، فى مخارج الحروف ، والصفات والبوائق » — ارجوزة فى نحو مائة بيت .

— نظم فى الفرق بين السكت والوقف .

— منظومة فى التوسط ، وقصيدة فى احكام الراء ، وسواها .

20 — المحجوب الصحراوي ، من شيوخ القراءات ، له قصيدة لامية فى التبث والحذف ، وكلها رموز واشارات ، وله عليها شرح أوضح مقاصدها .

21 – ابو الربيع السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي . (ت 1238 هـ) .

عالم مقرىء ، اخذ عن والده العالم السني محمد بن عبد الله ، وحفظ القرآن على الشيخ المقرىء ابى محمد عبد الوهاب اجانا ، واتقن رسمه وضبطه ، وكان المولى سليمان يجله ويقدره ، ومن تقديره لشيوخ هذا الفن ، واكرامه اياهم ، – ان ابا العلاء البكراوي ، نظم ثلاثة ابيات في علم القراءات ، فاجازه عليها بثلاثمائة مثقال ؛ وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره ؛ وهو الذي امره بتاليف كتابه « ايضاح البيان » واقترح عليه ان يرتبه على حروف المعجم – في القرءان ، قال في مقدمته : (وليس هذا التقسيم من فهمنا ، بل الامير المذكور – يعني المولى سليمان – هو الذي فصله هكذا بخط يده) .

ويحدثنا صاحب الاستقصا عن مدى طول باع هذا السلطان في علوم القرءان فيقول : (... واذا تلكم في علوم القرءان ، انهل بما يغمر « مورد الظمآن ») .

ومن امثلة حرصه على كتاب الله والعمل به ، ما يذكره ابن سعيد ، قاضي سجلماسة في كناشته ، قال : انه راى في يد احد الطلبة بعض كتب التصوف، فقال له : يا فلان ، عليك بكتاب الله ، ودع عنك هذا ! .

ومن آثاره القرآنية :

– رسالة انتقد فيها مواضع من وقف الهبطي ، وربما كان اميل الى الوقف السني .

– رسالة اخرى في قوله تعالى : « وما ارسلنا من رسول ولا نبيء الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته » – الآية ، تعرض فيها لمسالة الفرانيق، وصحح اوهاما وقع فيها كثير من المفسرين .

– ومن نظمه – يذكر أسانيده في علوم القرآن وسواها – :

أول من علمني القرآنا
والرسم عبد الوهاب اجانا

وسندي في الضبط والروايات
عن الفاسي عن شيخه بحر الفرات

عابد الرحمان الشريف المنجره
عن والد ادريس رسم العشره

هذه لمحات تاريخ المصحف المغربي ، او على الاصح – مصحف الحسن الثاني – ، وقد آثرت ان اتحدث عنه في هذه المناسبة الكريمة لما يربط بينه وبينها من ذكريات وذكريات ... والذكرى تنفع المؤمنين .

تطوان : سعيد أعراب

(1) انظر الاستقصا ج 8 ، ص 172 .

الجوانب الإنسانية في الشخصية التاريخية المغربية

للأستاذ الحسن السائح

ما ان ظهر الاسلام ، وما يحمله من نزعة انسانية حقيقية مؤثرة في عقيدة دينية صميمة متكاملة اجتماعيا وفرديا ، اقتصاديا ، وسياسيا ، وأخلاقيا ، حتى خف المغاربة لاستجابة له ، فاسلموا بتلقائية ، ولم تكن هزائم ارتدادهم عن الاسلام الا كلمات لفقها المؤرخون الذين لا يعرفون طبيعة المغرب الذي لم يرتد عن المبادىء ، وانما وقف في وجه الغزو والتحريف للمبادىء التي آمن بها .

وهكذا تحولت الانسية المغربية الى ذاتية متأثرة بما حمله القرءان من تمجيد للانسان وتفضيله والشعور بكرامته ومكانته في الكون ، وتحول المغرب تحولا كاملا الى الثقافة الاسلامية ، بل اصبح احد أعمدتها وحماتها والذائدين عنها ، والمناضلين دونها ، حيث برز به جهابذة الانسية في العالم القديم ، من الشاعر المطماطي في عصر بني امية بالمشرق الى يحيى الليثي ، تلميذ الامام مالك ، ثم القاضي عياض أعظم مفكر انساني مسلم ، الى ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، ثم ابن الخطيب وابن خلدون وابن مرزوق . . وغير هؤلاء من الذين عمقوا الشعور الانساني والشخصية المغربية حتى اذا سقطت الاندلس ورث المغرب انسيتها ومزجها بانسيته ملما بادب ابن زيدون وفلسفة ابن حزم ؛ ولا شك ان موقع بلاد المغرب الجغرافي حيث انه نقطة التقاء الثقافة العربية الانسانية ، والثقافة الغربية العلمية والتقنية، والثقافة الافريقية الفنية ، وضعت الانسان المغربي في موضع (المسؤولية الانسانية) فكان النموذج الانساني المؤول عن هذه الكرامة ، والمدافع عنها كلما هددها الظالمون والبغاة ، وكذلك خاض المعركة ضد الاتجاهات الانسانية : ضد غطرسة روما بقوة هانبال وضد الحركة الصليبية في المشرق ، الى غطرسة النازية معززا صفوف الحلفاء ، الى حروبه في الجولان ضد الصهيونية ، كما كان جهاز التقاط وتوجيه للثقافات الواردة من الشرق والغرب ، يلتقطها ويمحصها ويستوعبها ويوجهها تارة الى اوربا وتارة الى أفريقيا ، وقد ظل المغرب باحثا عن شخصيته السياسية التي هددتها روما والوندال والبزانطيين والفتوح العربية لان الصراع القبلي بين البرانس والبتر حال دون الوحدة الوطنية وكان المغرب في حاجة الى عمود فقري لتعصوصب عنه القبائل او ليعطي الثقل لبعضها ووجد ذلك في الادارسة الذين كانوا اول من اسس للمغرب دولة وطنية مغربية .

فالمغرب رفض التبعية للامويين في دمشق ، وسارع الى تحقيق تجربة الاندلس التي اسست دولة أموية بها ، فلبى الدعوة الادريسية ، والتزم بالبيان السياسي ، الذي اذاعه المولى ادريس في المغرب وعن طريق حركة (الخوارج) بالمغرب اكد المغرب انفصاله عن المشرق ومهد للدولة الادريسية كي تؤسس به اول حكومة مغربية .

وظهرت دولة المرابطين كدولة مترامية الاطراف بل كدولة تمثل كل التطلعات المغربية في الوحدة السياسية والمذهبية (المالكية) والعقيدة السنية ، ثم جاءت الدولة (الموحدية) لتقفز بالمغرب الى مرحلة النظرة الفلسفية في السياسة والتشريع ، واذا كان عصر المرابطين يمثله المفكر الاسلامي

الكبير (القاضي عياض) فان عصر الموحدين يمثله الفيلسوف ابن باجة وابن طفيل وابن رشد .

... وجاء عصر المرينيين لتبدو الشخصية المغربية واضحة في ثقافتها الشمولية الممثلة في فكر ابن خلدون وابن الخطيب وليتحملوا مسؤولية انقاذ الاندلس ، وعندما سقطت غرناطة فقد المغرب توازنه وارتمى في احضان الصوفية في غيبة عن العقلانية ، وتحولت الرباطات العسكرية الى زوايا ذات تصوف سلبي امتد طيلة عصر السعديين الذين امتدوا في افريقيا استجلابا للقوة وقطعا للطريق على البرتغاليين ،وامتد ذلك طيلة عصر العلويين رغم محاولة كثير من العلماء والمصلحين ابراز السلفية الايجابية ، واصلاح التعليم المغربي ، لمقاومة انحلال الذاتية المغربية وعودا الى (التوازن) (الضروري) للثقافة الاسلامية ..

لقد كان التصوف المغربي يهدف الى تكوين الانسية المغربية بواسطة تربية روحية ، وقد امتازت الصوفية المغربية بقدرتها على خلق زعامة مربية في العالم الاسلامي كله ، فالامام الشاذلي مغربي من غمارة استقر في مصر ، والامام البدوي كذلك ، واذا اقتفى المغاربة طرقا صوفية اخرى خارجة عن المغرب مثل (القادرية) لمؤسسها عبد القادر الجيلالي فان المغرب ، احدث لها زوايا خاصة ذات اوراد مغربية ، وتعدد (الزوايا) في المغرب تعدد في الاسلوب والمذهب ، لا تعدد في الهدف ، فالقادرية تتسم انسيتها بالجبرية ، بينما الشاذلية تتسم بالقدرية ، وعلاقة التصوف بالقدر والجبر علاقة جدلية .

واتسمت الصوفية المغربية بتدعيم التعاون ، وكان الشيخ الشاذلي يركز على (الجود) و (الكرم) والبذل والعطاء لخلق تلاحم انساني اجتماعي وانتقد الامام الهبطي في منظومته (البخل) الذي شاع في عصره مؤذنا بتفكك الانسان المغربي كما ان الشيخ المجذوب ، تعرض في حكمه لضعف الكرم وآفات ذلك الاجتماعية حيث يكسب النفس (الشح) .. ويفقدها خصائصها الانسانية .

وكان الشيخ ابو العباس السبتي في مراكش يقوم مذهبه الصوفي على اساس المعاونة والاسعاف كما كان مذهب محمد صالح يقوم على أساس مساعدة ركب الحجاج بواسطة تأسيس مراكز في المغرب الى المدينة لايواء الحاج واسعافه .

والغريب ان رؤساء الحناطي وهم النقابيون (بالاصطلاح الحديث) كانوا منخرطين جميعا في الزوايا الصوفية تدعيما لروح الالفة والتعاون بينهم ، ورعيا لمصالحهم .

واذا فالمجتمع المغربي يتسم بشخصية قوية متضاعفة متماسكة ، وقد توفرت كل عوامل الوحدة القومية والوطنية للحفاظ على قوة شخصيته .. وتظهر هذه العوامل جلية كلما هب ليرد عنه غارات المعتدين، لذلك استطاع بسهولة ان يحطم امبراطورية روما التي لم تعجز عن الاستيلاء على اوربا ... وان يقف في وجه الخلافات المذهبية المسيحية .. وان يحقق الذاتية المستمرة ..

ومسايرة لهذه النزعة الوحدوية ، كان سنيا مالكيا ، متضامنا في مذهب فقهي واحد ، كما كان اشعري العقيدة دون الخوض في الخلافات الفقهية ثم صوفيا على طريقة التصوف السلفي الجنيدي ... ورغم ظهور بعض النزاعات المذهبية والصوفية فانها ظلت ضعيفة محدودة لم تنل من وحدته ، وكانت هي نفسها في صميم الوحدة ، وعاملا في خلق حوار ايديولوجي يثري تجربته .

وكم حاول المستعمرون تفويت وحدة الشخصية المغربية بعد تفويت عدة مجتمعات في البلاد الشرقية، ولما لم ينجحوا في تقليم اظفار المغاربة سعوا الجهد (لتفويت الحضارة المغربية) عن طريق تفويت اللغة العربية سواء على يد المبشرين او المستعمرين ، وتفويت التقاليد ، وتحريف التاريخ واستيلاب الثقافة المغربية .

ان المغرب شخصيته الحضارية التي تعتمد على تقدير الانسان والايمان بكرامته وتوحي باحترامه، وتعتبره عضوا بناء وتشييد ، ويراه (القانون) انسانا حرا محترما بريئا الى ان يظهر اتهامه ، صادقا الى ان يظهر كذبه ، ونزيها الى ان تظهر سرقته ، عكس الثقافة الغربية التي ترى الانسان اقرب الى عدم الاستقامة يؤخذ بعين الحذر ، والشك ، سواء في اقواله او في تصرفاته .

الرباط : الحسن السائح

من وحي آراء صاحب الجلالة:

مسيرة الفكر والتنظيم

للأستاذ عباس الجراري

في كل نظرية او مذهب تقوم ثلاثة عناصر يلزم ان تحدد بشمولية وعمق، وبجدلية وتوازن، وأن تحل معادلتها في تلاءم بينها وتوفيق محكم.

هذه العناصر هي :

اولا : الهدف

ثانيا : المبادىء والمنطلق النظري اي الفكر

ثالثا : المنهج والاسلوب والاطار اي التنظيم .

والهدف في مداه البعيد او المرحلي هو الذي يحدد نوع الفكر ويضبط شكل التنظيم . وهدفنا بعد أن تحررت الصحراء - وكما أوضح صاحب الجلالة في الخطاب الذي القاه بمناسبة عيد الشباب في نفس عام التحرير - هو « توطيد الاستقرار سياسيا واقتصاديا وبناء صرح المغرب النهائي بمؤسساته وما تفرضه تلك المؤسسات حتى تجعل بلدنا في مأمن من كل عبث ... يقطع مسيرته السياسية والاقتصادية للاستقرار والاطمئنان ليربح بها قرونا لا اعواما، حتى يصبح ذلك المغرب الذي فكر فيه اجدادنا وآباؤنا ونفكر فيه نحن على مستوى القارة وعلى مستوى العالم في قرن الالفين » .

تحقيق مثل هذا الهدف يحتاج الى أمرين اثنين:

اولهما : خطة فكرية واضحة .

والثاني : اطار واع بهذه الخطة قادر على التحرك نحو الهدف .

ربما يوجد من بيننا من يومن بالفكر وحده ومن يومن بالتنظيم وحده، اي كلاهما بمعزل عن الآخر . بعض مفكرينا يدعون الى مبادىء وآراء دون النظر في جانب التنظيم، وآخرون غيرهم من رجال الاعمال ا مقتنعين بفعالية المادة والمال يرون امكان التنظيم، انطلاقا من العمل الاقتصادي، دون الرجوع الى نظرية فكرية .

وبدون ان اعتمد منطلقات غربية أو شرقية في تقليص العامل الفكري او اعطائه الاولوية في تحريك الاحداث وتوليد الصراعات، فاني أعتقد ان الفكر اساسي وضروري، وأنه هو الانسان بكل معطياته وحاجياته واهتماماته المادية والروحية، وأنه مهما كان تشكيل البنى في مجتمع ما، فان الفكر فيها محوري يتفاعل جدليا مع كل البنيات، سواء أكان اعتباره فوقيا او اقرب ما يكون الى القاعدة المحركة ثم ان الفكر هو المنطلق الذي تبرز من خلاله الطليعة الواعية الموجهة والمنظمة، وهو الوسيلة التي يمكن بها للطليعة ان تتفاعل مع الجماهير، والتي يتسنى بها للجماهير ان تطلق فعاليتها وتبرز مواهبها وقدراتها؛ فضلا عن ان اي عمل لا بد له من نظرية تكون له بمثابة الدليل .

واعتقد كذلك أن التنظيم لازم ، لان الوعي بالفكر لا يمكن أن يتم عفويا وتلقائيا ولان هذا الفكر لا يمكن ان يقتصر على الجانب التنظيري ، اى على الجانب النظري المكتبي ، ولكن لا بد من أن يترجم الى ممارسة والى عمل وتطبيق .

واعتقد بعد هذا أن الفكر والتنظيم هما الوسيلة الكفيلة بتحقيق الغاية التي عبر عنها جلالة الملك منذ عامين فى خطابه بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب حين ابرز أن المهم فى اقامة مثل هذه الذكرى « هو ان نخلق فى من سيخلفنا من الاجيال نفس الاخلاق ونفس الفضيلة وأن ناخذ على عاتقنا ان نكون مدرسة وأساتذة لابنائنا وأن نعرف ما يليق بنا من المذاهب والمبادىء وما لا يليق بمجتمعنا وطريقتنا ومعتقداتنا وان نظل دائما حريصين على مكتسباتنا قائمين بواجباتنا مخططين لمستقبلنا مقومين احسن التقويم لامكاناتنا ومطامحنا » .

* * *

اذن لا بد من الفكر ومن التنظيم . ونبدأ بالفكر فنرى أن قضيته تقتضي توضيح الوضع الفكري الذي نعيشه ، ونقدره بموضوعية وعلمية ومن زاوية وطنية اصيلة ، للنظر فى امكان اقراره او طرح بديل له .

باختصار نحن نعاني من تخلف فكري يبرز واضحا من خلال ثلاث واجهات :

الاولى : اننا لم نتفق بعد على أوليات كمفهوم الثقافة ودور المثقف .

الثانية : اننا مما يفد علينا لا نميز الصالح والفاسد ، ولا نهضم بوعي وعمق ونقد ، ومن ثم نبدو غير قادرين على الاختيار .

الثالثة : اننا اخذنا فى تيار الرفض والشعور بالاغتراب والاستلاب . وهذه كلها ؛ وفى مجتمع كالذي ننتمي اليه ؛ ليست الا ظواهر مرضية وهوات عميقة تفصلنا عن الشعب .

ما هي النتيجة ؟

تمزق فكري وفوضى منبثقة عن اتجاهات متعددة تتصارع فى غير تبلور ولا وضوح حتى فى اذهان المتحمسين لها .

الاشكال الفكرية المتضاربة تسير فى خطين عريضين متقابلين ، يقف بينهما شكل ازدواجي وسط يومن بالانتقاء من كل جيد ومن كل ايجابي ، لا اريد أن اتعرض له لعدم اتخاذه موقع التطرف فى الصراع، وان كنت أعتقد انه أكثر من غيره مهيا لقيادة الفكر والخروج به من المازق الذي يوجد فيه .

ما هي اذن ماهية الخطين اللذين تسير فيهما الاشكال الفكرية المتضاربة ؟ اما أحدهما فقديم متجذر مدعم بتراث ضخم تكون خلال العصور وترسب عبر الاجيال . هذا الشكل — على ايجابيته وعلى اعتباره الضمان لاصالة أمتنا وعلى ارتباطه الوثيق بضميرها — كبير السلبيات ؛ يحتاج الى أن يزيل عنه الشوائب العديدة التي تراكمت عليه فى فترة الانحطاط وعلى عهد الاستعمار ، والتي فرضت عليه جمودا باعد بينه وبين العلم والعقل والحرية والابداع ، ويحتاج الى ان يطور نفسه فكرا واساوبا وعقلية حتى يمكنه أن يساير العصر ومتطلباته بوعي وكفاءة وفاعلية .

واما الثاني فجديد ، منفصل فى جملته عن الجذور ، ومتخذ نتيجة ذلك موقف خصومة من الشكل القديم يصل الى حد الرفض للتراث وحتى للكيان والذات . شبابنا يرفضون الفكر التقليدي فى اشكاله ومضامينه ، ويرفضون الواقع كذلك . فهم يعانون من صراع كبير بين ذاتهم ومجتمعهم ؛ وهو صراع فى الحقيقة بين ذات مثالية يريدون أن يحققوها فلا يستطيعون ، وبين ذات واقعية يرونها مرضية فمنها ينفرون . بل انهم عندما يحتكون بالحياة والناس يشعرون بالتناقض الصارخ بين المثل والواقع ، بين ما يقال وما يمارس ؛ ويجدون ان للمجتمع معايير يقيس بها السلوك هي غير ما تربوا عليه فى المدرسة والجامعة .

لسنا هنا بصدد مناقشة مشاكل الشباب ، ولكن يجب أن نعترف بأن الشباب بطبيعته لا يرضى بالواقع، ولا يومن بالقديم ، ولا يقر بأن كل المجد كان فى الماضي . وهو ابدا متطلع الى الجديد والى الامام . ومع ذلك فانه اذا كان يقف من الفكر التقليدي يرفض ، فانه فى ذلك على بعض الحق ، لان هذا الفكر لا يسعفه فى تطلعاته وقدراته على الاستيعاب ، ولا يستجيب لما يعتمل فى عقله وقلبه من دوافع وحوافز لمعايشة العصر والتفتح على المستقبل . وهو اذا كان يقف من التراث بسلب فلأن المهتمين

بهذا التراث ما زالوا يقدمونه منفصلا عن الواقع ومجردا من كل عناصر الحياة ، ولم يوفقوا حتى الان الى تقديمه الاجيال الصاعدة فى صورة متطورة وعنصرا دافعا للمستقبل ولتحقيق التطلعات .

من اجل هذا يبحث شبابنا عن البديل هنا وهناك وبدون جهد، فيصادفون ألوانا فكرية كثيرة يلتقطونها، تجذبهم اليها فى سهولة ويسر ، بما تتضمن من مفاهيم ومناهج ونظريات ، وبما تبعث فى نفوسهم من نوازع التمرد والانطلاق وتحقيق الذات . وهم فى نشوتهم بهذا الجديد لا يدركون بل لا يقدرون على ان يدركوا ما فيه من دس وتحريف وهيمنة ، طالما انهم فى اول الشباب وفى بداية التكوين ، وطالما انهم لا يسعفون بالارشاد والتوجيه فى البيوت ومؤسسات التعليم وفى مختلف مرافق التنشئة والتربية .

وليس من شك فى ان الصراع طبيعي فى المجتمعات ، وذو اهمية بالغة ، لانه السبيل الوحيد لانبثاق الجديد من القديم فى مختلف الظواهر وعلى جميع المستويات ، ولكن ليس الى حد التمزق والتنافر وانعدام نقط الالتقاء بين الاجيال . فمثل هذا الوضع لا يمكن ان يساعدنا فى مواجهة الصراع العقدي الذي نعيشه مع خصومنا المكشوفين والمقنعين فى الخارج ، والذي يحاول التسرب الينا فى الداخل . وهو يشكل خطرا علينا ان نحن تجاهلناه او هونا امره وتركناه ينمو ويتضخم ويتفاعل سلبا وايجابا دون تخطيط مدروس ومحكم للمواجهة .

ثم انه غدا واضحا ان القوى العالمية اتجهت فى استراتيجيتها الى سلاح الفكر والحرب الايديولوجية ، لاسر العقول والتأثير عليها وتوجيهها لاعتناق مذاهب وعقائد ، ابسط اخطارها انها تحمل الآخذين بها على تبعية فكرية رخيصة مثقلة بالتشويه والمغالطة ، وتحملهم كذلك وبمجانية على مواجهة ظروف التطور والنمو فى بلدانهم بروح من السلبية تهدف الى الهدم والتخريب ، بدءا من التشكيك وزعزعة الثقة بالنفس والقيم والكيان ، مختفية فى ذلك كله خلف مبادىء جذابة وشعارات براقة .

بعد هذا التحليل السريع من حقنا ان نتساءل: ما هو الفكر الذي نريد ؟ يبدو لي أن أحدا لا يختلف فيه من حيث مبدأه ، اى من حيث هو فكر وطني . وهو بهذا البعد يجب أن يعي الاشكال المطروحة داخل وضعنا الثقافي ، وأن يعتبر المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وان يضع فى رؤياه وحدة النظرية والسلوك او وحدة الفكر والممارسة ، وان ينطلق فى تركيبه من ديننا ولغتنا وكل الجوانب الحية فى التراث النابع منهما ، وأن يستجيب علميا وعمليا لمتطلبات بناء مغرب جديد فى عصر تتصارع فيه الافكار وتتضارب المصالح وتتصادم الاتجاهات .

وهذا معناه ان يكون فكرا تتحقق فيه ثلاثة عناصر :

الاول : الاصالة وتعني انطلاقه من مقوماتنا الثقافية وقيمنا الروحية ومقدساتنا الوطنية ، ومن واقع امتنا وما يفرضه من مسؤوليات مستقبلية .

الثاني المعاصرة وتعني ارتباطه بالعصر والعلم ومختلف التيارات الانسانية الايجابية. والح على العلم لانه سلاح العصر ، ولانه الفرق الحقيقي بين امة متقدمة وأخرى متخلفة . ولست اقصد العلم المادي والتقني فحسب ، ولكني اقصد كذلك العلم الانساني الذي يجب أن نجعله مواكبا للبنيان المادي فى المجتمع ، بل ان العلم كله يجب أن يكون فى خدمة التنمية ، اى ان يربط بالتطبيق فى الخام بينه – حتى فى المستوى الاكاديمي – وبين عملية الانتاج .

الثالث : الوحدة وهي لا تعني فرض فكر معين او مذهب خاص بطريقة آلية تجعل من افراد الامة نسخا طبق الاصل ، ولكن تعني الالتقاء فى ارضية موحدة ، والالتزام بحد ادنى من المبادىء والمفاهيم والمقولات ، والنظر الى الحياة والى المجتمع والى مستقبل البلد من خلال رؤيا شمولية تنطلق من الوعي بالامكانيات البشرية والمادية لوطننا والظروف النابعة منا والتي يفرضها الواقع علينا سواء فى الداخل او الخارج .

ومثل هذه الوحدة لا يمكن ان تكون ايجابية الا اذا تجسدت على بساط يلتقى فيه كل رأي وكل ابداع وكل اجتهاد وكل نقد ، ولكن بشكل منظم بناء ، بحيث يتحقق الالتزام ليس فى مفهومه الوجودي او الاشتراكي بالتحديد ، ولكن فى أبسط معانيه وأعمها، تحفزا من حرية الذات الفردية وفى انسجام مع الضمير الجمعي العام .

ان الالتزام بفكر موحد فى عالم يتميز بالازدواج الفكري حتى فى المعسكرين الكبيرين ، لا يعني

الانغلاق والخضوع لاتجاه واحد بطريقة قسرية تعسفية ، ولكن يعني تكوين مجموعة من الافكار والقيم والمبادىء الاساسية نومن بها ونطبقها ، على ان نقبل كل اتجاه سليم كيفما كان مصدره ، شريطة أن يكون هذا التقبل بطريقة غير آلية أي باقتناع ووعي، وبدون عقد ومركبات ، وفي ملاءمة بينه وبين التكوين الاصيل ، وعلى اعتبار أن ما يأتي من الآخرين ليس غير تجربة من التجارب ، لا يلزم أصحابه فضلا عن ان يلزم الغير .

نريد بهذا لفكرنا ان يكون كالشجرة الكبيرة تاتيها جذور كثيرة تغذيها ، وهذه الجذور على تعددها وضربها في اعماق متباينة تفضي في النهاية الى جذع هذه الشجرة لتصب فيه وتنميه متحدة متكاملة . ولكن في الوقت الذي ندع مائة زهرة تتفتح على هذه الشجرة وحولها نستاصل كل الطفيليات والنباتات الضارة والاعشاب السامة .

والنتيجة ان فكرنا سيكون وسطا بين الاستبدادية بما فيها من الزام واجبار وتبعية عمياء ، وبين الفوضوية او الحرية الفردية المطلقة بما تعتمد من تلقائية وغريزية في تحقيق المصالح الخاصة والعامة. وبهذا يتحقق جانب من مبدا الوسطية الذي دعا له صاحب الجلالة حين ادار عليه خطابه التوجيهي لاعضاء البرلمان في افتتاح أولى دوراته هذا العام ، انطلاقا من قول الله تعالى في سورة البقرة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

واذا كانت الحرية من حيث هي قيمة ومبدا لا تتبلور الا من خلال الموقف الذي يعطيه اياها الممارسون ، فانها لم تكن ابدا ايجابية في بعدها المطلق ، اي باعتبارها القدرة على أن يفعل الانسان ما يشاء دون قيود ذاتية او مجتمعية من شانها ان تحد قليلا او كثيرا من غلواء الحرية الغريزية التلقائية سواء على النطاق الفردي الوجودي او على النطاق الجماعي الفوضوي . وقد يصل كلا النطاقين الى درجة من الحرية لا تؤدي الى غير الهدم . فكلما تقدم الانسان في مراحل الحضارة الا وزاد سلوكه الذاتي والجماعي وعيا وتعقلا ، وزاد بالتالي احساسه بضرورة الانضمام والانتماء والانصهار في الآخرين ، داخل كيان يحميه ويحمي حريته الخاصة والحريات العامة، ليس فقط من عناصر التسلط والاغتصاب الخارجية، ولكن حتى من عوامل التحطيم والتخريب الداخلية التي كثيرا ما تنطلق من شعار الحرية ذاته . ولكن في معناه الفوضوي ابدائي .

والوحدة الفكرية تقتضي تعبئة تبدا في سن الطفولة وتمتد الى مختلف المراحل ، سواء في مؤسسات التربية والتعليم أو في مراكز العمل والانتاج وثكن الجيش ، وعن طريق الاعلام وانشاء منظمات الشباب وتنظيم دراسات تدريبية خاصة وتكوين مجموعات حسب المواقع الجماهيرية ، وما الى ذلك من الوسائل ، حتى ينشا جيل متشبع بهذا الفكر وقيمه ومبادئه ، مقتنع بمنهجه في العمل وباسلوبه في الصراع ضد التخلف بكل ما يطرح التخلف من تحديات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية .

* * *

بهذا أصل الى الشق الثاني من الموضوع ، وهو المتعلق بالتنظيم . ونقطة البدء فيه ان الفكر بدون تنظيم لا يمكن ان يتحقق ، ويبقى مجرد نظرية ، وعرضة للتحريف والاجهاض والموت . فالتنظيم هو الذي يربط الفكر بالعمل في علاقة جدلية بينهما . بل ان حركة الحياة ومسيرة التطور ليست غير خلاصة المعرفة والممارسة ممتزجتين . ولعل كثيرا من الخيبات التي منى بها العرب في تاريخهم القديم والحديث ناتجة عن خلل التنظيم ، وعن عدم الاهتداء الى سبيل للتوفيق بين النظرية والتطبيق في مجالات الحياة المختلفة .

والتنظيم يتطلب اطارا واعيا بالفكر ، مقتنعا به ، على بصيرة في تلقيه والالتزام به والدعوة اليه ، مستعدا لتطوير ملكاته وتنمية قدراته واغناء تجاربه ، قادرا على العمل ، اى على الالتحام مع الجماهير وقيادتها وممارسة المسؤولية ، وفي مستوى ايجاد الحلول لمختلف المشاكل ، وابداع الخطط والمشاريع ومسايرة ركب التطور بنفس المعدل الكبير السرعة التي تفرضها طبيعة العصر ويحتمها التقدم الذي حققته الانسانية في مجال الحضارة والثقافة بما فيهما من علم وانتاج .

والتنظيم يقتضي ان يكون البنيان متراصا ، بدءا من القاعدة الى القيادة ، في اطار علاقات توحد عضوية ، وفي نطاق وجود ايجابي وحضور دائم .

وان جماهيرنا المغمورة بحكم واقعهـــا المتحـــرك وظروفها المتطورة وتطلعاتها اللا محدودة قادرة على تزويد القيادة بعناصر صالحة مخلصة ، لا تنتظر غير الوقت المناسب لتتبلور حوافزها وتظهر على صعيد القوى العاملة معطية ومتفاعلة . وما اظن أن هنـــاك وقتا انسب من وقتنا هذا الذي اقبل فيه المغرب على الحياة الديمقراطية فى اجلى واوسع مظاهرها .

وان مبدأ الاتصال والاستمرار الذي ربطه جلالة الملك بالديمقراطية يعني فى مضمونه تكوين جيـــل قادر على القيادة ، وعلى حمل الامانة ، وعلى العمل فى مجموعات منظمة ، وعلى الالتحام مع الامة . ربما تبدو التجربة الخاصة لجيل الشبان محدودة وبسيطة ، اذ لم يتح لهم فى المؤسسات التعليمية ومراكـــز الانتاج ـ بسبب الفراغ الفكـــري والتنظيمي الـــذي يعانون منه ـ أن يبرزوا قيادات ذات تجربة متكاملة بالحياة وذات مراس بالعمل المنظم ، ولكنهم لا شك افادوا من تجارب الآخرين ورصدوا ما فيها من جوانب الايجاب والسلب ، واصبحوا قادرين على ان يختاروا وعلى ان يمارسوا ما يختارون بكفاية وجد وحـــزم . فهم بحكم تكوينهم وطموحهم ونقاء ضميرهم واتقـاد ذهنهم ، وبحكم نواياهم السليمة ورغباتهم الصادقة وطاقاتهم البكر ، يمثلون قوة تتطلع لبناء المستقبل وتجاوز الماضي بسلبياته وما يثقله من اخطاء . وهم بذلك قادرون على ان يحفظوا التوازن دون الوقوع فى اى انحراف ، لانهم ـ بالاضافة الى ما سبق ـ مؤمنون بوطنهم وبان هذا الوطن لا بد ان يسير الى الامام ، ولانهم بكفاياتهم وقدراتهم مهيأون لتحمل مسؤوليـة تلك المسيرة . ثم انهم شبان واعون بذاتهم ومجتمعهم ودورهم وقدرتهم على الحركة والبناء . وهي كلهـــا مؤهلات تجعلهم مستعدين للحوار الفكري والالتزام والانتظام . ثم ان التحام شباننا مع الشعب هو الذي سيجعلهم يلمسون مشاكله وقضاياه حتى يكونوا فى خدمته . وهو الذي سيجعلهم كذلك يدركون بوعـي سياسي علمي حقيقة الواقع ويدركون بالتالي ابعـــاد المستقبل وصيرورة التاريخ وكينونته المتطـــورة . وهو الذي سيجعلهم بعد ذلك وعن طريق الممارســـة يفكون كثيرا من الالغاز ويحلون غير قليل من العقد التي يعانون ويعاني منها الشعب . ومثل هذا الالتحام بالجماهير هو الذي سيزيد شبابنا وعيا وصلابـــة ، ويكون عندهم الروح الجماعي قيادة وولاء ، كما يكون عندهم التمسك بالارض وحب الانسان الذي يعيش على هذه الارض . وبهذا تتحقق الدعوة التـــي نادى بها جلالة الملك فى « التحدي » مهيبا للعمل الجماعي للبناء المشترك على الارض المغربيـــة ، وليس على سطـــح القمـــر .

والتنظيم ـ وهو تشكيل واسع محكم ـ يمكن بل يجب ان يستوعب مختلف قوى الشعب العاملة التي تساهم ولو بدرجات متفاوتة فى عمليـــة بنـــاء الدولة ؛ وفى مقدمة هذه القوى كل الطلائع الفكريـة والسياسية الممثلة لجميع الاتجاهات والتقسيمـــات الفئوية الموجودة . وهو بذلك ليس حزبا او هيئـــة او تكتلا محدودا ولا يتعارض معها ، بل انه المحـــور الذي سيمكن هذه التشكيلات جميعا ان تضطلع بدور على مستوى الدولة وعلى مستوى القيادة فيها تـــم على مستوى الجماهير العريضة ؛ وسيجعل نشاطها مرتبطا بحركة تدور فى صعيد عال وواسع ومن خلال رؤيا فكرية سياسية تطمح الى تحقيق اهداف مصيرية مشتركة ، يقتضي تحقيقها اجماعا وطنيا ومجـــالا للعمل كبيرا وامكانيات ضخمة وفعاليـــات تتسـم بالمبادرة والحسم . وما تجربة المسيرة الخضـــراء ببعيدة ، فقد كانت النموذج التطبيقي للاطـــار الذي نتحدث عنه .

والتنظيم بعد هذا سيخرج الفكر من عزلته ، وسيربطه بحركة الدولة فى مختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وسيتيح له حضورا رياديا فى الشؤون العامة ، وسيجعله يحقق وجوده ويصل الى مجموع الامة ، فضلا عن انه سيحل ازمة الثقافة والمثقفين ، ليس فقط على المستوى الفكري ، ولكن حتى على المستوى المادي والنفسي .

وتلح على مثل هذا التنظيم عوامـــل كثيـــرة ، فى طليعتها واقع تاريخ بلدنا ، والظروف الموضوعية التي تجتاز أمتنا فى هذه المرحلة الحاسمة ، وكذلك ارهاصات المستقبل الذي تلوح فى بعض آفاقه بوادر قوى جديرة تمثلها طلائع الاجيال الصاعدة ؛ وهي لكي تنمو فى مناخ سليم تحتاج الى استقطاب وتوجيه .

واود ـ وانا اثير جانب التاريخ ـ ان اشير منه الى صفحة ما اظنني اجد خيرا منها فى التمثيـــل لقضية الفكر والتنظيم ، وهى تتعلـــق بالمرابطيـــن والموحدين .

فليس يخفى ان المرابطين اعتمدوا المذهـــب المالكي ، وعلى اساسه انطلق عبد الله بن ياسين فى دعوته يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعظ العامة

ويرشدهم الى امر الدين ، ولجأ في ذلك الى الوسائل العملية فكسر آلات اللهو واحرق دور الخمر ، واخذ يعلم المستنيرين من ابناء قومه يلقنهم دروسا في الفقه وتفسير القرءان والحديث النبوي ، وأسس لذلك رباطا في جنوب الصحراء على ضفاف نهر السنغال، اي معقلا للعلم والعبادة والجهاد ؛ ولم يكن يدخل فيه الا من تأكد من صحة ايمانه ورغبته في العمل وقدرته عليه ، حيث كان يجري لمريديه اختبارا في ذلك ، فهم بعد ان يتوبوا ويعبروا عن ميلهم للانضمام اليه تقام عليهم الحدود تكفيرا لما سبق أن صدر عنهم من الآثام والذنوب التي يعترفون بها ، قصده من ذلك أن يمتحنهم ويطهرهم من بقايا الرجس الذي كانوا يعيشون فيه ، حتى اجتمع له من هؤلاء نفر تربوا على منهج علمي خاص متحمسين لفكرته الاصلاحية وملتزمين بها ؛ فلم يلبث أن دعاهم للخروج والجهاد. وكانت هذه هي الخطوة الاولى في حياة المرابطين ، اعقبتها خطوة توحيد مجموع قبائل الملثمين ، والانطلاق من ذلك الى اقامة دولة المرابطين العتيدة.

والحقيقة أن المرابطين لم يكونوا يريدون رضوخا غير منظم للجماهير ، ولكنهم كانوا يريدونه رضوخا قائما على الفكر ، وعلى الانسلاك في رباط اي في تنظيم مؤطر للقاعدة والقيادة في نفس الآن . وقد شدد المرابطون على الاعضاء المنتظمين حتى لا يحملون معهم رواسب افكارهم وحياتهم القديمة ، وحتى يقتنعوا بالمبادىء الجديدة ويلتزموا بها ، وحتى يتشكل التنظيم من اطر موحدة واعية بذاتها ودورها .

واذا كانت تجربة المرابطين غير مكتملة فالسبب في ذلك راجع الى طبيعة الحقبة التاريخية التي مروا بها ، والى خبرتهم المحدودة في هذا المجال وخبرة الدول السابقة عليهم سواء في المشرق او المغرب ؛ فقد كان يعوزهم المثال المكتمل للتنظيم .

وهذا على عكس الموحدين الذين استفادوا من التجربة المرابطية ومن تجربة الفاطميين ، فأقاموا تنظيما بنوا على أساسه دولة في غاية القوة والعظمة. فعلى مبادىء مذهب متأثر بالاشعرية والامامية وافكار الغزالي وآراء الاعتزال ، نظم المهدي اتباعه حيث صنفهم مجموعات : فالعشرة الذين بايعوه اول الامر وخرجوا معه من مراكش يسميهم الاصحاب والجماعة، وهم عنده اشبه ما يكونون بالمهاجرين الذين خرجوا مع الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة .

ويتبعهم في الرتبة اهل الخمسين ، وهم خمسون رجلا يمثلون كافة القبائل ؛ ثم تتوالى الاصناف : اهل السبعين ، والطلبة ، والحفاظ وهم صغار الطلبة ، واهل الدار ، واهل هرغة ، واهل تينمال ، وجدميوة، واهل جنفيسة ، واهل هنتاتة ، فالجند ، ثم الغزاة والرماة . ولكل صنف من هذه الاصناف رتبة لا يتعداها غيرهم لا في سفر ولا في حضر ، لا ينزل كل صنف الا في موضعه لا يتعداه ، فانضبط مراده وأقاموا على ذلك مدة حياته على حد قول المؤرخين .

ويتضح من هذه السلسلة أن التنظيم الموحدي كان قويا ومتماسكا ، وانه ــ انطلاقا من الالتزام بالمذاهب ــ سار في اتجاهين : احدهما فكري نخبوي للعمل الفكري ، والثاني جماهيري للعمل المسلح . وقد سمى المهدي اتباعه بالموحدين والمؤمنين ، وكان يقول لهم : « ما على وجه الارض من يومن ايمانكم ، وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام : لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » .

من خلال نفس هذا المثال الذي توصلنا به من تاريخنا المجيد يمكننا ان نطرح قضية التوفيق بين الفكر والتنظيم ومدى اهميتها في قيام كيان الدولة . فبالنسبة للمرابطين كان الفقهاء في أواخر عهدهم موجودين كتنظيم ، الا انهم بحكم ظروف الدولة الكبيرة التي كانت تحت نفوذهم ، كانوا في حاجة الى ان يطوروا المذاهب حتى ينسجم مع هذه الدولة الواسعة ويكون صالحا لها كايديولوجية ، ولكنهم كانوا عاجزين عن ذلك ، فانكمشوا على انفسهم وغدوا كالفئة ذات المصلحة والامتياز ، وكان ذلك من بين اسباب انهيار الدولة المرابطية .

وبالنسبة الموحدين عرف مذهب المهدي نوعا من التراجع بدءا من عهد المنصور الذي الف للامة من كتب الصحاح كتابا يلغي به فكر المهدي ويقضي به كذلك على المذهب المالكي ؛ وكان في ذلك ميالا الى الظاهرية معجبا بابن حزم ، ولكن كان ينقصه الاطار المفكر الذي يلتزم بالمذهب الجديد ويدعو له ، وكانت هذه بداية انهيار الموحدين .

* * *

ان الدولة في مثل الموقع والموقف اللذين يوجد فيهما المغرب معرضة باستمرار لالوان من

الاختبارات والصعوبات والضغوط والتحديات . وهي لا تستطيع ان تواجهها الا اذا كانت مسلحة بمذهب فكري متكامل ، وبتنظيم متماسك دقيق تعبأ داخله قوى الشعب في وحدة وطنية ، وعن طريق ازالة الطفيليات وعوامل التسميم والتخريب ، وتذويب الفوارق الفكرية التي من شأنها ان تخلق اتجاهات متصادمة وتيارات متضاربة .

وان شعبا ناضجا ونابضا بالحياة يتحرك دفعة واحدة لتحرير ارضه في مسيرة خضراء بعقل وارادة ، وبوعي حاضر وادراك لمعنى المسؤولية ؛ ثم يتحرك دفعة واحدة في مسيرة اقتصادية للمساهمة في قرض مالي للنهوض بالارض المحررة ؛ ان هذا الشعب جدير بأن يذهب في مسيرة للفكر والتنظيم حتى يخوض معركة المستقبل في تعبئة شاملة تضمن له دوام الوحدة والاستقرار واطراد التقدم والرقي .

في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا ونحن نكمل سيادتنا ووحدتنا ، ونواجه في ذلك خصوما حاسدين ، يصبح ضروريا تخطيط الفكر والتنظيم القادرين على ربط النظرية بالممارسة والقيادة بالقاعدة . هذه المرحلة اعادت لنا الارض والانسان ، وأرجعت لنا الثقة بالنفس ، وخلقت من خلال ذلك عقلية جديدة وعلاقات تسير في اتجاه متطور . ولا شك أن مثل هذا التغيير الموضوعي يحدث في حياة شعب ما يقتضي تغييرا فكريا قائما على التخطيط والتأطير والتنظيم ، وقابلا للتحول الى واقع عملي .

على أني اعترف بان الامر في عصرنا ليس سهلا على الاطلاق ، فان مشكلتنا ومشكلة العالم العربي والاسلامي عامة انه لم تتح الفرصة بعد للمفكرين الذين يستطيعون بعلم وذكاء ان يقيموا مذهبا فكريا متكاملا ، قادرا على مواجهة المذاهب الكبرى العالمية ، اي ان يكونوا ايديولوجية أصيلة وعصرية في نفس الآن ، ينسقون في تركيبها بين العناصر الحية في الثقافة العربية الاسلامية وبين العناصر الايجابية في الثقافات الاجنبية ، ويكون في مقدورهم ان يعبروا عن هذا المذهب ويقنعوا به ويغروا بأخذه والتزامه .

والقضية تبدو كبيرة وعسيرة ، وهي كذلك بالفعل ؛ ولكني لا اشك في أن حلها رهن بالممارسة والتطبيق وفسح المجال لهما بشيء من الحرية والشجاعة ؛ وهو قبل ذلك رهن بمدى الاقتناع بالنظرية ، أي بمدى الاحساس بالحاجة الملحة الى فكر وتنظيم .

الرباط : د. عباس الجراري



حركات التحرير بزعامة العرش المغربي

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

حاول محمد البرتغالي أن ينتشل نفوذ الوطاسيين وان ينقذ المغرب من الزحف البرتغالي المطرد فاخفق مما حدا الشعب الى تنظيم مقاومة جريئة ضد المغير الذي استولى على مجموع السواحل كما امتد نفوذه السياسي الى المناطق المجاورة وقد تزعم هذه الحركة في الجنوب الاشراف السعديون الذين ادى بهم الكفاح المسلح الى اقتطاع مملكة مستقلة بناحية مراكش وتحرير اكادير ثم اسفي وازمور واستمر القتال في آن واحد بين السعديين من جهة وملوك الوطاسيين والبرتغاليين من جهة اخرى مما اضعف المقاومة المغربية التي واجهت تحالف ابي حسون مع الاسبان ثم البرتغال ثم الاتراك .

وانتهى الكفاح بانتصار المقاومة المغربية وعلى راسها السعديون ولكن المغرب دخل كما يقول طيراس « في ازمة شديدة تغلغلت في سويدائه طوال قرن ونصف قرن ثم تمخضت آخر الامر عن المغرب الحديث (1) .

وقد اذكى الاعتداء الاجنبي في نفس الشعب الروح العسكرية وبغض الاجنبي المغير وتبطنت هذه الروح باتجاه صوفي جديد نما وترعرع بسبب استمرار الاحتلال البرتغالي لبعض المناطق وجمعت الامة شتاتها في طفرة شاملة تبلورت نتائجها في معركة (وادي المخازن) التي اقصم فيها ظهر البرتغال .

وخرجت الامة من هذا الكفاح الطويل المرير منهوكة القوى متوترة الاعصاب فتقلصت الحياة الحضرية بانهيار كثير من المدن والقرى بسبب ما الحقه البرتغاليون من تدمير لا سيما في الشاوية وحاحة ودكالة التي كانت اعظم مهاد بدوي للعلوم في العصور السالفة .

وعند قيام الدولة العلوية كانت اهم مراكز المغرب الساحلية في قبضة الاجانب ، فكان الانجليز يحتلون طنجة والبرتغال البريجة (الجديدة) واسبانيا المعمورة (مهدية) واصيلا والعرائش بينما كان الفرنسيون يمخرون عباب البحر بسفنهم الحربية بين سواحل الريف ومصب الملوية ، وكان نجم الاستعمار يظهر رويدا رويدا في سماء تلبدت بالسحب القاتمة واكفهرت لها قلوب الامم المستضعفة .

هنالك قيض الله للمغرب المولى الرشيد المؤسس العملي للدولة العلوية الذي بادر بعد امتداد

(1) (تاريخ المغرب ج 2 ص 144) .

نفوذه في الريف الى دعم حوزته بتحصين مرسى (الحسيمة او المزمة) وحجرة (نكور) التي كانت مركز أول دولة عربية بالمغرب في القرن الهجري الاول وما لبثت الدولة الفتية أن ظهرت غربي البلاد وجنوبيها من الامارات الطائفية التي اقتطعتها ومزقت وحدتها ويبدا بذلك صراع عنيف بين المغرب والانجليز الذي كانوا يساندون (الخضر غيلان) .

ثم جاء المولى اسماعيل فعبا قوى البلاد لاتمام برنامج التحرير الوطني فاستطاع في ظرف عقد من السنين ان يطرد الاسبان من المعمورة والعرائش واسيلا ، والانجليز من طنجة وكابد الامريين في حصار سبتة الذي يقال بانه استمر 26 سنة ولم يند يمر ربع قرن حتى أصبح المغرب موحدا وامتدت رقعته الى مجاهل الصحراء وأخصب مناطق السودان حيث لم يسبق للمنصور السعدي نفسه ان وصل ؛ واعترف المغرب اجمع بأن له ملكا واحدا – كما يقول اندري جوليان – اقام ستا وسبعين قلعة في مختلف الانحاء تعزيزا لاستقلال البلاد ودعما لوحدتها فاشع السلام وعمت الطمانينة وشاعت الرفاهية وعرف الشعب المغربي الوجه الحقيقي لهذه الدولة التي قامت على سنة الدين اصيانة الوطن المهدد وبعث الاسلام والحنيفية السمحة وانتشر العمران حتى احصى رحالة فرنسي مائتين وخمسين مدينة عامرة لا تقل الواحدة منها عن ثلاثين الف نسمة ورفرف التسامح بين المتساكنين من مسلمين وغير مسلمين حتى اعترف المؤرخ (كوبهلير) بأن المولى اسماعيل كان (اعظم حماة الفرنسيسكان Franciscanos في العالم .

وفي غضون ذلك كان الاستعمار يوالي مؤامراته ضد المغرب عن طريق التنافس التجاري تمهيدا للاحتكار الاقتصادي ثم السياسي وكان بعض اصحاب الاطماع يهرجون في الداخل والخارج ويحولون دون انصراف الدولة الكلي الى مواصلة دعم الاستقلال وبعد فترة من الاضطراب جلس المولى محمد بن عبد الله على اريكة العرش فاعاد الطمانينة الى البلاد واحبط الاطماع التي حدت فرنسا الى التوسع غداة معاهدة 1667 م / 1078 هـ فحرر (البريجة) واستانف حصار (مليلية) ونشر القلاع والحصون في الساحل وبني معقل (الصويرة) الاستراتيجي ومرساها فحال دون حركة التهريب والتسرب الاجنبي في الجنوب وفتح في نفس الوقت باب المبادلات مع أروبا في حدود ما يجنيه ميزان المغرب التجاري من فوائد وكان يصرف فيض العملة الاجنبية في جلب العتاد الحربي ومواد بناء السفن من السويد وانجلترا واستورد بعثة من الخبراء العسكريين الاتراك لتدريب رماة الجيش المغربي .

وبفضل هذه السياسة الدفاعية أمكن لمعاقل الساحل وبطارياتها ان تصد في ظرف سنة واحدة تقريبا غارتين شنهما الاسطول الفرنسي على كل من سلا والعرائش وكانت فرنسا قد دست احد رجالها في الجنوب وهو (البارون سانطـو) بين قبائل الشلوح يستفزها ضد العرش .

وكان المولى محمد بن عبد الله اول من شجع الحركة التحريرية الامريكية حيث سارع قبل اجميع الى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة .

ثم جاء المولى سليمان فحرر وجدة من قبضة الاتراك واحبط استفزازات فرنسا وقد ضغط عليه (نابليون) للانضمام الى ما كان يسمى اذ ذاك (بكتلة الحصار البري) وهي الحركة التي هدف بها الامبراطور الفرنسي عام 1806 الى اقفال جميع الموانىء في وجه انجلترا وقد هدد نابليون ملك المغرب في رسائل شديدة اللهجة باكتساح افريقيا بمائتي الف جندي .

ولكن المولى سليمان قابل ذلك بالرفض والبرودة غير أن المؤامرات الاروبية استفحلت وتمخضت في النهاية عن اجبار السلطان على التجرد من أسطوله الذي كان يحتوي اذ ذاك على 47 قطعة مجهزة بمدافع وبستة آلاف من البحارة الماهرين .

فلم يبق للسلطان اذ ذاك لحماية الوحدة الوطنية وكيان البلاد واستقلالها سوى مدافعة الدول بعضها ببعض .

غير ان الاطماع الاوربية تبلورت بصورة خطيرة فنشبت معركة (ايسلي) وقنبلت طنجة والصويرة واستعرت (حرب تطوان) وكافح المولى عبد الرحمن ضد الاطماع الاسبانية في الجنوب كما واجه مشاكل الحدود المغربية الجزائرية مع فرنسا وولى المغرب

وجهة صوب الولايات المتحدة الامريكية ففاوضها فى حلف عسكري لاحباط مطامع أوربا وظل المغرب يجابه سلسلة من المؤامرات استمر أوارها نحوا من ستين سنة كابد خلالها اربعة من الملوك العلويين الامرين واستطاعوا الاحتفاظ فى النهاية باستقلال المغرب كما تمكنوا فى نفس الوقت من صيانة ثروة البلاد وتنميتها ، ففى السنة التي تولى فيها المولى عبد الرحمن بلغت رؤوس الغنم وحدها فى المغرب 48مليونا. وقام بتسع عشرة جولة فى الجنوب وحده الى أقصى التخوم لتركيز وحدة التراب وحارب نوعا جديدا من الدسائس الاروبية الناتجة عن (مشكلة الحمايات) فى المغرب غداة حرب تطوان وكان الانجليز والفرنسيون والاسبان يتجاذبون السلطان وكلهم يهدفون لغاية واحدة هي بسط نفوذهم على المغرب ولكن بالرغم عن ذلك كله ظل المغرب محتفظا باستقلاله ووحدته تحت رعاية الدولة العلوية قرنين ونصف قرن .

ثم جاء مولاي الحسن فنفخ فى المغرب روحا جديدة وجدد نظام الجيش فلما جاء مولاي عبد العزيز تزايد الضغط واتسعت شبكة التكتل الاوربي ضد المغرب فتكونت فى فرنسا على الخصوص جمعية معروفة دفعت (بوحمارة) الى الثورة ودعا رجال الاقتصاد الفرنسيون للتسرب الى البلاد من خلال الثلمة المالية كما وقع فى مصر فاضطر السلطان مرة اخرى الى مدافعة الدول بعضها ببعض وطلب عقد مؤتمر (الجزيرة الخضراء) الذي جدد الاعتراف باستقلال البلاد ووحدته الترابية فكان خير ما قدمه المولى عبد العزيز قبيل الاحلاف السرية .

واسفرت الدسائس الموصولة المنسقة بين بعض دول أروبا عن تشديد الضغط على المغرب بواسطة القروض الاجبارية وحركات التهدئة المتعللة بحماية الرعايا الغربيين والتخوم الشرقية عن فرض الحماية على السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي كانت انتفاضته فى الجنوب تهدف الى صون السيادة بجيوش استنفرت من الصحراء واقصى الجنوب وتجمعت حشودها فى (الساقية الحمراء) بزعامة الشيخ (ماء العينين) ووالده (الهيبة) وانضمام المجاهدين من الاطلس والسهول وما كاد نبا توقيع المعاهدة بفاس يطرق الاسماع حتى انتفض السكان والقبائل المجاورة وطوقت المدينة وامتلات الاسوار بآلاف المجاهدين بزعامة (الحجام) وثار الجيش السلطاني على ضباطه الفرنسيين وكانت ملحمة دامية قتل فيها عدد من الفرنسيين (17 ابريل 1912) وشارك فى الحملة الجماعية ضد الوجود الفرنسي العلماء والتجار والنساء والاطفال فقنبلت فرنسا جانبا من المدينة وأعدمت عشرات السكان وتجمعت السلطات فى يد شخصية عسكرية هى الجنرال (ليوطي) الذي ورد على فاس يوم 28 مايو فى خضم من الاضطرابات الشعبية ما ابثت ان شملت المغرب عن بكرة ابيه (2) فثار بنو مطير وكروان وزعير وتادلا وزحف (الهيبة) على مراكش باتفاق مع السلطان الذي نقل بعد تنازله عن العرش الى فرنسا وسير ليوطي خمسة آلاف جندي لصد (الهيبة) وجيشه الزاحف نحو الشاوية ، وتوقفت الثورة فى تافيلالت عام (1916) ثم الملوية العلوية (1919) وظل جيش الاحتلال المتحرر من قيود الحرب يواجه الحملات القبلية طوال اربع سنوات (1920 – 1923) فى الاطلس الصغير وبين لكوس والملوية .

واتسعت شبكة المقاومة المسلحة ، فى الاطلس والصحراء والشمال والجنوب فاستمرت فى (زيان) و (بني مكيلد) الى عام 1923 ، وفى (وادي العبيد) (3) من 1929 الى 1931 ، وفى (آيت يحيى وآيت اسحاق والبحيرة) الى 1923 ، وفى (ملول) وأعالي الاطلس الى 1933 ، وقد اصطدم القواد الاقطاعيون فى نفس الوقت بصمود شعبي أججته الحملات التي تبلورت فى مراكش ضد المستعمر وأعوانه ثم فى الشمال هزم محمد (امزيان) بالريف عام 1909 ثلاث فرق اسبانية مات من رجالها جنرالان وعشرة آلاف جندي ثم ثارت (جبالة)

---

(2) يلاحظ أن العمال المغاربة الذين كانوا يشتغلون اذ ذاك فى مد السكة الحديدية بين الرباط وسلا غادروا اعمالهم فى جنح الليل دون المطالبة باجورهم (كتاب اندري كوليز حول الحماية 1930 ص 104) .

(3) أسر الوطنيون فى بني ملال اربعة اروبيين فدتهم فرنسا بسبعة ملايين فرنك (كوليز ص 155) .

عام 1913 فى الشاون وتطوان الى ان تحالف الاسبان مع الريسوني خلال الحرب العظمى ورغم انهزام جيش الجنوب فى سيدي عثمان فان حركة الفداء امتدت جذورها في الساقية الحمراء والسوس والاطلس الكبير الى عام 1935 وقد ذاق الفرنسيون الامرين فى (تافيلالت وآيت عطة) على يد (الشريف السملالي المعروف بموحا حمو نيفروطن) الذي كافح ضد الجنرال (بوميرو) من 1917 الى 1929 فى انتفاضة اودت بحياة جم غفير من الجنود وواصل النضال خلفه (التقادي) الى 1935 .

وكانت الامة من نهر السنغال الى سواحل المتوسط قد قامت قومة رجل واحد لمناواة المحتل ولم تنجح اساليب الاستعمار الناشىء التي ارتجلها (ليوطي) ودعت اليها ابواقه الصاخبة لان الامة لم تضع السلاح الا بعد نفاذه فى غير رهبة ولا رغبة .

وقد انبرى آل عبد الكريم الخطابي غب الحرب العظمى يواصلون سلسلة الغارات على الاسبان وكان والد محمد عبد الكريم قد حاصر (تفرسيت) قرابة شهر فمرض فتزعم والده تحرير (دار ابارا) المحتلة من المقاتلين الاشاوس ولم يبلغوا عدد رجال (بدر) ثم طاردوا الاسبان بعد انهزام شنيع مات منهم فى غمرته 400 جندي وستة ضباط وتعزز الروافة بالعتاد والمدافع والذخيرة المسلوبة واعتقل مع أخيه عام 1920 ثم اطلق سراحهما فكانت نقطة انطلاق كللت بمعركة (انوال) التي انهزم فيها الاسبان فى 21 يوليو عام 1921 . وفى عام 1923 استولى المقاومون على مراكز العدو بين (جبل درسة) وشفشاون وكبدوه هزيمة فظيعة حول مدينة (داغيت) تحرج بعدها موقع الجيوش الاسبانية فبادرت حكومة مدريد بطلب الصلح وانتدبت وفدا للتفاض فأصر الريفيون على الغاء الحماية بينما عرض الاسبان على ابن عبد الكريم النيابة فى الريف عن خليفة السلطان .

وقد تعزز جانب المقاومة عام 1924 بانضمام قبائل الجبل بين تطوان (والانجرة) ووادي (لو) وشفشاون ثم قوات اخرى من (الفنيدق) الى العرائش فاضطر رئيس حكومة مدريد الجنرال (بريمو دي ريفيرا) الى استنفار سائر جيوش اسبانيا لحماية المراسي غير ان استمرار الثورة فى خط الدفاع الاسباني قطع انفاس العدو كما ان فرنسا شعرت بخطر هذه الاندلاعة التي أوشكت ان تهدد وجودها فى الجنوب ففتح قائدها المريشال اليوطي جبهة جديدة وكان يحسب ان اسبانيا ستكفيه هذه المؤونة ولكن توالى الهجمات الاسبانية حدته الى المبادرة بالهجوم على الحصون الامامية الريفية فى (وادي ورغة) وكان جانب من الفكر العام فى فرنسا واسبانيا قد بدا يدعو الى مساندة المقاومة مما حدا الحزب الراديكالي الاشتراكي الى مطالبة الحكومة الفرنسية بجعل حد لهذه المغامرة الريفية .

وقد حاول جلالة الملك الشاب محمد الخامس ان ينقذ خلال هذه الفترة السوداء ما امكن انقاذه بفضل لباقته وحسن مرونته وكان لجلالته اتصال وثيق بالحركة الوطنية وتأييد خفي لمراميها حتى اعلنت هذه الحركة مطالبتها بالاستقلال عام 1944 فوجدت فى صاحب الجلالة الذي كان يمدها فى الخفاء سندا قويا ما لبث ان ارسلها صرخة مدوية فى خطاب طنجة عام 1947 أمام الملأ الدولي فى المركز الذي ظل عاصمة المغرب الدبلوماسي حقبة طويلة .

وقد غامر محمد الخامس بعرشه ونفسه واهله فى سبيل قضية الوطن العليا عندما وقف فى وجه فرنسا وممثليها بالرباط جنبا الى جنب مع شعبه يطالب بالاستقلال ووحدة الكيان فلم يتورع الاستعمار عن الزج بجلالته فى غياهب المنفى السحيق ومع ذلك ظل جلالته صامدا فى وجه الخصم الغاشم صحبة الامراء والاميرات وكان جلالة الملك الحسن الثاني خير رفيق فى هذا المنفى لوالده المقدس واحتدمت المعركة الكبرى بين الشعب والاستعمار تأييدا للاسرة المالكة فى منفاها فاضطر المستعمر بعد أن حاول الصمود فى وجه الشعب الثائر الى الخنوع والانصياع فرجع جلالة الملك من منفاه ظافرا حاملا لشعبه الوفي خير هدية كللت هذا الجهد الطويل وهي وثيقة الاستقلال .

وبمجرد ما استعاد المغرب استقلاله واسترجع جلالة المرحوم محمد الخامس حريته ، قام — ضمن عادة تقليدية معروفة فى التسلسل التاريخي المغربي — بالقاء خطاب فى وادي درعة يوم 25 يبراير 1959 م (1379 هـ) اكد فيه التنويه بولاء واخلاص القبائل الصحراوية ، مؤكدا ارادته السامية وعزمه الملكي الاكيد كرمز للسيادة المغربية على مواصلة السعي من

اجل استرجاع الصحراء المغربيـــة ، وكان ذلـــك اجمالا لتفصيل خطاب (محاميد الغزلان) التي هي باب الصحراء المغربية في (25 يبراير 1958) حيث استقبل جلالته أبناء أولئك الذين استقبلوا جده من قبل في قرى أخرى بالرقيبات والتكنة وأولاد دليـم وقبائل بشنقيط ، وقد تواردوا ليؤكدوا لجلالته من جديد ما سبق ان عبر عنه اجدادهم مـــن تعلـــق بالعرش العلوي وانتماء المغرب بصلات وثيقة لا تنفصم عراها ، وقد تمهد جلالة محمد الخامس امام هـــذا الجمع الحافل بمواصلة العمل وبذل قصارى الجهد لاسترجاع الصحراء واستعادة كل ما يشهد التاريخ وارادة السكان بوجوب رجوعه عن حق الى المملكـــة المغـــربيـــة .

وكان صاحب السمو الملكي ولي العهد المخطط والمدبر والخبير الذي اشرف على تنظيـــم الجيش كقوام لدعم حركة التحرير حيث قدمه للامة يوم 14 مايه 1956 باسم الجيش الملكي أو القوات المسلحة الملكية التي واصل الامير الشاب تجهيزها بأحدث المعدات جعلت منها قوة وطيدة في طليعة قـــوات العالم الثالـــث .

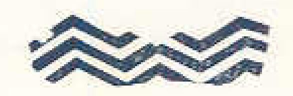
وقد واصل جلالة الحسن الثانـــي في اطـــار مسؤولياته السامية كأمير للمؤمنيـــن مؤتمـــن على سيادة البلاد ووحدة ترابها ـ السعي للحفـــاظ على هذا الكيان واسترجاع الصحراء فكان أول تعبير من جلالته في الاطار الافريقي هو توضيح موقف المغرب لدى التوقيع على ميثاق منظمة الوحدة الافريقية في شتنبر 1963 حيث حفظ حقوقه بالتحفظ الآتي : « ان التوقيع على الميثاق لا يمكن ان يؤول بتاتـــا لا كاعتراف منطوق او مفهوم بالامر الواقع الذي رفضه المغرب لحد الآن بصفته تلك ، كتخل عـــن متابعـــة تنجيز حقوقه بالوسائل المشروعة التي لدينا » وكان اعظم بادرة كللت هذه الطفرة الرائعـــة (المسيـــرة الخضراء) التي استكمل بها العاهل الكريم وحـــدة البلاد وجمع في مغرب جديد جنوب البلاد وشمالها مستهدفا في حزم وعزم وارادة ووعي مواصلة الجهاد لاستئصال آخر معالم الفقر والمرض والجهل .

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

راجع كتابنا باللغة الفرنسية « الحقيقة حول الصحـــراء »

‹ Vérité sur le Sahara › Editions Horuath Lyon - France 1977

حيث حللنا « المسيرة الخضراء » وكتاب صاحب الجلالـــة « التحدي » .





العرش المغربي :

- ضمانة لنا من الهزات
- رمز وحدتنا الخالدة
- قلعة منيعة ضد الاطماع

للأستاذ محمد العربي الزكاري

كلما اظلنا عيد العرش المغربي عادت بي الذاكرة الى الصراع العنيف الذي احتدم بين العرش والشعب من جهة والادارة الاستعمارية من جانب آخر ، واستعرضت امامي شريط الكفاح النبيل الذي خاضه الامة مع الاستعمار وكأنني اعيش لحظاته ، وتراءت في مخيلتي المحاولات الاستعمارية التي كان عرشنا وشعبنا هدفا لسهامها في فترة مشرقة من حياتنا ، أكدت التحام الشعب بالعرش ، وابرزت الوشائج المتينة والعميقة التي جمعت بينهما منذ كان للمغرب عرش يتربع أريكته ملوكنا الابطال رحمهم الله وأجزل ثوابهم .

مفهوم جديد

واليوم وقد اصبحنا طلقاء نتغنى بأمجادنا دون رقيب ، ونعيش احرارا من كل قيد ، ونمارس شؤوننا في ظل ملكيتنا الدستورية ، أصبح لزاما علينا معالجة الذكرى بنظرة أخرى مخالفة تماما لذلك الشريط التاريخي الذي نحتفظ له في مخيلتنا بأعز الذكريات ، وفي أعماق قلوبنا بأنبل المشاعر التي تدفعنا الى الفخر والاعتزاز بعرشنا الخالد وعاهلنا القائد .

وعرش كعرشنا العريق في مواقفه البطولية يتطلب منا تحليلا لمغزى هذه الذكرى في نفوس طبقات الامة على مختلف مستوياتها ، وعاهل كعاهلنا الذي برهن في كل مناسبة عن معالجته للاحداث بنظرة فاحصة ، وعقل وقاد ، وحكمة بالغة ، يستدعينا هو الآخر الى وقفة ازاء تدخلاته الشجاعة التي تمد الامة بنفس جديد لمواصلة المسيرة ...

المفتاح الذهبي

وما من شك ولا ريب في ان المغاربة يعتبرون العرش المغربي حصنهم العتيد الذي اليه الملجأ في كل الازمات ، وبيده المفتاح الذهبي لحل ما يعترض الوطن من مشكلات ، فقد حفظ كياننا من الهزات التي اصابت العديد من الامم ، حيث تعيش بعض الشعوب في بلبلة سياسية واجتماعية واقتصادية مقلقة ، وتحيا جماهيرها تحت الضغط الفظيع والسوط المريع .

ومغربنا بفضل عرشه الوطيد استطاع الحفاظ على استقراره والبقاء بعيدا عن التكتلات المريبة ، وواصل سيره في منجاة من النظريات والاديولوجيات التي تستهدف صبغ الجماهير بأصباغ لا تلبث ان تزول عند تعرضها لرذاذ الحقائق .

الضربـــة القاسمـــة

وعرشنا الذي امتد وجوده مـآت السنيـــن وتعمقت جذوره في أعماق شعب أبي ، قد استطاع الحفاظ على وجوده كعنصر قوي وفعال في حماية البلاد من أطماع الطامعين ، وجشع الحاسديـــن ، وتوفق دائما وأبدا في صيانة كيان الدولة المغربية ، وحماية وحدة الوطن الترابية .

واذا كان المغرب قد تعرض في بعض فتـرات الضعف الى التطاول على وحدته ، فقد كان عرشنـــا يقظا كل اليقظة ، ومتربصا اول فرصة لاعادة تلـــك الوحدة الى وضعها الجغرافي والقانوني والطبيعـــي بتوجيه الضربة القاضية والقاسمة لاولئك الذيـــن تسللوا الى بعض أجزاء المغرب الموحد .

ويقيني أن عرشنا العلوي المجيد منذ قام على تقوى من الله وهو حارس امين لهذه الوحدة ، وعامل على تحقيقها بالطرق السلمية والديبلوماسية ، حتى اذا ما استنفدها واصر الغاصبون على الاحتفـــاظ بالاسلاب سلك سبيلا آخر يدركه من يعرف أصالـــة عرشنا وتصميمه على استرجاع حقوقه الشرعية .

عـــرش خالـــــد

وهذا العرش الذي أقام الدليل تلو الدليل على انه حري بالبقاء وجدير بالخلود يستوحي وجوده مـــن العناية الالهية التي اعدته لهذه الرسالة الساميـــة ، ويستمد قوته لمواصلة صموده مـــن شعب ملتـــف حوله متعلق بأهدابه ، فهو من هذين المنطلقين يعد القلعة المتيدة التي منها تنطلق القوة الضاربة لمـــن تسول له نفسه المريضة النيل من كرامتنا والاعتداء على مقوماتنا والتطاول على حقوقنا والانتقاص مـــن أطراف وطننا او التمركز في شواطئنا .

وعرش قام على تقوى من الله ، واستقامـــت دعائمه على البيعة الشعبية المتجددة في كل مناسبة، لا مراء في ان الله تعالى كتب له البقاء والخلود ليكون مشعل الهداية الاسلامية في هذا البلد الامين .

خفـــافيش الظـــلام

ومن هنا ندرك أن عرشنا يختلف كل الاختلاف عن كثير من الانظمة ، فهو يسمو عـــن السفاســـف ويترفع عن المناورات ، وانما يتحمل ضخامة العبء والمسئولية بنزاهة واخلاص وشجاعة ايضا .

ونظامنا الملكي الدستوري ليس كتلك الانظمة الهشة التي تترنح بين احلام واطماع الذين يتسللون الى الزعامة في ظلام الليل وعلى اشلاء الجماهير التي تستفيق من نومها على وضعية غير قانونية دوليـــا وسياسيا وشعبيا .

فانضواؤنا تحت راية عرشنا واختيارنا الملكية اطارا لحياتنا ينبع من اقتناعنا اقتناعا عميقا وراسخا بأن عرشنا يتقدم الصفوف في معركة الكفاح والنضال، ومن ايماننا بأنه وقف ويقف بجانب شعبه في السراء والضـــراء .

وهذه هي الحقيقة التي نريد ابرازها في هذه الذكرى السعيدة لنفند بها دعاية الخراصين الذيـــن يغيظهم ان يشاهدوا جماهيرنا تسير في ركاب عرشها عن طواعية واختيار ، وتشق طريقهـــا في هـــدوء واستقـــرار .

النمـــوذج المثالـــي

واذا كان من واجبنا في هذه الذكرى السعيدة أن نتحدث عن مواقف ملوكنا ونبرز تضحياتهم عبر مراحل التاريخ ، فسيطول بنا الحديث ، لان القائمة طويلة وبطولاتهم تستدعي الشرح الدقيق والتحليل العميق ، ويكفينا في هذه المناسبة السعيدة ان نقدم نموذجا واحدا وحديثا لاولئك الابطال الذين تعاقبوا على هذا العرش العلوي المتيد .

هذا النموذج هو الحسن الثاني ، فرع الدوحة النبوية الشريفة ، وشبل محمد الخامس رضـــوان الله عليه ، فقد برز سياسيا مرموقا وهو لا يزال وليا العهد ، ويكفي أن يكون خريج مدرسة والده الذي حقق لامته الاستقلال ونزع حرية بلاده من بين مخالب الاستعمار الثلاثي : الفرنسي والاسباني والدولي .

فلقد اعتلى عاهلنا الشاب العرش وامتنا حديثة عهد بالاستقلال ، وكان عليه ان يبني المغرب الجديد من الصفر تقريبا ، وهذه مهمة شاقة وعسيرة وصعبة للغاية ومحفوفة بالاخطار والتبعات ، لولا ما عهد فيه من حزم وعزم قل نظيرهما وعز مثيلهما ، مما أثـــار اعجاب العالم كلـــه وأذهل الناس مـــن السرعـــة والجدية التي جعلت من المغرب الفتي دولة مواكبة

التطور البشري مع الحفاظ على الاصالة المغربية والعربية والاسلامية .

بعيدا عن التهريج

وبعيدا عن المبالغة التي يحاول البعض ان يجعلوها اطارا لتحركاتهم على الصعيدين : السياسي والدولي،وبعيدا كذلك عن الديماغوجية التي يريدون ان يضفوا على شخصياتهم بواسطتها هالة القيادة ، نؤكد أن عاهلنا يمتاز قبل كل شيء بالايمان العميق المستمد من المدرسة النبوية ، ولعل هذه الظاهرة هي السر الدفين في التوفيق والنجاح اللذين يرافقانه في كل الخطوات التي يخطوها على الصعيدين : الوطني والدولي .

ورجل يمتاز بخصال الوطنية الصادقة ، والاخلاص العميق ، والشجاعة الادبية ، والحصافة الفكرية ، لا شك يتربع عرش القلوب قبل ان يتقلد صولجان الملك ، وهذا واقع شعبنا الذي فتح قلبه ووجدانه ومشاعره لملكه الهائم بحب امته ، فتعاهدا على الوفاء المتبادل ، والتجاوب المطلق ، والانسجام المحكم ، والهيام بتعشق التضحية في سبيل صيانة حقوقنا ، والفداء للحفاظ على الوحدة المغربية الازلية الخالدة ، التي كانت وستظل اقانم المشترك بين العرش والشعب .

لا مجال للانفعالات

وهناك جانب آخر له أهميته في تحقيق النصر واستخلاص الحق ، ويتمثل في الاناة والصبر وطول النفس في معالجة المشاكل بالمنطق والحجة ، بحيث لا يترك مجالا للعواطف ولا يدع الانفعالات تتسرب الى تصرفاته كملك يعالج الامور على المستوى الرفيع اللائق بملك مثقف يعي دوره ويقدر مسئولياته ، وهذا ماشهد به أحرار الدنيا ونوهت به أجهزة الاعلام النظيفة في جميع المناسبات .

ويكفينا دليلا على هذا التعقل والرزانة الاسلوب الفريد الذي عالج به مسالة استرجاع صحرائنا كحلقة من حلقات وحدتنا الترابية المغتصبة دون اراقة قطرة من الدماء ، ولولا الاطماع الاشعبية للذين يحلمون في اليقظة لانطلقنا وجيراننا منذ أكثر من عامين لبناء وحدة المغرب العربي الكبير .

اما على الصعيد الافريقي والعربي والاسلامي والدولي فمواقف عاهلنا تدعو الى الفخر والاعتزاز ، وتجعل امتنا في نظر العقلاء والمنصفين امة محظوظة الى ابعد حد ، ولكنها في الوقت نفسه محسودة ممن في قلوبهم مرض .

فقضلا عن عدم تدخله في الشؤون الخاصة للدول كيفما كان شكل نظامها السياسي ، فان له جولات موفقة ونظريات ممتازة في تصوره لابعاد الاحداث ومعالجتها بالحكمة واعطائها ما تستحق من الحلول الايجابية التي من شأنها ان تضع الامور في نصابها ، وتساهم في ازالة اسباب التوتر ودوافع النزاع .

الوحدة الوطنية

وبصرف النظر عن هذه المعطيات كلها تبرز امامنا حقيقة اخرى لها مدلولها الواسع فيما يتمتع به عاهلنا من شعبية اجماعية ، وتتمثل في « الوحدة الوطنية » الملتفة حوله دائما وفي كل الظروف ، وتتجلى بصورة أروع في هذه الفترة التي تتعرض لها بلادنا لحملات اعلامية هوجاء من أولئك الذين تورطوا في تحرشاتهم على حدودنا وانغمسوا في مغامرة نشفق عليهم من نتائجها ومضاعفاتها .

وهذه « الوحدة » التي تتمثل فيها جميع الاتجاهات السياسية والعمالية ، تبرز بصورة قاطعة ان شعبنا يرى في عرشه المحور الذي تدور في فلكه القوى الوطنية ، وان عاهلنا هو الربان الذي يستطيع قيادة السفينة الى شاطىء النجاة ، وهذا الاقتناع الشعبي ناتج عن المزايا ونابع من الخصال التي يتوفر عليها عاهلنا والتي اهلته ليكون في وقت واحد ملكا وقائدا وزعيما وهاديا .

الحياة الديموقراطية

والدليل البارز الحياة المثلى التي يعيشها وطننا التطبيق العملي للديموقراطية في ظل برلماننا المنتخب والذي يمارس نشاطه تحت راية الدستور المغربي الذي ارتضته الامة عنوانا لمسيرتها المباركة.

ولعل وجود هذا البرلمان صعد غيظ أولئك الذين يختقون الاحرار في بلادهم بيد من حديد ، ويعملون على اسكات كل صوت لا يتغنى بحكمهم المستبد ، ومن هنا تبرز الانفعالات الهستيرية لمن لا

يستطيعون الحياة الا في ظل الحراب وتحت فوهات المدافع المعدة لسحق اية انتفاضة شعبية تتطلع الى الحريـــة .

تهنئتنـــا عمليــة

وتهنئتنا في عيد العرش ليست كلاميـــة ولا عابرة ، وانما هي « باقة » من الصفــوف المتراصة والمتماسكة والمتلاحمة حول عرشنا وعاهلنا ، وهذا « الاجماع » الوطني الذي يواكب المسيرة كقوة زاحفة لتقويض دعائم الشر وقوة الغدر ، وتلقين المغامرين دروسا في البطولة المغربية التي لا يجهلها احد .

على الصعيـــد الشعبـــي

ولقد كان بودنا ان لا نشير من قريب أو بعيــد لهؤلاء في مناسبة سعيدة وغالية عندنا ، ولكن تصرفاتهم فرضت علينا افهامهم ـ على الصعيد الشعبي ـ ان المغاربة بكل امكانياتهم البشرية والمادية والمعنوية يقفون جبهة واحدة وفولاذية بجانب العرش المغربي في نضاله العادل لصيانة حقوقنا والدفاع عن كرامتنا وحماية حدودنا .

الـــولاء المتجـــدد

وبعد ، فعيد العرش المغربي مناسبة فريـــدة تغتنمها امتنا سنويا لتعلن بيعتها المتجددة في كل وقت وحين ، وتعرب فيها عن عميق ولائها وخالص وفائها وصادق انتمائها للعاهل المبجل ، الذي نرجـو الله ان يزيده توفيقا ونجاحا ، ويؤازره بمـــدده الالهـــي لمواصلة البناء والتشييد لصرح المغرب الجديد .

محمد العربي الزكـــاري

"ان مدرسة محمد الخامس الوطنية كانت مبنية على ثلاثة أسس : الاطار العام الاوهو الملكية الدستورية، والرفع من مستوى شعبه وذلك بتعميم الثقافة والتعليم وبعث البعثات إلى الخارج دون أن ينسى ذلك المشاكل الحقيقية، والثروات الحقيقية للبلاد التي يكونها ثمانون في المائة من السكان الاوهي مشاكل الفلاحة ."

الحسن الثاني

للذكرى والتاريخ :



للشاعر الأستاذ رضا الله ابراهيم الألفي

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة عيد العرش المغربي لسنة 1942 وقد كانت البلاد فى ذلك الحين تعيش تحت وطأة الحرب العالمية الثانية وتئن تحت نير الغزو الامريكي وقوات الحلفاء النازية على غرة عند مصب نهر سبو القريب جدا من عاصمة الرباط مقر جلالة السلطان من غير علم منه ودون استئذانه ولا اتفاق معه على مستقبل المملكة وتحريرها من ربقة الاستعمار .. مما استاءت له سائر الاوساط الوطنية وعم به التذمر والترقب .. وذلك ما حاولت القصيدة ترديد صداه وتسجيله بمرارة وبحرارة ..

ر. ا. الالفي

كم طاب بين ظلالك العيش ... وزهت بك الايام يا عرش !

كنت الملاذ وما تزال لامة ... يحميك من ابنائها جيش

أنت السماء تزينت بكواكب ... هذى العيون لنورها تعشو

ذا فرقدان لتاج عزك جوهر ... والمشرقات كلاهما فرش

ما أنت الا يتيمة وسواك فى ... يوم الفخار حثالة حفش

عرفوك مذ عرفوا الزمان فأنتما ... صنوان ضمكما معا عش

عشرون قرنا أو تزيد وانت فى ... عمر الزمان معمر (نش)

مرت عليك وانت لم تفتأ فتى ... صعب المراس يهابك البطش

تالله لو وهب الخلود معمر ... لعداك وحدك ذلك النعش

أنت الحياة وما اخالك غيرها ... لولاك كان قوامها الهش

اليوم عيدك فانتصب مباهيا يعلو ذراك البشر والبش
والعيد عيدك فاذكر ما قد مضى والذكريات مواعظ تفشو
ايام كنت الى السيادة سلما يرقى عليك جحاجح حرش
ايام كان بنوك فى أوطانهم لا يرتضى لمقامهم خدش
ايام ان تغضب وتزار بالردى برق الحديد واومض الرش
فالامر امرك لا مرد لحكمه والنهى نهيك لا يرى نقش
ان تدع شعبك للكريهة يغشها او تدعهم لمكارم يمشوا
يتسابقون الى رضاك ولا يرى من بينهم غل ولا غش
هم فى السلام دعاته واذا دعا داعي النزال فانهم وحش
ان طاش سهم من سهام عدوهم فالسهم منهم ما له طيش
ولهم سفائن البحار كانها للمعتدين اراقم رقش
تجري هنا وهناك فى أعلامها لا الرمي يلحقها ولا القتش
ويل لمن امسى لها متعقبا فالاسر موئله او البطش

* * *

واليوم يا عرش الجدود الا ترى فى ساحتيك زعانفا تفشو
حلوا ديارك دون ان يستأذنوا لا مرحب بهم ولا بش
جاءوا وبينهم هراش قائم مثل الكلاب حلا لها الهرش
لم يلحظوا عرش البلاد وربه او يبد منهم نحوه هش
ان الذي ابى عليهم لؤمهم ان يلحظوك عيونهم عمش
اعماهم النهم الذميم وانهم مثل الهلوف فدابه النبش
ان الذئاب اذا حللن بمغنم وغفا الرعاة فهمها النهش
لم يجرءوا أن ينزلوا اذ كنت فى زرد الحديد يحوطك الجيش
انسوا وهذا البحر ملكك خالصا كيف الجواز به امن يعشو !
انسوا زمانا كنت فيه مسلحا كيف السلام اليهم يفشو
ما ضرهم لو أنصفوك عدالة فالحق ابلج والقوى غبش
هيهات أن يحظى الضعيف بحقه فاولو القوى عن حقه طرش
لا تغترر سنرى اذا ما اقلعوا المهر تحتهم ام الجحش

* * *

أين الحماة حماة عرش خالد   هل راقهم من دونه عيش !

ان الغضنفر ان أبيح عرينه   ثم استكان فانه كبش

كيف السبيل الى البقاء لامة   اخنى على احلامها الطيش

نامت واقت حبلها لمحكم   يعتو بها ان شاء او يرشو

لو انت تنظر من تعده سيدا   لو وجدت سيدها هو القرش

اسفى على ابناء قومي انهم   امثال زق ناله الفش

قد كان فيهم كل شيء ثابتا   فغدوا كماء فوقه نقش

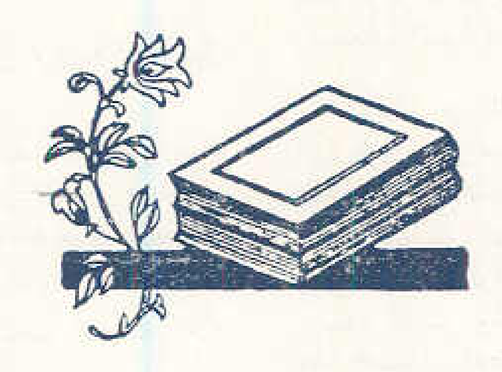
لا تياسوا ابناء قومي اننا   ابناء عرش فخره رقش

حسبى وحسبكم الفخار بما مضى   ان التفاخر وحده فحش

هاتوا لنكتب جملة بدمائنا   (يفنى الجميع ويسلم العرش)

من ديوان العلويات ـ تطوان فى 18 ـ 11 ـ 1942

رضا الله ابراهيم الالفي



الشيخ أبو عبد الله محمد بن عسكر صاحب الدوحة[1] (936-986 هـ)

للأستاذ عبد القادر العافية

قد يقال : ان ترجمة هذا الرجل مشهورة بين بعض الكتاب والمثقفين ... ولذلك فالحديث عنه ربما كان غير ذي فائدة كبيرة ...

لكن الواقع هو انه بالرغم من شهرة ابن عسكر وشهرة مؤلفه « الدوحة » فاننا لا نزال نجهل عنه الكثير ، والغريب فى أمر ابن عسكر هو ان الغموض الذي اكتنف حياته لم يقتصر على المثقف العادي فحسب بل نرى هذا الغموض يقع فيه حتى بعض الذين يعنون بالدراسات التاريخية ، والابحاث المنهجية ...

ولعل سبب هذا الغموض فى ترجمة ابن عسكر يرجع الى عدة أسباب ، منها :

1 — ان ابن عسكر لم يفرد نفسه بترجمة خاصة فهو فى الدوحة قد ترجم للكثيرين لكنه لم يترجم لنفسه اللهم الا ما قد يحكيه عن نفسه عرضا فى بعض التراجم .

ولا شك ان تلك الحكايات العارضة لا تعطينا صورة حقيقية عن الرجل .

2 — ان طموح ابن عسكر خلال حياته وحبه للشهرة والمناصب العالية كل ذلك جعله يصطدم بكثير من الناس ، فمن ذلك مثلا انه كان على عداوة شديدة مع امراء بني راشد بشفشاون ، وكذلك مع أبناء عمهم الشرفاء العلميين بنفس المدينة والاقليم .

3 — ان موقف ابن عسكر الموالي لمحمد المتوكل الذي استنجد بالملك سبستيان البرتغالي (1557 — 1578) جعل كثيرا من الكتاب لا يهتمون بترجمته ، ولا يعنون بتدوين حياته ...

4 — يبدو ان مزاج ابن عسكر وتصوفه جعلانه يقدر نوعا خاصا من الناس كبعض كبار الصوفية ، واصحاب الخوارق والكرامات ...

وهذا هو الذي يفسر لنا عدوله عن ذكر بعض المشهورين فى عصره ، ومنهم من كان فى بلده وعلى مقربة منه ، كالشيخ العلامة الاستاذ المقرىء سليمان الملولي الزجلي الغماري (1) والحسن ابن عرضون ، وعمر ابن عبد الوهاب العلمي ، والشيخ ابى المحاسن يوسف الفاسي وغيرهم ... ولا يبعد ان يكون لمثل هذا الصنيع ردود فعل مختلفة .

ولعل هذه الاسباب مجتمعة او متفرقة جعلت شخصية صاحبنا يكتنفها كثير من الغموض .

---

(1) انظر مقنع المحتاج فى آداب الازواج لاحمد بن عرضون الزجلي مخ. خ. ع. ر : 1026 ك . الذي يقول فيه : استاذ بلدنا له قصيدة فى القراءات ... ص : 111 و 195 .

اسمــه ونسبــه :

هو ابو عبد الله محمد بن علــي بن عمــر بن الحسين بن مصباح الحسني المعروف بابن عسكر . فهو شريف حسني وهذا ما اكده غير واحد بل حتى الذين عيروه وشهروا به لم ينفوا عنه النسب الحسني الا انه هنا ينبغي ان تشير الى ان الاخ الاستاذ الدكتور محمد حجي في مقدمة نشره للدوحة زاد انه (علمي مع ان ابن عسكر لا ينسب نفسه للعلميين ، كما ان العلميين لم ينسبوه اليهم ، ولعل استاذنا الدكتور حجي ظن انه بانتسابه الى شفشاون التي تكثر بهــا الاسر « العلمية » ظن بذلك انه علمي ، أو ربما يكون قد انساق مع استاذنا الحاج محمد داود في تاريخ تطوان الذي يقول : « وقد ستره اشراف شفشاون لعلمه وفضله ونسبه فيهم » (2) والحقيقة ان النسب العلمي مضبوط ، واسرة معروفة وابن عسكر ليس من العلميين ، ونقباؤهم والنسابون منهم لا يضيفون اسرة عسكر الى النسب العلمي .

وعليه يبقى ان ابن عسكر شريف حسني مــن الشرفاء الحسنيين (باهل سريف) (3) وليس من العلميين .

ومن المؤسف ان كلام ابن عسكر في النســب غير معروف الآن ، لانه قد حدد موقفه من بعض الاسر المنتسبة للشرف ، ومن الذين نفــى ابن عسكــر شرفهم شرفاء بني راشد امراء شفشاون (4) .

ولا شك ان نفي شرف بني راشد العلميين ، جلب لابن عسكر بعض المشاكل وسنعــرض لهــذه المسالة فيما بعــد .

نشــأة ابن عسكــر ودراستــه :

نشأة ابن عسكر بمدينة شفشاون في حضــن والده الفقيه القاضي ، وحضن امه الصالحة الشجاعة عائشة بنت احمد بن عبد الله العلمية الحسنيــة . كانت على جانب من التقوى والصلاح ، وكانت ذات شخصية قوية ، وكانت تحدثه احاديث شتى وخاصة فيما يتعلق بمستقبله هو ، وحدثته يوما ان احــد الصالحين اشار اليها وهي حامل به بان ما في بطنها سيكون له شأن عجيب ... !

وكانت تحدثه عن سيرة اسرتها ، وعن احوال والده وكانت احاديثها معــه تهــدف الى بث روح الاعتزاز في نفســه ، والى تغذية طموحه ، وشحــذ عزمه وارادته ... واستطاعت امه في النهايــة ان تخلق منه انسانا طموحا تواقا الى المناصب العالية ، والى مرافقة العلماء والصالحين ، وعلية القوم ...

وهكذا نشا مترجمنا في جو اسرة كريمة تطمح للوصول الى المجد عن طريق العلم والصلاح ...

وكان هو بشفشاون في هذه الاثناء يلازم حلقات الدروس العلمية في المساجد وغيرها ، ويتصــل بالعلماء والفقهاء والصلحاء سواء داخل المدينــة او خارجها ، بقرى الاقليم ومداشــره ... وهــو في الدوحة يحدثنا عن اتصاله بجملة من الشيوخ والصلحاء: كاتصاله بشفشاون بشيخ الجماعة في عصره الشيخ علي بن هارون المطغري ثم الفاسي فيقول : « لقيته بشفشاون وسمعته يفتي بجــواز المفارســة في الارض » (5) وكاتصاله بالشيخ ابي العباس احمــد الحداد امام مسجد الشرفاء (ببني فلواط) مــن الاخماس العليا الذي كان يتردد على شفشاون فيلتقي به مترجمنا ويتحدث معه في التصوف وغيره .. (6)

وكاتصاله عدة مرات بالشيــخ ابي القاســم ابن خجو بمدشر سعادة القريب من شفشاون حيث درس عليه هناك وذكر ان شيخه هذا كان يغــرس دوالي العنب بنفسه ويجعل ثمارهــا صدقــة في سبيــل الله (7) .

---

(2) تاريخ تطوان المجلد : 1 ص : 156 . ويحتمل ان يكون استاذنا داود قصد النسب الحسني بصفــة عامــة .

(3) قبيلة بشمال المغرب قرب القصر الكبير .

(4) اثبت ذلك بعض العلميين بشفشاون : مخ. خاص ، ص : 42 .

(5) الدوحة : ص : 40 ، بترجمة الشيخ علي بن هارون (ت 951 هـ / 1545 م)

(6) الدوحــة : 18 (ت 962 هـ) .

(7) نفــس المصــدر : 13

وهو بالاضافة الى ذلك قد لازم بعض الشيوخ ملازمة طويلة كالشيخ عبد الوارث اليلصوتي الـــذي لازمه مدة طويلة واستفاد منه في عدة فنون .

وهكذا نجد صاحبنا يكثر من الاتصالات بالشيوخ ويدرس عليهم ويستفيد منهم ، كل ذلك وهو لا يزال في ريعان الشباب .

وهو قد اتصل خارج اقليم شفشاون في جولاته وتنقلاته بعدد من هؤلاء ، وكما اتصل بالعلماء والفقهاء واستفاد منهم ... اتصل كذلك بالصلحاء والمجاذيب

... وبالاجمال نشأ صاحبنا تواقا الى المجـــد متمتعا بغريزة قوية جدا وهي : غريزة حب الاطلاع ، فهو يريد ان يعرف كل شيء ، ويكثـــر من السؤال والاستفسار باحثا عن اسباب الاشياء وعللها ، وكل ذلك – طبعا – كان بعقلية صوفية مطبوعة بالطابـــع العام للقرن العاشر الهجري في البلاد الاسلامية .

كتابـــه الدوحـــة :

اسم هذا الكتاب الكامل : « دوحـــة الناشـــر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر »
هذا الكتيب على ضآلة حجمه من اهم المصادر، ولقد افاد منه غير واحد منذ تأليفه الى الآن والى ما شاء الله ، واعتمده كثير من المؤلفين ابتـــداء مـــن القرن العاشر الهجري الى يومنا هذا وخاصة كتاب التراجم ، الى درجة ان بعضهم ينقل عنه كثيرا من التراجم بنصها ولا يضيف اليها شيئا كما نجده مثلا عند الحضيكي في طبقاته ، وكصنيع الشيخ بن عجيبة في ازهار بستانه في كثير من الاحيان .

وبالطبع فقد اعتمد عليه كثير من المترجميـــن والمؤرخين حيث نقلوا عنه في اماكن متعددة : كمحمد الصغير الافراني في نزهة الحادي ، واحمد الناصري في الاستقصا ، والقادري في نشر المثاني ، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني في السلوة ، والعباس بـــن ابراهيم في الاعلام ، والشيخ المختار السوسي في المعســـول ، والاستاذ داود في تاريخ تطوان ، والاستاذ ليبي بروفنســـال في كتابه « مؤرخو الشرفـــاء » . وغيرهـــم .

والحقيقة ان كتاب الدوحة احتفظ لنا بتراجم لا نجدها عند غيره ، وبذلك سد هذا الكتـــاب على ضآلة حجمه فراغا هائلا ، ومن هنا جاء اعتباره مصدرا هاما عند المترجمين والمؤرخين .

وجاء في كتاب (فهرس الفهارس) عن الدوحة قول المؤلف : « وهي في عشر كراريس اليها المرجع في اخبار القرن العاشر من المغاربة ... » (8)

وقال ليفي بروفنســـال في كتابـــه (مؤرخـــو الشرفاء) « يعتبر كتاب دوحة الناشر من الكتـــب الواجب وضعها في طليعة قائمة المؤلفات المخصصة لمناقب الاولياء والصالحين ... (9)

وكتاب الدوحة طبع على الحجر بفاس سنة : 1309 هـ ومع مضي الزمن اصبح هذا الكتيب نادرا. وفي المدة الاخيرة ظهر كتاب « الدوحة » بالسوق : نشر وتحقيق الاستاذ محمد حجي وبعد هذا النشر والتحقيق صدرت تنويهات وتقريظات من هنا وهناك؛ لان القراء كانوا في أمس الحاجة الى ظهور مثل هذا المصدر الهام .

الا انه مما يؤسف له ان هذه الطبعة الاولى على الحروف تتضمن بعض الاخطاء بالرغم مما بذله استاذنا الدكتور حجي في التحقيق والمقابلة على عدة نسخ ، فمن ذلك مثلا : ادخال السيد المحقق « لطـــرة » خاطئة في صلب النص وذلك في ترجمة الشيخ عبد الوارث اليلصوتي : حيث جاء في آخر الترجمة في الصفحة السادسة من الكتاب : « توفي رحمه الله في حدود السبعة من القرن وقبره معروف بموضع يقال له بني دركول بقبيلة الاخماس العليا على مقربة مـــن نهر ورغة وقد نيف على التسعين سنة » (10) .

فعبارة « بقبيلة الاخماس العليا » توجد بطـــرة الطبعة الحجرية الفاسية ، وهي طرة خاطئة ومـــن وضع من لا خبرة له .

---

(8) الشيخ عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس : ج : 1 ص 311
(9) (مؤرخو الشرفاء) ص : 160 . بترجمة الاستاذ عبد القادر الخلادي .
(10) الدوحة ط. الرباط نشر وتحقيق الاستاذ حجي ص : 6 . وانظر : الطبعة الفاسية الحجريـــة ص 5 و 6 .

وعمد السيد المحقق وادخل هذه الطرق في نص الكتاب ظنا منه انها من الاصل مع انها تعليق جاهل ، وهذه الطرة لا يحتمل قطعا ان تكون من امؤلف الجوالة الرحال ... خاصة وانه يثبت ان بني دركول على نهر ورغة ، وبني دركول هذه تقع بقبيلة بني زروال وهي مدشر على مقربة من نهر ورغة كما ذكر المؤلف .

اما بني « دركول » التي بالاخماس العليا فهي فرقة وليست مدشرا بل هذه الفرقة تتوفر على عدة مداشر ، (وبني دركول الاخماس العليا) ليست على مقربة من نهر ورغة كما هو الحال بالنسبة للمدشر الذي دفن به ابو البقاء عبد الوارث ايلصوتي بقبيلة بني زروال ، والزاية اليلصوتية مشهورة بهذا المدشر وكل الذين ترجموا لعبد الوارث اليلصوتي نسبوه لقبيلة بني زروال حيث ما تزال اسرته بزاويته هناك الى اليوم .

واكد هذا كل من عبد الرحمن الفاسي في ممتع الاسماع والمهدي الفاسي في الامتاع ، ومحمد البشير الفاسي في كتابه « قبيلة بني زروال » (11) وغيرهم ...

وعليه فالمطرر — الذي اقحمت طرته في صلب النص — كان خاطئا ، وكان على السيد المحقق ان ينبه على ذلك ، او على الاقل ان يشطب نهائيا عن هذه الطرة ، اما اقحام تلك الطرة في نص الكتاب فهذا لا معنى له بتاتا .

وما دمنا مع عبد الوارث اليلصوتي فانني الاحظ ان السيد المحقق يتعمد كتابه اليلصوتي هكذا: « اليصلوتي » بتاخير اللام عن الصاد وهذا يوجد عند البعض ، لكن ايلصوتي هو نسبة الى (يلصو) الذي هو جد الاسرة ينتسب الى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهذه النسبة مبثوثة في كتب النسب التي تتحدث عن يلصو .

والى (يلصو) هذا تنتسب اليوم عدة مداشر بقبيلة الاخماس السفلى (12) و (يلصو) هكذا ذكره

---

(11) عنوان هذا الكتاب : (قبيلة بني زروال) مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، هو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط لسنة 1962 .

(12) اما فيما يتعلق بيلصو ونسبه فان هذا الموضوع يحتاج الى تحرير ؛ لان يلصو جد الاسرة اليلصوتية تارة نجده : ابن عبد الله ، وتارة ابن محمد ، وتارة ابن مروان ، والكل ابن ابان بن عثمان ، ولقد رد سليمان الحوات في الروضة المقصودة على الذين ينسبون يلصو الى عبد الله بن ابان بن عثمان — ومنهم ابن عسكر — بانه ليس في ابناء ابان من اسمه عبد الله ، ولم يزد على ذلك
والاغرب من هذا هو ان التهامي بن رحمون في « شذور الذهب » ذكر ان ام ابان هي رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم مع ان ابن قتيبة في كتابه المعارف يقول : « كانت ام ابان هي بنت جندب ابن عمرو الدوسي ... ويقول : بأن عقب ابان كثير ... » وبهذه المناسبة انبه الى التباس يقع فيه البعض وهو عدم التفريق بين (بني زرويل) وبين (بني زروال) الاولى قرية من الاخماس السفلى قرب شفشاون ، والثانية قبيلة كبيرة شمال فاس . وجاء الالتباس من انتقال بعض اليلصوتيين من (بني زرويل الى بني زروال) ومنهم الشيخ عبد الوارث اليلصوتي .
فبني زرويل بها نزل (يلصو) حيث جعل منها داره ومستقره ، وهي الموطن الاصلي للاسرة اليلصوتية والنسبة اليها زرويلي ، واليها ينتسب الشيخ ابو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي شارح المدونة ، وشيخ الجيل في عصره وهو يلصوتي كذلك ، واليها ينتسب الشاعر الهجاء ابو القاسم ، والشاعر مصباح صاحب (سنى المهتدي ..) وابو عبد الله محمد بن حيون شارح الصلاة المشيشية وغيرهم .
ويثبت محمد بن عبد الله الهبطي (ت 1001) في (فوائده) ان الاسرة اليلصوتية ببني زرويل بضواحي شفشاون كان بها اكثر من 360 عالما . هذا وقد انتقل بعض ابناء هذه الاسرة الى بني زروال ثم الى فاس وغيرها وما يزال معظمهم بموطنهم الاصلي وتخترق اراضي بني (زرويل) حاليا الطريق الرئيسية الرابطة بين شفشاون ووزان — ابتداء من مفترق الطرق على خمسة كيلو مترات من شفشاون — حيث الطريق الشرقي يتجه الى الحسيمة ، والجنوبي الغربي يتجه الى وزان — وتنتهي اراضي بني زرويل بعد (سوق الاحد) السفلي قيادة تنقوب عمالة شفشاون .

غير واحد من المحققين ، كاحمد بن عرضون في كتابه « مقنع المحتاج » ، ومحمد الصادق الريسوني في كتابه « فتح العليم الخبير » واحمد بن عجيبة في « أزهار البستان » ومحمد الهبطي في « فوائده » ومحمد الصادق ابن ريسون في « موجز تاريخ شفشاون » واحمد الرهوني في كتابه « عمدة الراوين في اخبار تطاوين » وعبد الرحمن الفاسي والمهدي الفاسي والبشير الفاسي وغيرهم ... اثناء حديثهم عن الشيخ عبد الوارث اليلصوتي .

وحتى نسخ الدوحة غير مجمعة على « اليصلوتي » لاننا نرى ان الطبعة الفاسية رجعت عن (اليصلوتي) الى اليلصوتي بعد صفحات .

ثم أن رسوم عقد النكاح للاسرة اليلصوتية تثبت يلصو بتقديم اللام على الصاد ، واذا كان الاستاذ المحقق قد اختار «الياصلوتي» على اليلصوتي فكان من حقه ينبه على ذلك على الاقل .

ومهما يكن من امر فان الطبعة الجديدة للدوحة اصبحت متداولة ، واصبح الناس يتهافتون عليها ... ونتمنى ان يعاد طبعها سليمة من مختلف الاخطاء ، خاصة وانها من أمهات المصادر ، وليس ذلك على همة استاذنا الدكتور محمد حجي بعزيز .

جولاته وطموحه وعداوته لاسرة بني راشد :

اذا كان ابن عسكر قد نشأ بشفشاون وقضى بها فترة شبابه متنقلا بين حلقات الدروس ، ومتصلا بالفقهاء والعلماء والصلحاء ... فان ابن عسكر ما كاد يشب عن الطوق حتى برزت مطامحه واطماعه ... واصبح نشيطا في اتصالاته بالشخصيات الكبيرة سواء داخل مدينة شفشاون — التي كانت اهم محطة للزائرين — بين فاس — بصفة خاصة — وبين ضريح القطب الشيخ مولاي عبد السلام ابن مشيش — او بغيرها .

ولعل صاحبنا كان يطمح ان يلي بعض المناصب الدينية داخل امارة بني راشد ، الا ان طموحه هذا قوبل بالرفض . ويبدو انه منذ ان عزل ابوه عن منصب القضاء بشفشاون (13) لم تتحسن العلاقات بين هذه الاسرة وبين الامارة الراشدية .

ولا شك ان الامير محمد بن علي بن راشد كان يتتبع نشاطاته واتصالاته ... خاصة وانه قد اتخذ من دار شيخه عبد الله الهبطي الداعية المنتقد لسلوك بني راشد ... اتخذ من هذه الدار مدرسته وزاويته ومنتداه ... فاصبح يتردد عليها ويلازم صاحبها .. ثم ان صاحبنا لم يقتصر في اتصالاته بالسيد عبد الله الهبطي فقط ، بل وسع دائرة تنقلاته واتصالاته .

ولا شك ان الامير محمد ابن راشد تضايق من تصرفات صاحبنا ، ولذلك لم يبق امامه الا ان يودع امه ويغادر منطقة نفوذ بني راشد .

وفي هذه الاثناء اقام بقصر كتامة (القصر الكبير) القريب من المواطن الاصلي لاسرته .

وظلت امه بشفشاون ، ويبدو ان عيون الامير محمد بن راشد كانوا يراقبون زوارها وروادها . مما جعل الامير في نهاية الامر يرتاب في امرها ويأمرها بالخروج ، او عدم الاتصال بولدها .

وكل هذه الاحداث جعلت العداوة تشتد بين اسرة بني راشد وأسرة ابن عسكر .

وكانت الاسرة الراشدية في هذا الوقت تدين بالطاعة والولاء للاسرة السعدية الحاكمة ، وكانت هناك علاقة طيبة بين محمد بن راشد والسلطان محمد الشيخ السعدي ، الا انه بعد موت هذا الاخير وتربع خلفه « الغالب بالله » على عرش المغرب اصبحت هذه العلاقة يسودها نوع من الغموض وسوء النية في الامارة الراشدية من جانب السلطان .

ولا شك ان صاحبنا قد اغتنم هذه الفرصة وعمل وهو بمنفاه كل ما في وسعه للاتصال بالبلاط السعدي . وفعلا نجح في هذا الاتصال وعينه عبد الله الغالب قاضيا ومفتيا بالقصر الكبير ونواحيه ، وهو بحصوله على هذا المنصب وبتقربه من البلاط

(13) والد صاحب الدوحة هو ابو الحسن علي بن عمر ابن عسكر من قبيلة اهل سريف : وكان من الفقهاء ، وتعرض للاسرة من طرف البرتغاليين الذين كانوا يحتلون طنجة وبقي في الاسر مدة الى ان اطلق سراحه ، ولاه علي ابن راشد منصب القضاء بشفشاون ثم عزله بعد ذلك .

السعدي ارضى بعض طموحه ، واستطاع فى نفس الوقت ان يغيظ اعداءه حكام شفشاون .

ثم شاءت الظروف ان تزداد العلاقة سوء بين بني راشد بشفشاون وبين السلطان عبد الله الغالب بالله .

ولسنا ندري هل كان لصاحبنا دور فى ذلك أم لا ؟ الا انه مهما يكن من امر فان صاحبنا فى هذه الاثناء كان ممتلئا حقدا وغيظا على حكام بني راشد بشفشاون ومن هنا لا يستبعد ان يكون صاحبنا قد ساهم فى اثارة البلاط السعدي ضدهم ... الذي قضى على امارتهم سنة 969 هـ .

ويشير ابن عسكر فى الدوحة الى بعض ما امتحنا اليه فيقول : « ... وقعت بيني وبينه وحشة عظيمة – أي بينه وبين حاكم شفشاون محمد ابن راشد – اوجبت رحيلي عن بلاد شفشاون ، فوافق ذلك ان قلدني السلطان الغالب بالله ابو محمد عبد الله ابن السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ الشريف خطتي القضاء والافتاء بمدينة قصر كتامة ، وتغور الهبط فاستقررت بهما ، وبقيت السيدة – اي الوالدة – بزاويتها – اي بضواحي شفشاون – وكان القائد المذكور فى نفسه ريبة من جانب السلطان ، فكنت اذا ارسلت احدا ينوب عني فى زيارتها يتوهم فيه انه ربما ينقل اخباره فتصل الى السلطان ، فراى انه لا يسلم من هذا الامر الذي توهم الا برحيل السيدة من هنالك ... » (14)

الى ان يقول : « ... فكان من قضية ابن راشد ما هو معلوم من تسليط السلطان عليه ، وارسال الحركة اليه ، وهروبه ليلا عن شفشاون ، ولم يلو على شيء ، ثم ازعاجه الى بلاد المشرق وموته هنالك ، وتبدد وتمزق كل ممزق .. أما ولده محمد فمات مقتولا بمصر وقطع اطرافا ورمي فى بئر يهودي ... » (14)

وظل صاحبنا حاقدا على امراء شفشاون يلتقط اخبارهم ، ويترصد مساوئهم ، ويذيع هفواتهم ، واخبار نكباتهم ... ونراه فى الدوحة لا يترك فرصة يتاح فيها النيل من أسرة بني راشد الا واغتنمها ويتجلى ذلك بصفة خاصة فى ترجمة والدته وفى ترجمة الشيخ عبد الله الهبطي وفى ترجمة الاخوين الشيخين الريسونيين « علي وعبد الرحمن » .

وليس هذا بغريب ما دام صاحبنا قد نشأ فى جو عائلي مشبع بالحقد على اسرة بني راشد التي عزلت اباه ، والتي لم يحظ هو عندها بما كان يطمح اليه من مناصب وعز وجاه ...

وبعد القضاء على اسرة بني راشد ، ولي صاحبنا قضاء مدينة شفشاون ، الذي طالما تاقت نفسه اليه، وزادت علاقته توطدا مع السلطان عبد الله الغالب ، ومع ولده محمد المتوكل ، واخلص لهما اخلاصا كبيرا . وظل وفيا للمتوكل بالرغم من ان محمد المتوكل قد انهزم امام عميه : عبد الملك واحمد عدة مرات ، واصبح طريدا وفر عنه اصدقاؤه وقواده ... وبالرغم من كل ذلك فان مترجمنا ظل وفيا له ، وراعيا معروف والده الذي قلده المناصب ، ونصره على اعدائه بني راشد ... وهكذا اعماه التفاني فى الوفاء لمن احسن اليه عن الواجب الوطني ؛ ولذلك بذل فى سبيل وفائه آخر قطرة من دمه !!

واذا كنا قد تصورنا منشأ العداوة بين اسرة ابن عسكر ، وأسرة بني راشد فمن الجدير بالملاحظة ان نتعرض لردود فعل هذه العداوة من طرف العلميين بشفشاون بصفة عامة ، ومن طرف بني راشد بصفة خاصة .

سبقت الاشارة الى ان ابن عسكر نفى انتساب بني راشد لآل البيت ...

وبما ان الشيخ أحمد بن علي العلمي قاضي شفشاون (15 كان مولعا بوضع شجرات النسب ، وبالتقييد فى موضوع النسب العلمي بخاصة ، فانه قد رد على ابن عسكر قائلا : « فلا يغرنك ما اشيع على السنة الناس وخصوصا المخزن من انهم اولاد راشد مولى الامام ادريس الاكبر ، فان ذلك افتراء محض

---

(14) الدوحة : 19 وما بعدها .

(14) نفس المصدر .

(15) انظر ترجمة الشيخ أحمد العلمي بمرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي ص : 167 وفى ص : 179 نقل عنه المؤلف شجرة النسب العلمي .

من المخذول محمد ابن عسكر السريفي ثم الشفشاوني لما سبقت له من الشقاوة والعياذ بالله. فانه مع تحققه لشرفهم كان يبغضهم وينتقصهم ويريد خلعهم من البلاد الشفشاونية ليتسع امره بها فسولت له نفسه الامارة ان ينتقصهم بنفيهم من هذا النسب الكريم فما نقص ذلك فيهم بل رجع عليه اهل الهبط واهل المعرفة من غيرهم بالنكير وعدوا ذلك من أكبر هفواته ، ومن حينئذ والعياذ بالله لم يزل ينحط فى مهاوي الضلال بعد ان كان يتسم بسمة الفقراء مخالطا لهم وملابسا لعظمائهم الى أن كان من رؤوس المستنجدين بالنصارى على الاسلام ، وقتل والعياذ بالله معهم ومكن الله منه ... » (16) .

ولا شك ان هذا النص يصور لنا مقدار حقد العلميين بشفشاون على ابن عسكر ، وليس هذا النص الا نموذجا مما كانت تمتلىء به قلوب العلميين بشفشاون على ابن عسكر « السريفي » كما جاء فى النص ...

والامر لا يقف عند هذا الحد بل تثبت الوثائق أن الذي تولى قطع راس ابن عسكر بعد موته فى معركة وادي المخازن هو عبد السلام بن علي بن ابراهيم ابن راشد العلمي .

حيث جاء فى نفس المصدر : « ... وكان الذي قطع راسه سيدي عبد السلام بن علي الاصغر بن ابراهيم بن علي الاكبر بن موسى ابن راشد ، وشاهدته قتيلا بالمعركة بعد ايام وهو مقطوع الراس مبقور البطن ممثلا به ، ملوثا ... لشدة بغض الناس له والعياذ بالله وهذه عادة الله مع كل من اذى اهل البيت ... » (17)

وهذا من كلام الشيخ العلامة احمد بن يوسف الفاسي معقبا على النص السالف للشيخ احمد العلمي (18) .

وهكذا يلاحظ ردود فعل العلميين والرواشد ابناء عمهم حول العداوة بينهم وبين ابن عسكر ...

فابن عسكر قد تشفى فى بني راشد بانقراض ايام عزهم وسطوتهم وبتمزقهم ونكباتهم ... كما لاحظنا ذلك من قبل ، وتشفى العلميون بشفشاون بموت ابن عسكر تلك الموتة الشنيعة .

اما بنو راشد فلقد وجد من احفادهم من تولى فصل راس ابن عسكر عن جسده ومثل بجثته !!

ولقد خفى امر هذه العداوة على بعض الباحثين فظن ان ابن عسكر « ستره شرفاء شفشاون لنسبه فيهم » والحقيقة ان شرفاء شفشاون هم الذين تولوا فضح ابن عسكر والتمثيل بجثته ... والتشهير به ... وهكذا نرى ان هذه العداوة كانت ذات نتائج سيئة ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

(يتبع)

تطوان : عبد القادر العافية

---

(16) مخ. خاص ، ص : 42 .
(17) نفس المصدر .
(18) هو ابن الشيخ ابى المحاسن يوسف الفاسي انظر ترجمته فى المرآة وفى ازهار البستان توفي اثر الفتنة التي اثارها محمد الشيخ المامون



للأستاذ عبد الله الجراري

قامت دولتنا العلوية الشريفة على حماية البيضة الاسلامية بهذه الديار المغربية بعد ما كادت ايدي العبث تجعلها في خبر كان اثر ما ساور دولة السعديين من ضعف وانحلال منذ ان غاب بطلها (المنصور) عن الرقعة وسقط الوطن في احضان خلف ضعيف مثل ادوارا دامية داخل أجزائه ارتكزت على تنازع النفاسة ، على الولاية والرياسة واصبح كل فرد من افراد الدولة يتمنى الوصول (السلمي)

والدخلاء يتمركزون في مضايق تلك الفوضى الداهمة بدعوى الانقاذ وام الشعث مهتبلين الفرة وسنوح الفرصة للانقضاض .

في هذا الظرف الضيق المليء بالكوارث والخطوب اضطر بعض الموفقين لركوب متن الاغالة رغبة الاحتفاظ بالكيان على البقية الباقية حيث النيات الحسنة والطوايا الطيبة تسير غير مكترثة لما يعترضها من عقبات كاداء (طال الزمن ام قصر) لادراك ما تصبو اليه من رغائب وتهدف له من غايات. وبينما هي تنتظر وعلى احر من الجمر اذا بالاقدار تنبثق عن آية كبرى في انطلاق هو الى المعجزة امس منه بباقي الامارات والكرامات ؛ ذلك ما تجلى بأوضح صورة في المولى محمد بن محمد بن الشريف الحسني السجلماسي فكان البطل المترقب ، والسيد الذي استمال جموع اهل سجلماسة (كنز البركة) عاصمة تافيلالت حيث قواعد المغرب مدنه وقراه تنضم اليها تباعا واحدة تلو الاخرى في سباق لتقديم البيعة والطاعة عن اقتناع بررته المشاهدة ، وأوحت به حكمة السيرة والقيادة اللتين كان يسوس بهما الشعب ، مع قوة جسمانية ، وبسطة بدنية ، خولتاه الوصول الى مطامحه السياسية والاجتماعية، ذلك ما جعل منافسيه بل اعداءه الدلائيين يقولون عنه في صراحة (والحق ما شهدت به الاعداء) :

(الاجدل الذي لا تؤوده هموم الليالي ، ولا مكايد الطبيعة والدواهي ، عقاب أشهب على قمة كل عقبة ، لا يقنعه المال دون حسم الرقبة ، لا يقاوم في الصراع ، ولا يزاول في الدفاع) مفهوم غال يرى ساريا في الارومة العلوية الشريفة .

فهذا الحفيد السلطان المولى عبد الله بن المولى اسماعيل طيب الله ثراه تجده في حركته لابن الصخور يستشهد بالمفرد التالي قائلا :

نحن الملوك ذوو التيجان همتنا
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

خصال ابائية سامية تعد بحق دروسا باعثة للهمم نافخة روح العزة واليقظة في النفوس النبيلة خاصة من ستهيئهم البيئة ليصبحوا قادة الرياسة والرعاية كنماذج حية تترسم خطاها وتعقد الخناصر

على تصميماتها ، انها لمحة شجاعة غالية ترى متسلسلة الحلقات ، متماسكة العرى فيمن جاء بعد من رجال الدولة مدعما أسسها كالمولى الرشيد ، وابى النصر المولى اسماعيل ناشر الوية الامن ومحرر التراب ، والمولى محمد بن عبد الله سلفي الدولة ومقعدها ثقافيا واجتماعيا وسياسيا داخلا وخارجا ونظاميا فى غير ما قطاع من قطاعات الدولة . وعالمها المولى ابى الربيع فاتح الافكار ومنقذها من براثين الشعوذة وخداع خرافاتها والراجع بها الى سلفية ابيه ، وتطبيقها فى تعميم بما نشر له من رسائل وخطب فى البعث والتجديد ، وتقيها العنيف الجاد فى كل شؤونه مما غبط فيه عمه المولى سليمان فولاه ثغر الصويرة واعمالها ، ثم ولاية العهد بعد . وسيدي محمد الرابع ذي الباع الطويل فى العلوم العقلية والرياضية كالحساب والتوقيت والتنجيم ، والهندسة والموسيقى ، بل أسس مدرسة لتلك الفنون جوار القصر السلطاني بفاس الجديد . وكالمولى الحسن الاول جامع الجيوش ومنظمها ، والقاضي على سماسرة الفتن بالمغرب وجنباته ، ورابط علائق السياسة الحكيمة مع الخارج ، وتوجيه السفراء والمتعلمين الى اوروبا رغبة ادخال ما جد من علوم وفنون فى تلك الاجواء (كبضاعة ردت الينا) . عقب هذه الفترة فاجأ المغرب ظرف قاتم قاس ، عاش المغرب فيه مضايقا من طرف دول تهافتت عليه بشتى ما تملك من دسائس وحيل الى ان وقع فى شرك الحماية البغيضة سنة 1912 حيث قاسى فى مخازيها المرائر سياسيا واجتماعيا وفكريا حقبة مريرة تحت نير الحجر والضغط الى ان طلع الفجر المغفور له محمد الخامس نور الله ضريحه وجلس على عرش اسلافه المنعمين وقد تيمن الشعب بجلوسه على عكس ما كان يبيته الاستعمار ويقدره من مساوىء وبعون من الخونة والاذناب ظانا فراغ الجو لتنفيذ مخططاته القاصمة سياسيا ومليا واقتصاديا ، بيد ان شيئا من تلك النيات الماكرة فتر امام اول خطاب للملك الشاب محمد الخامس ، فى وقت كانت الوطنية فى العنفوان تتأجج نيرانها على ارضية المغرب المكافح ، هكذا انطلقت الاستمرارية تترى فى مراحل كلها جهاد وكفاح ضد المستعمر الغاشم الذي لا تزيده المخابرات والمطالب فى شتى اساليبها والوانها الا كلبا وعتوا فاتحا أبواب السجون والمنافي والتعذيب على مصاريعها وباشد ما شاء له طغيانه ووحشيته فتكا واعداما . ولست أراني فى حاجة الى الدخول فى التفاصيل التي حفظها التاريخ فى سجله الامين (1) .

بيد ان النقطة الهامة التي نهدف اليها الآن وفى هذه المناسبة الغالية ــ مناسبة الذكرى السابعة عشرة لتربع موحد التراب المفدى الحسن الثاني على اريكة اسلافه الاكرمين ــ انه الحسن البطل خريج المدرسة الاميرية التي كانت جنباتها تتضوع باريج كفاة الاساتيذ فى غير ما فرع من فروع المعرفة عربية وسواها ، المعهد الذي كان المغفور له محمد الخامس يرعاه ويلازمه صباح مساء فى غير انقطاع اذا لا عجب ان نرى اثر ذلك التكوين الاصيل يعطي اليوم ثمراته اليانعة (باضافة المواهب والاستعدادات التلقائية والفطرية) نراه متجليا فى أجواء غدا المغاربة فيها خصوصا والدول الشقيقة والصديقة عموما يقضون منه العجب سياسيا وثقافيا وفكريا ، فتلكم المسيرة الخضراء هي ، وهي وحدها لو انفردت عن باقي المزايا لكانت فى طليعة الآيات الحسنية تهييئا وتخطيطا وابرازها للوجود فى حلة مهيبة مرهبة جميعا ، ثم نجاحا فى النهاية ، لكان ذلك فقط معجزة القرن وآيته الكبرى ، ولا غرابة فقد سمع ونشر واذيع ان هذا النوع من المقاومة السلمية اصبح حديث الامم والدول على اختلاف وجهاتها السياسية والعسكرية تصنيفا ونموا لحد جعل يراودها على اقتباس تصميماته فيما ترمي اليه مستقبلا من وسائل هادفة لا جرم تفوز فى ميدانها دونما اشهار سلاح ، واراقة دماء ، وطبيعي ان يكون الفضل للحسن المبتكر والمؤسس الاول لخوض تلك التجربة التي استغرق التفكير فى تكوينها وخلقها نحو شهرين متوالين ، ذلك ما افسح المجال لاقلام الكتاب والادباء شرقا وغربا لتسجيل معالمها من البدء الى الانتهاء ملقين الاضواء الكاشفة على ما حققته من مغانم ومكاسب ضمت الاجزاء بعضها الى بعض بعد فترة من الغياب .

(1) كتاب التحدي لجلالة الحسن الثاني ايده الله، وكتاب بطل التحرير محمد الخامس للكاتب ، ونضال ملك لمحمد الرشيد ملين وسواها من كتب المت بما جريات تلك الفترة الحاسمة .

ولحكمة العاهل المحرر ، والقانوني ، والمتبصر في المساطر وما توحي به ضوابطها الدولية في هذا الصدد قصد فض النزاعات العارضة بين دولة وأخرى رفع القضية الى محكمة العدل الدولية بعد الرسالة التي قدمها ايده الله الى رئيس الدولة الاسبانية ، وعقب المخابرات التي دارت بين الوفد المغربي ووزير الخارجية السيد احمد العراقي ، ورياسة الوزير الاول السيد أحمد عصمان ، ونظائرهما الاسبان بتاريخ 12 غشت 1974 م ، ثم تنوير أذهان الدول الشقيقة والصديقة بحقائق القضية الصحراوية وأصالة مغربيتها بواسطة بعثات مغربية من مختلف الهيئات السياسية . ثم في (مؤتمر القمة السابع) المنعقد بالرباط يوم 26 اكتوبر 1974 الى يوم 30 منه وزعت (وثائق وصور) نشر وزارة الاعلام . مما لم يبق معه لقائل ما يقول الا من كابر وعاند (رغم اعترافه امام الملأ للمغرب بصحرائه) يرى اليوم وقد انقلب مكشرا عن أنيابه معارضا ومثيرا الحفائظ ، ومنشئا جمهورية خيالية اسماها (جمهورية البوليزاريو) وها هو وفي وقاحة سافرة يقوم بتهجمات على الجمهورية الموريتانية خطفا وتعذيبا وقتلا حتى للاجانب . وهذه التحديات البغيضة لم تترك دولتنا الحسنية (بعد نفاد كنانة الصبر) مكتوفة الايدي لما لها من روابط وتعهدات سياسية واقتصادية ودفاعية ازاء الجمهورية الموريتانية ، ذلك ما جعل جلالة الملك الحسن الثاني في ندوته الصحفية التي عقدها بحضور عشرات الصحفيين — يشير الى ان المواجهة بين المغرب والجزائر اتخذت طابعا ايديولوجيا وانكشف اخيرا تصاعد العمليات في الصحراء مما جعل الحجم يتزايد عددا من المقاتلين ، وارتقاء نوعية السلاح المعقد الذي تستخدمه البوليزاريو ؛ غير ان سياسة الحكومة المغربية التي تقوم على الالتزام الاخوي للتضامن العربي ومسايرة الاوضاع الدولية التي تتواءم مع الاخلاقيات السياسية لتجد نفسها اليوم (كما يقول جلالته) في حالة من التوتر والالتزام الى ان يقول : وقد اعربت الحكومة المغربية أكثر من مرة عن ترحيبها بالوساطة وفتح باب الحوار مبدية استعدادها لبحث النقاط المطروحة والعمل على اقرار التعاون البشري والتقاضي مع الجزائر على جميع المستويات وفي كل الميادين ، وقبول اقرار ترابط وثيق مع الجزائر ، ولكن (يقول الحسن الرائد) بتوكيد انه لا رجعة عن الحق ولا مماطلة وتعليقا للحوار ، وانه في ذات الوقت يستعد لاستعمال (حق المطاردة) وتتبع العناصر المعتدية المقاتلة ، ولا شك أن شيئا من هذا اذا حدث سيضاعف من حجم المشكلة القائمة ، وقد تجر الى مصادمات عسكرية لا تعرف ابعادها وعواقبها . ومن فحوى هذا النص وتلك الكلمات الحكيمة والدالة بطابعها الانساني المتزن — على حنكة الحسن البطل، وحصافة رايه ، وبالتالي تقدير المواقف واستكناه ابعادها وما ستسفر عنه في النهاية .

(يمثل ذو اللب في عقله
مصائب من قبل أن تنزلا)
(فان هي قد نزلت لم ترعه
لما كان من قبل قد مثلا)

ذلك ما جعل الصحف على اختلاف ألسنتها وأقلامها داخلا وخارجا تتسابق في حماس على نشر واذاعة ما ضمته الندوة من حقائق واقعية منبثقة عن افكار ان دلت على شيء فانما تدل على شخصية الحسن البطل وعبقريته النادرة التي تعد شخصية القرن دونما نزاع وتدليل .

(معاليه لا يحتاج فيها لشاهد
وتفسيري المعلوم ضرب من الجهل

وهكذا دواليك في كل ندواته وخطبه المرتجلة بلغته وسواها مما يقضي منه الادباء والخطباء العجب سواء المسلمون منهم والاجانب . ثم لا نذهب بعيدا فهذا مؤتمر وزراء العدل العرب والمؤتمر الثامن للمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة — الذي افتتحه جلالته زوال يوم 14 دجنبر 1977 بخطابه التوجيهي وباللغتين كان هو الآخر مجالا للاعجاب والاندهاش ليس فقط من ارتجاليته واسلوبه الحكيم بل ومن تقنيته وقانونيته ، حيث وضع الحروف على النقط للمؤتمرين بعدما حفز الكل

لاعطائه لقب (القاضي الاول) ولا عجب وهو خريج العلوم القانونية ، والمبدع احيانا فى قضاياها باجتهاداته الهادفة ، وشيء من هذا ادركناه حتى فى دروسه الحسنية امام جمهور من علماء الشرق والغرب بمناسبة الدروس الرمضانية ، اذ كان ايده الله يوم الختم يقوم بالقاء درس يدور حول آية او حدث يكون محط اعجاب الحاضرين بما يبديه فى صلب العرض من آراء واستنباطات لا تنجلي واضحة المعالم الا للاكفاء المهرة لسانا وتشريعا . وبعد فما على القلم وهو عاجز عن تتبع مزايا الحسن الموحد الا أن يقف مهنئا جلالته بالذكرى السابعة عشرة لجلوسه على عرش اسلافه المنعمين داعيا المولى تعالى ان يحفظه وسمو ولي عهده وصنوه المولى رشيد وسائر الاسرة المالكة بما حفظ به الذكر الحكيم .

الرباط : عبد الله الجراري

على الآلاف من الذين ينكبون على الدراسة أن يعلموا أن الآمال المعلقة عليهم ليست مقصورة على أوليائهم وآبائهم ولكن هى آمال المجموعة المغربية كلها . فكل مغربي يتعلق أمله بذلك المهندس ، كل مغربي أمله معلق بذلك الطبيب ، كل مغربي أمله معلق بذلك العسكري ، كل مغربي أمله معلق بذلك الأستاذ . فإذا وعت أجيالنا الصاعدة وأطرنا الناشئة . فإذا وعت واحست بأن الآمال المعلقة عليها لا تنحصر في أسرتها وإنما هي آمال كل من يراها تغدو وتمشي وهي رائحة من المدرسة إذا وعوا بهذا كله وفهموه وتفهموه ، لي اليقين أن غيرتهم الوطنية وحسن مواطنتهم ستجعلهم ينكبون على دراستهم باستمرار ووعي .

الحسن الثاني

اهتمام العرش المغربي بشؤون القضاء ورجاله

أو تاريخ القضاء المغربي في عهد الاستقلال

للأستاذ محمد بن سودة التاودي

لقد اخترت ان يكون موضوع حديثي في ذكرى عيد العرش المغربي هو : اهتمام ملوكنا العلويين قدس الله روحهم في دار النعيم بهذه الناحية الحيوية في حياة الشعوب والامم ، اذ العدل هو الاساس لازدهار العمران ، وهو الدعامة الاولى لبناء عهد الحرية والانعتاق من العبودية وقد قسمت البحث الى ثلاثة أقسام :

فالقسم الاول يتعلق بما كان عليه ملوكنا العادلون رحمهم الله في هذا القطاع الخاص من تنويه بشأنه وشأن رجاله وكونه من أهم مناصب الدولة . ومن احترامهم لرجاله . والوقوف عند احكامهم . ورفع لقدرهم ومنزلتهم . ومن عدم تدخلهم في اصدار أحكامهم فكان القضاء مستقلا تمام الاستقلال بما في هذه الكلمة من معنى . وقد أفضت الكلام عنه في الحلقة الاولى من بحثي بمناسبة عيد العرش لصاحب الجلالة امير المؤمنين مولاي الحسن الثاني نصره الله وايده لسنة 1976 ..

أما القسم الثاني :

وهو عهد القضاء في فترة الحماية البغيضة . وما وصلت اليه حالته من عدم استقلال القضاة في اصدار احكامهم . ومن تفكك وحدته وتجزئتها بين محاكم متعددة . محاكم للقضاة الشرعيين . وأخرى للباشوات والقواد وغيرهما من محاكم فرنسية واسبانية . وعرفية بربرية في الجنوب .

وقد اشبعت الكلام ايضا عن هذه الحقبة من تاريخ قضائنا في الحديث الذي خصصته لذكرى عيد العرش لصاحب الجلالة الحسن الثاني لسنة 1977 .

أما القسم الثالث :

فهو في عهده الحاضر الذي يبتدىء من فجر الاستقلال الى يومنا الحاضر ولعل المناسبة التي اتاحت لي الفرصة للخوض في هذا الميدان الواسع الاطراف والمتعدد الجوانب ، لا تسمح لي الان لان اتعرض الى كل ما ظفر به قضاؤنا من منجزات . لان ذلك يحتاج الى مجلدات خاصة ، لا الى ورقات معدودة عابرة . وايضا فان الظرف المخصص للكتابة ضيق لا يتسع اليه صدر مجلتنا « دعوة الحق » لاخذ ما هو أكثر من المتعين في هذه المناسبة السعيدة التي تجعل رهن الكتاب في مثل هذه المناسبة النادرة .

ولهذا فاني احب ان اقتصر في كلمتي اليوم ولو باشارة عابرة الى اهم المنجزات والاصلاحات التي تمت في فجر الاستقلال في عهد باني أسسه ومرسي دعائمه جلالة سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه . وأسكنه فسيح جنانه . واثابه المثوبة الحسنى على أعماله الخالدة خلود هذا الوطن العزيز . فهو الذي حرر البلاد من ربقة العبودية والاستيلاء من يد رجال الحماية المشئومة الذين كانوا يتصرفون في مقاليد البلاد قرابة خمسين عاما ..

نعم سوف اقتصر فى بحثي اليوم على رؤوس المنجزات دون الدخول فى التفاصيل ، لان ذلـــك كثير وكثير جدا .

وقبل الدخول فى صميم الموضوع لا بأس ان اشير اشارة وجيزة الى الحالة النفسية التي كانت تراود افكار المجتمع المغربي قاطبة . تلك الحالـــة — ويا للاسف الشديد — التي وصل اليها قضاؤنا من تدهور وانحطاط ومن اختلاط بين السلطتين القضائية والادارية . ومن انعدام للقوانين التي تدعم بها الاحكام الصادرة اذ ذاك . فكل من الشعب والملك الراجع من منفاه كانا يتطلعان الى تحقيق مطلب استقلال القضاء قبل كل مطلب لتكون الاحكام نزيهة وعادلة . فلهذه نجد الرعاية الكاملة بالقضاء ورجاله من لدن صاحب الجلالة غداة رجوعه الى عرشه ووطنه مؤزرا منصورا ويتجلى ذلك فى خطبه وتوجيهاته السامية بذلـــك المطلب السامي الذي لم يتحقق فى العهد البائد رغم الملتمسات المتكررة المقدمة فى هذا الشـــأن الى رجال الحماية المستبدين المقدمة من طرف الشعب الممثل فى هيئاته الوطنية .

نعم نلمس ذلك فى خطبته التي القاها بمناسبة عيد العرش بعد رجوعه 18 نونبر 1955 حيث قال : مشيرا الى مهمة الحكومة الوطنية التي سيقع تأسيها انها ستتقلد ثلاث مهام ... ثالثها فصل السلط فى اطار ملكية دستورية حينما تأسست بالفعـــل اول حكومة وطنية بالبلاد كان من ضمنها احـــداث وزارة للعدل بطبيعة الحال . وان مثل هـــذه الوزارة كـــان موجودا طيلة ايام الحماية لكنها لم تكن تتصرف كما تريد بل كان المندوب الفرنسي لدى مستشـــار الحماية هو المتصرف فى شؤون القضاء اجمعه ، وكان الوزير وخليفته وبعض من الكتاب هم كل وزارة العدلية كما كانت تسمى فى العهد البائد .

أما المسؤولية الجديدة لوزارة العـــدل فاننـــا نتصورها من تصريحات الوزير السيد عبد الكريم ابن جلون التويمي رحمه الله ، حيث قال : انه لم تكـــن بالبلاد وزارة للعدل بمفهومها الحديث . وقال مـــرة اخرى : لقد كان هناك « فراغ ظاهر » فى عدة مصالح كان على الدولة ان تقوم بسده . وتعمل على تأسيس المرافق التي تنقصها . فلم تكن هناك دار وطنيـــة للامن . كما لم تكن هناك مؤسسة للدرك .

وعبر مرة ثالثة بقوله : ان وزارة العدل اسست من صفر . فمن هذه التصريحات من مسئول فى حكومة صاحب الجلالة ندرك تمام الادراك الدور الكبير الذي ستقوم به وزارة العدل فى العهد الجديد وتتحمـــل مسئوليتـــه .

وقبل اقدام وزيرنا على مشـــروع منجزاتـــه الاصلاحية أخذ معاليه استشاراته مع جمهرة مـــن القضاة القدماء الوطنيين ذوي الخبـــرة الواسعـــة والتجربة العريضة . وقد رفعت استشارته معـــي حينما زرته فى مكتب وزارته فطلب مني جمع بعض الاصلاحات الملائمة للعصر الجديد ، وفعلا جمعتها (1) له ، ووجهتها اليه .

ولنشرع فى الحديث عن المبـــدا السامـــي الاساسي من هاته الاصلاحات المحدثة . الا وهـــو مبدا استقلال القضاء الذي ارسى على شاطئه دعائم الاصلاحات التي كان صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ينوي ادخالها على الجهـــاز القضائـــــي .

فلقد كان حرصه الدائم على استقلال القضاء فى كل خطبه المنشورة فى كتاب « انبعاث أمة » الجامع لخطبه وتصريحاته . وفى مجلة القضاء والقانون .

وهكذا نجده يقول فى الخطاب الذي القاه على اول فوج من القضاة بعد الاستقلال حينما منحهـــم ظهائر تعيينهم وذلك فى 20 يونيو 1956 م حيث قال رحمه الله : « وقد كان من بين ما هدفنا الى انجازه فى هذا الصدد ان اصدرنا امرنا لوزارة العدل كـــي « تجد » فى تحقيق مبدأ استقلال القضاء ، وتـــهر على جميع فروعه . كما كلفناها فيما يخص القضاة بضمان حقوقهم المادية والادبية » .

وقد تعزز هذا المبدا باصدار ظهيره الشريف رقم : 1.56.14 المؤرخ فى 24 رجب عـــام 1375

---

(1) يوجد النص الكامل لهذه المقترحات التـــي قدمتها الى وزير العدل تحت يدي محفوظة عندنـــا الى الآن وهو مؤرخ فى 13 رجب عام 1375 موافق 2 مارس سنة 1956 ، وكنت اذ ذاك قاضيا بزعير.

موافق 7 مارس 1956 في فصله الاول : حيث جاء فيه : « انه تلغى كل مراقبة عامة او خاصة ، راجعة لتدبير شؤون العدل المغربي » .

وهكذا تتابعت خطبه رحمه الله في هذا الشأن فانه كان يكرر فيها تصميمه على هذا المبدا الهام في ميدان القضاء .

وقد تركزت الاصلاحات التي احدثت في هذا الجهاز القضائي على اهم النقط التي سأتناولها في هذا البحث ، وهي النقط الآتية : واولاها هي التي اوجزتها في مبدا استقلال القضاء وفصل السلط .
اما النقطة الثانية: من برنامج الاصلاحات التي حدثت في هذا العهد فتتلخص في تحضير الاطر الجديدة الصالحة النزيهة الشاعرة بما تفرضه عليها المسؤولية الجديدة في العهد الجديد . ويتجلى ذلك فيما اقدمت عليه وزارة العدل في اختيارها لشخصيات تتوفر فيها الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها قضاة العهد الجديد وهكذا وقع اختيارها على ثلة من القضاة لاول فوج بعد الاستقلال فحازوا ظهائر تعيينهم من يد صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس تكريما لهم . والقى عليهم خطابه المشار اليه آنفا .

هكذا تكون العناية برجال القضاء الشاملة لحقوقهم المادية والادبية . حسب التعبير الملكي . طيب الله ثراه . بعد ان حرموا من هاته العناية في العهد البائد . فلقد كانوا محرومين من كل الضمانات، واليوم أصبحت الدولة تتحمل كل ما يحتاجون اليه ماديا وأدبيا . وبذلك تستريح ضمائرهم من كل ما يخدش في سمعتهم ، أو يجعلهم يقفون امام مقاعد الإتهام والارتشاء .

وقد تعززت الاصلاحات القضائية باحداث وظيفة جديدة في سلك القضاء لم تكن موجودة قبل. الا وهي وظيفة وكلاء الدولة بجميع المحاكم المغربية لصون الحقوق من التلاعب بها ومن مراعاة لتطبيق القوانين التي ستعرف هي الاخرى النور ببلدنا وهكذا نجد صاحب الجلالة محمد الخامس رحمه الله يقول في خطابه لاول فوج من وكلاء الدولة : « ومن الضروري ان يصبح وكلاء الدولة بحكم الوضع الجديد مفارية . وان يكونوا بمقتضى تمثيلهم الحكومة لدى كافة المحاكم خاضعين لتعاليمها من جهة مدركين لقيمة هذا التمثيل وواجبه من جهة اخرى .

ولقد بينت المراسيم التي اسست بمقتضاها وظيفة وكلاء الدولة ومهامهم ، وانها تتلخص في مراقبة تطبيق القانون ، فليس لهم ان يتدخلوا في تسيير المناقشات التي هي من اختصاص القضاة الجالسين المصدرين للاحكام . فقد نص الفصل 15 من الظهير الشريف رقم : 1.56.35 المؤرخ في 24 شعبان 1375 موافق 4 ابريل 1956 على ان وكيل الدولة يحضر الجلسات بدون ان يسير المناقشات وان لا يتدخل في الحكم .

ثم بعد ذلك تتابعت التعيينات لرجال القضاء بنوعيها ، وهكذا احدثت خمسة وثمانون 85 محكمة للسدد لتفصل فيما وكل اليها من النزعات الداخلة في نطاق اختصاصاتها كما احدثت مائة وخمسة وسبعون 175 محكمة للقضاة الشرعيين واثنتا عشرة 12 محكمة اقليمية . ومثلها مجالس اقليمية لاستيناف احكام القضاة الشرعيين « وقد كنت أول رئيس لهذا القسم الذي احدث باقليم وجدة . وتشرفت بحيازة ظهير تعييني الذي خولني ذلك المنصب من يد صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس .

كما احدثت في هذا العهد محكمتان استينافيتان بالرباط وطنجة . فاصبح امر القضاء في طول البلاد وعرضها كيفما كان نوعه لا يفيد غيرهم . وقد كان مائلا قائد يزاول هاته المهمة « من مجلة القضاء والقانون العدد 10 — يونيه 1988 — ص 939 » .

اخيرا فان هاته المحاكم كلها تعززت باحداث المجلس الاعلى في 23 اكتوبر 1957 . وهو الذي خلص السلطة القضائية من يد الاجنبي . ومن شأنه ان يحقق بفضل اشرافه على الجهاز القضائي باجمعه الوحدة القضائية والقانونية في الوقت الذي تقوم فيه الغرفة الادارية بمراقبة المصالح الحكومية وبالسهر على مصالح الافراد . حسب تعبير « مجلة القضاء والقانون — العدد 9 — مايه 1958 — ص 338 » .

ومما قاله صاحب الجلالة في تدشين احداث المجلس الاعلى : « ان برنامج الاصلاح القضائي سعى في باديء ذي بدء الى تحقيق هدفين اثنين هما : استقلال القضاء وتوحيده » .

ومما هو جدير بالذكر في هذه الحقبة احداث كلية الحقوق في سنة 1957 لتمدنا بالاطر الصالحة

في ميدان القضاء وقد فتحت ابوابها لتخريج اول فوج بعد سنتين ، واما الفوج الثاني فبعد ثلاث سنين تخرج منها . من نفس العدد المشار اليه .

اما النقطة الثالثة مما قصدناه في هذا البحث فهي التي تتعلق بتزويد المحاكم بالقوانين التي تعتمد عليها في تصدير احكامها ، ولهذه الغاية النبيلة صدرت مسطرة جنائية وذلك حسب الظهير الشريف المؤرخ بفاتح شعبان 1378 موافق 18 ببراير 1959 . وهذه المسطرة تنحصر في كتب سبعة وبلغت فصولها : 772 فصلا . وقد نص الفصل الاخير منها على انه تلغى جميع المقتضيات القانونية السابقة فيما تخالف فيه نص هذا القانون . وقد نشر بنصه وفصه في مجلة القضاء والقانون في عدديها : 19 — 20 .

وبذلك اصبحت البلاد مجهزة بقانون يحمي مصالح المواطنين المرتكبين للجرائم والجنايات والمخالفات . فقد عرفت بمقتضاه ماهية الجريمة التي يعاقب عليها القانون . حتى لا يظلم احد . وحتى لا يقال عنا . اننا امة بدون قانون كما فاه بذلك السيد محمود عزمي مندوب جريدة الاهرام المصرية يوم زار بلادنا ايام الحماية البغيضة . اما اليوم فاننا نقول له ولغيره تفضلوا بزيارتكم للمغرب الجديد الذي يرحب بكم في بلدكم العربي ولتروا ولتسمعوا ولتشاهدوا ما تضمنته فصول ذلكم الظهير الشريف المشار اليه سابقا . ولتقفوا على ما يصدر من هاته المحاكم التي لا تعاقب بدون قانون ولا حكم مضمون له كافة طرق الطعن . من البداية الى النهاية ، والحمد لله على نعمة الاستقلال وكفى .

ومن هذه المنجزات المهمة في هذه الحقبة : احداث مدونة للاحوال الشخصية التي اصبحت كذلك مطبقة في كافة المحاكم الشرعية وكانت النواة الاولى لتدوين الفقه الاسلامي تدوينا يلائم روح العصر الجديد .

فقد عهد صاحب الجلالة محمد الخامس رحمه الله الى ثلة من كبار فقهائنا بانجاز المشروع . وكانت لجنة متركبة من أعضاء عشرة ، منهم وزير العدلية السابق الاستاذ الجليل السلفي السيد محمد بن العربي العلوي رحمه الله وكان المقرر لهذه اللجنة هو الاستاذ الكبير رئيس حزب الاستقلال السيد علال الفاسي رحمه الله وبعد انجاز المشروع القى صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس على تلك اللجنة وبمحضر وزير العدل الذي كان مشرفا على اعمالها خطابه السامي فقال : « وقد كللت جهودكم بالنجاح، فاسفرت عن جمع هذه المدونة التي تعد درة في عقد الاصلاحات التي ما فتئنا ندخلها على الجهاز القضائي منذ سنين » . وتابع كلامه قائل : « انكم تناولتم بالدرس جانبا من الفقه الاسلامي ذا اهمية قصوى في الحياة . لتعلقه بالاسرة التي هي عماد المجتمع . فاستخرجتم احكامه مجردة عن الافتراض والتاويل ، وبوبتموها تبويبا سهل على رجال القضاء مهمتهم . » عن مجلة القضاء والقانون — العدد 8 — ابريل 1958 » .

وهاته المدونة تشتمل على كتب ستة : الاولى في الزواج وعدد 43 . والثاني في انحلال ميثاق الزوجية وصلت فصوله الى : 82 فصلا . والثالث في الولادة ونتائجها بلغت فصوله الى : 132 فصلا . والرابع في الاهلية والنيابة بلغت فصوله 172 فصلا . والخامس في الوصية بلغت فصوله 216 فصلا . والسادس في الميراث ، فكملت الفصول في 297 فصلا .

وقد نص في فصله 82 من الكتاب الاول على ان كل ما لم يشمله هذا القانون يرجع فيه الى الراجح او المشهور او ما جرى به العمل من مذهب الامام مالك . وكرر هذا المعنى في الكتاب الرابع والخامس والسادس .

وقد ابتدا العمل بهاته المدونة في فاتح سنة 1958 حسب الظهير الشريف المؤرخ في 22 ربيع الثاني عام 1377 موافق 22 نونبر 1957 هذا وقد قام الاستاذ العلامة القاضي السيد حماد العراقي بوضع شرح كتابها الاول سماه شرح قانون الزواج المغربي . كما قام بمحاولة اخرى في هذا الميدان وهي تتجلى في كتابه : « الوثائق العدلية » طبق فصول مدونة الاحوال الشخصية طبع بمطبعة الرشاد بالدار البيضاء . فيسر بكتابه هذا المنهاج الذي يسير عليه اصحاب التوثيق ببلدنا . وهو مفيد للغاية لكل عدول المملكة المغربية لان صاحبه سبق له ان تعاطى مهنة التوثيق بفاس بالاضافة الى مهمة التدريس الفقه الاسلامي بجامعة القرويين ، فهو خبير بما كتب .

ولا أزيد شيئا فيما يرجع للتنويه بهاته المدونة على التنويه الذي صدر من الساهر على ايجادها وهو الامين على مصالح هاته الامة المغربية ، وفي هـذا المعنى يقال ، لا عطر بعد عروس ، ولا تنويه بعـد تنويه الملوك العظام .

ولعلني قد اتيت في هذا البحث باهم النقـط التي انجزت في ميدان الاصلاح القضائي في عهـد المغفور له الحافل بالامجاد والباني لمجد هاته الامة والحريص على ما يعلي شأنها ويرفع قدرها ، وكذلك فعل خلفه وصاحب سره الوارث للامجاد ملكا عـن ملك ، اطال الله حياته وحياة ولي عهده سمو الامير سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيـد وكافـة افراد الاسرة المالكة جمعاء آمين .

اما بقية الكلام عن المنجزات الاخـرى التـي تحققت في ميدان القضاء في العصر الحسني فسوف اخوض مهمة ذلك في أول فرصة ممكنة ان شاء الله نرجو من العلي القدير ان يحيينا الى ان نحرر ذلك فعلى الله قصد السبيل انه نعم المولى ونعم النصير .

الرباط : محمد ابن سودة

المستشار بالمجلس الاعلـى

نرى أن اللغة العربية لم تكتفِ بأن تعيش منطوية على قرائها بل لم تتمكن من أن تغزو كأداة للغزو حتى قبلت أن تتعامل وتساير حضارات ولغات أخرى ونحن إذ نريد أن نرجع الى الأصل وخلق علماء بكل معنى الكلمة نريد أن نجعل من علمائنا علماء مشاركين سواء في ميدان اللغة العربية او الشريعة او الآداب. ولكن مشاركين كذلك حتى في المعمعة العلمية التي يخوضها العالم بجانبكم حتى لا يبقوا اجانبيين عنا .

الحسن الثاني

اتصال المغرب بالمشرق

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

●● لا أترك هذه الفرصة تمر دون الحديث الى القراء الاجلاء عما لمصر خاصة والشرق العربي عموما علينا من منن وفضل . فمن نهضة الشرق قامت نهضة الغرب منذ أوائل العشرينات من القرن الجاري ، تحرك الفوج الاول من ابناء هذا الوطن المفدى وأصبحت الطائفة المستنيرة من شباب المغرب تتجه للشرق ، فتدرس وتطالع وتقتبس من وارداته (كتب مجلات صحف) ، تقتبس كل مواده الروحية والعلمية والفكرية ، عندما فتح المغاربة عيونهم تعرفوا على خطط المستعمر الغشوم ، يمهد لابتلاع نخبة الشباب العربي الحي ، الطليعة الاولى من المواطنين الاحرار ، شعرت الامة المغربية ورجالات جيل ذلك التاريخ من آبائنا بما يحاوله المستعمر المتسلط من زرع لغته وأدبه وسائر ميوعته واتجاهاته فى صدور الجيل الفتي ، ليمسخه ويختطفه ويتبناه ويخلق الحواجز بينه وبين لغته وأدبه وافكاره ومقوماته وأمجاد تاريخه .

منذ هذه اللحظة شرع رجالات هذه الامة يفكرون فى مستقبل البلاد والابناء والحضارة والقيم الخلقية . وكل المقومات من لغة وأدب ودين وحضارة وعادات وأخلاق ، منذ هذه اللحظة شرع الشباب الواعي والشيوخ المحنكون يتجهون الوجهة الصحيحة الى الشرق العربي ، أستفيظ المغرب من الركود والحيرة بعد مصابه بالاستعمار والاحتلال العسكري ، وأصبح الجميع يشعر بترامي المستعمرين على الفكر المغربي توطيداً للاستعمار الفكري الذي يعد أخطر من الاستعمار العسكري ومن الاحتلال أقوى وأفظع .

أصبح التفكير فى المصير وفى المستقبل والاتجاه نحو الشرق العربي . الاباء يوجهون فلذات اكبادهم للتروي من معين الثقافة العربية واليقظة الفكرية ، منه بدل الاتجاه للغرب الذي يسعى بكل وسائله للاستيلاء على الفكر المغربي المسلم ، وادماجه فى رعونات الغرب وادياته !

وجدت الابواب للشرق موصدة ، والعراقيل كثيرة ومتعددة ، ورغم كل ذلك تخطى بعضهم كل الحواجز وتغلب على كل العقبات ، فأرسلت بعثات رغم قلتها فكانت بعثات لكلية نابلس الاسيرة من ارض فلسطين الحبيبة ، تلك المؤسسة العظيمة التي كانت تجمع وتحتضن ابناء العروبة من الخليج الى المحيط تلكم المؤسسة المستنيرة التي جاهدت وبنت الاسس « للوحدة العربية المنتظرة » .

لنستمع الى احد شعرائها يقول :

بلاد العرب اوطاني
من الشام لبغداد

ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

وبعثات فرادى وجماعات لمصر العزيزة ، للقاهرة المغربية الفاطمية . فرادى ، جماعات وطلبة فرادى يتسللون خيفة وخفية من الرقيب لسوريا والعراق . وفى تمام الاربعينيات توجهت جهود الطائفة المخلصة الوفية للعروبة والاسلام ، فكونت بعثة « بيت المغرب » من معهد الامير مولاي الحسن بتطوان تضم خمسة واربعين طالبا وبعثة المعهد الحر بتطوان ، وافراد من هنا وهناك ، والكل انتظم فى المؤسسات العلمية والتربوية والادبية والفكرية ، لارض مصر العظيمة ، ثم بعثات وبعثات لبلاد سورية الحبيبة ، وبعثات اخرى لمعاهد التكوين العسكري العربي بأرض العراق الشجاعة ، . هذا من ناحية ومن اخرى استورد المغرب رجالات العلم والتربية لتكوين الطلبة ، الطلائع الاولى للمعلمين بالعربية ، فبعثة لمعهد مولاي المهدي بتطوان من مصر الشقيقة ، وبعثات مصرية وعراقية وسورية للمدارس الثانوية ودار المعلمين ، وتعد هذه الشحنات الدافع الاكبر لميلاد جامعة محمد الخامس طيب الله ثراه . وحسبنا انشراحا وغبطة وجود كلية الآداب والعلوم الانسانية تؤدي رسالتها باللغة العربية وجل اساتذتها وعمدتها تكونوا بالشرق العربي ، وطائفة كبرى من رجالات الجيش الملكي الباسل تكونت اللبنة الاولى منه فى الكليات العسكرية باللغة العربية، وطوائف المتخرجين من الشرق العربي يحتلون مكانة عظمى فى الجهاز العلمي والثقافي ، والدوائر الحكومية والمناصب العليا فى القضاء وما اليه ، وفى شتى المجالات الحيوية ، من متخرجي المدارس العسكرية بالعراق ، وطوائف بيت المغرب ، والبعثات الاولى للشرق يملاون اليوم بسمو اخلاقهم وعلو مراتبهم العلمية والثقافية ، ادارات عدة ثانويات ومعاهد جامعية وصحافية واعلامية .

ثم هناك نقطة لها اهمية كبرى لا نغفلها ، تلك هي تلقيح المدرسة الحرة العربية المكافحة للاستعمار الفكري الذي يعد اقبح من الاستعمار العسكري .

تلك الثكنات المعبأة بالجندي المجهول من رجال الكفاح الدائم ، وتكوين الافواج الاولى فى التربية والتعليم والتهذيب ، هذه المؤسسات لا تنسى ولن تنسى ، ما زودتها به مدارس ومعلمو ومؤلفو الكتب الدراسية الاولية التي كانت اللبنة الاولى فى رسوخ هذا التعليم ونموه وازدهاره .

هذا التعليم الذي كان المستعمر يضع فى طريقه كل العراقيل ، ويبذل كل الوسائل لقتله وطمسه والقضاء عليه ، لولا همم فضلاء بذلت دمها وروحها ، وضحت بالغالي والنفيس ، وزهدت فى امتعة الحياة وزينتها ، حفظا على هذه المؤسسات. والكتاب العربي من الشرق العربي هو السند لهذا التعليم . هو الضياء اللامع الذي كان يضيىء جوانب تلك المؤسسات البسيطة فى مظهرها . والعظيمة فى انتاجها . كانت تنشأ بالدور وبالزوايا وبالامكنة البسيطة فى مظهرها ، العظيمة فى مخبرها ونتائجها، وكانت يد القدر تحميها . وجلالة الملك الحر الابي محمد الخامس يؤازرها ويواسيها ، ويمدها بكل ما يقويها ، ويحفظ مكانتها ، ويرفع من قدرها .

فهذه مدارس محمدية ، وهذه مدارس حسنية، وهذه مدارس عبدلوية ، وهذه مدارس الاميرة عائشة للفتيات وللامهات .

هناك الكتاب العربي ، والمؤلف العربي ، والمجلة العربية ، والصحافة العربية ، لقد عرفنا نحن جيل الثلاثينيات رجالات العلم والفكر بالشرق العربي ، عرفنا اجيالا متعاقبة من عباقرة مصر وسوريا والعراق ولبنان والمهجر ، حتى تعرفنا على عدة مدارس : مدرسة احمد امين، مدرسة طه حسين، مدرسة العقاد ، مدرسة الرافعي ، مدرسة محب الدين الخطيب ، مدرسة رشيد رضا ، مدرسة محمود تيمور ، مدرسة المازني ، مدرسة جرجي

زيدان ، مدرسة جبران خليل جبران ، مدرسة بنت الشاطىء ، مدرسة فريد أبو حديد ، مدرسة محمد فريد ، مدرسة فتحي رضوان ، مدرسة سعيد العريان ، مدرسة الشعراء : شعراء مصر ، شعراء سوريا ، شعراء العراق ، شعراء السودان ، شعراء لبنان . فهذا شوقي امير الشعراء ، وهذا حافظ ابراهيم وثالثهم خليل مطران، هذه مدرسة الكاظمي الشاعر الفحل ، والزهاوي الفيلسوف ، والرصافي الثائر ، ومن اليهم بالسودان ولبنان وسوريا والمهجر ، وما اعظم شعراء المهجر : في الشعر والنثر والفلسفة والحياة ، فهؤلاء العظماء في القريض والتجديد عنهم تفتقت أفكار شعرائنا المخضرمين ، مثل باليمني ، والجزولي ، بوبكر بناني ، محمد الناصري ، جعفر شقيقه ، فمن مصر وسوريا ولبنان انتظمت الوجهة الادبية الجديدة ، والشعراء المجددون ، فمما قراناه ودرسناه من شؤون هؤلاء العباقرة ارتوينا من معين افكارهم ونظرياتهم وعبقريتهم ، وعلى نهج الطائفة المخضرمة من المغاربة الاحرار ظهر شعراء الشباب ، محمد علال الفاسي ، عبد الله كنون ، محمد القري ، عبد الرحمن حجي ، المكي الناصري ، المختار السوسي الالغي ، واضراب هؤلاء ، ومن امتزاج الغرب بالشرق برزت فكرة الاحتفال بـ « يوم شوقي » بفاس وتتابعت الاحتفالات والمهرجانات تتبارى فيها همم الشباب والشيوخ ، المخضرمين ، فانجز من القصيدة ابهاها، ومن المواضيع الطريفة المنبهة الروائع والبدائع .

ثم هناك مدرسة الصحافة والسياسة والكفاح الوطني والبرلمان ومجلس الامة نواب وشيوخ ، احزاب سياسية وانظمة برلمانية .

لا اخالني استقصي هذا الباب حقه الآن ، كثرة الصحف التي كانت ترد على المغرب من الشرق فتزوده بالنظريات العلمية والسياسية والفكرية والوطنية لا تعد ولا تحصى ، فهناك مدرسة الصحافة السلفية ، فيلسوف الشرق جمال الدين ، وتلميذه البار الاستاذ محمد عبده ، ومدرستهما العظمى واخوانهما وتلامذتهما كثيرون ، ومؤلفاتهم التي شرقت وغربت هي التي فتحت الاعين العمي والقلوب الغلف ، هي التي طهرت العقول من الخرافات ، هي التي ارست قواعد الدين سالمة ونقية ، ودكت حصون الرجعية ، وقضت على الخرافات والبهلوانيات ، فالمنار والفتح والشباب وما الى هاته الصحف والمجلات قمت بدور طلائعي لطلاب الافواج الاولى من ابناء المغرب البررة .

وصحافة الادب والفن هي التي هذبت العقول ، وانارت الضمائر وفتحت الابواب على مصراعيها للاقتداء بسيرتها ونهجها .

وصحافة السياسة والوطنية هي التي ملات قلوب المغاربة حبا وهياما ببلادهم وشخصيتهم وملكهم ، ووطنهم واخلاقهم وسائر مقوماتهم .

وصحافة العلم والاختراع والعبقرية هي التي فتحت اذهان الطلائع الاولى من مفكري هذا البلد الامين ، وللذكرى اسجل أسماء عدة صحف ومجلات لا على سبيل الحصر ، ولكن على سبيل التذكرة ، فجرائد الاخوان المسلمين وعبقرية شهيدهم الاستاذ حسن البنا رحمة الله عليه . ومجلة الشبان المسلمين برئاسة الدكتور عبد الحميد سعيد رحمة الله عليه . ومجلة الهداية الاسلامية برئاسة مفخرة العلماء الخضر حسين رحمة الله عليه . ولسان الدعوة المحمدية وجرائد ومجلات : البلاغ ، الاهرام، المصور ، اللطائف المصورة ، الشباب ، اليقظة ، مجلة الهلال ، نشرات دار الهلال ، مجلة المقتطف وغيرها كثير .

ما كنا نحن شباب العدوتين جيل الثلاثينات لننسى خدمات « الخزانة العامة بالرباط » هذه المؤسسة التي كانت تزودنا بكل جديد ، وتفسح المجال لاذهاننا لمطالعة التآليف الجديدة ، والنشرات العديدة ، والمجلات المنوعة ، ففي احضانها قرانا بل ودرسنا عدة كتب ، ومؤلفات وجرائد ومجلات ترد من الشرق العربي ، واليها يرجع الفضل اولا واخيرا في تكويننا ويقظتنا ، فمؤلفات المنفلوطي وسلسلة كتبه وتاريخ جرجي زيدان ومؤلفاته ، ، وحاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نويهض وتعاليق امير البيان شكيب أرسلان ، وتفسير المنار، وكتب الشيخ عبده المختلفة الشكل والذوق والحجم، ومحاضرات ومناظرات وتعاليق وردود وانتقادات كل البارعين في العلوم والفنون والادب والدين والسياسة استفدناه وتعرفنا عليه تحت قبة « الخزانة العامة ».

وعلى نهج الاحزاب الوطنية والدعوة الديمقراطية في الشرق العربي ، نهجت الطليعة

الوطنية المغربية سبيلها ، وقطعت الطريق على الدكتاتورية المقنعة « الحزب الوحيد » الذي يكمم الافواه ، ويعمي العيون ، ويمسخ الضمائر ، ويصم الآذان ، فمن ثورة حزب الوفد ، والزعيم زغلول ، وخليفته النحاس ، وحزب الاحرار ، والكتلة ، والمستقلين واحزاب عديدة ومتنوعة بكل اقطار الشرق العربي . بمصر ، بسوريا ، بالعراق ، بلبنان، من صحفهم ، ومن افكارهم ، ومن خصوماتهم ، ومن جهادهم وكفاحهم ، اهتدينا واتبعنا ، منهم تكونت فكرة الدستور قديما وحديثا ، مجلس الشيوخ ، الحريات العامة والخاصة ، حرية الصحافة ، حرية التجول ، حرية الخطابة ، تبادل الراي ، المشورة والشورى ، من هذه الامثلة الحية تكونت انديتنا الاولى ، اندية الشيوخ وكانت دائمة فى البيوت واندية الشباب وقد برزت للعيان واصبحت ملجأ الشباب الحديث . للتفاهم ، لتبادل الراي ، لدراسة الاوضاع ، لاتخاذ التدابير المجدية ، للخروج من ازمة الاستعمار البغيض ، لنشر الوعي القومي بمختلف الانشطة واهمها .

لا اغفل ما قدمه الشرق العربي لابناء افريقيا ، عموما ، والمغرب بصفة خاصة من عون وتعاون ومؤازرة ومناصرة فى كل الميادين ، العلمية الادبية ، السياسية ، مساندة الملتجئين لربوعها ، وتاسيس المنتديات للمهاجرين من ابنائها ، ومدهم بالعون ، والرعاية ، ورفع صوتهم عاليا ، فى كل المنتديات ، ومواقف رجالات العرب والاسلام بالمنتظم الدولي ، والمؤسسات الاممية للدفاع عن حرية المغرب واستقلاله ، وعزته ، وشرفه ، كما لا اغفل الوفود تلو الوفود من الشرق العربي الى المغرب للعمل على حل المشاكل المستعصية ، للعمل على توحيد الصفوف ، للغوث ، للمساعدة الادبية والمعنوية من الشرق اهتدينا لتنظيم صفوف الكشاف المغربي ، وتكوين شخصيته العربية على المثل العليا المثالية .

هذه نظرة خاطفة عما ورد علينا من الشرق العربي من نماذج ومشاعر . اتبعناها واقتدينا بسلوكها ونهجنا نحو مسلكها ، وعبرنا الطريق للحياة العربية فى الدراسة ، فى الصحافة ، فى التاليف ، فى القصة ، فى الشعر ، فى التمثيل وفى أشياء واشياء . لا تسمح الظروف باستيعابها .

ومن مكارم ملكنا الهمام المرحوم بكرم الله محمد الخامس وقفته الشجاعة فى وجه المستعمر الغاصب ، عندما شعر أعز الله امره ، بما يحاك لهذا البلد الامين ، المغرب العزيز ، من مناورات ومخاتلات وعمل دائب لابعاده عن العروبة والاسلام ! وتفتيت شعبه ، وتمزيق وحدته ، عندما ظهرت القضية البربرية والنعرة الجاهلية ، قامت قيامة المغرب فى وجه الدعوة ، آزرها جلالته ، وايدها وساعدها ، وحافظ على نموها حتى اينعت وترعرعت . وعندما اشتدت وطأة المستعمر على البلاد ، وكشر أنيابه ، واصبح يحاول ان يجعل المغرب قطعة من فرنسا وراء البحار ، تقدم الملك الشهم محمد الخامس سنة 1947 لزيارة طنجة العربية المسلمة ، وصاح صيحته المدوية « ان المغرب دولة اسلامية عربية ، فهي من العرب والى العرب » . حينئذ خابت اتجاهات المستعمر ، وسقط ما فى يده ، وأصبح يحسب الف حساب وحساب لوجهة نظر المغرب ملكا ، وشعبا ، حول العرب والجامعة العربية ، وشرع فى خلق المشاكل بشتى الوسائل . لتقييد المغرب بالسلاسل والاغلال حتى لا يفلت من يده .

وتعاظمت الاهوان ، واشتدت الازمة وتقابل الخصوم ، وجها لوجه :

المغرب العربي المسلم برئاسة ملكه الشجاع المؤمن الصابر . والشعب المغربي بكامل طبقاته ، يتوجهون للوحدة العربية ، ويصلون الخليج بالمحيط فى دائرة الاخوة والصفاء والمودة ، والمستعمر الغشوم يحاول بوسائله الخسيسة ، واذناب ركابه لان يتخذ بلاد المغرب « منطقة نفوذ دائم مسترسل فرنسا وراء البحار » ، تتابعت المعركة ، وبلغت قمتها ، وامتدت يد العدوان لاختطاف جلالة الملك المفدى واسرته الكريمة ، من المغرب واستبداله بشخص ضعيف الارادة مستسلم لقضاء مآربه وبلوغ غايته « والغاية تبرر الوسيلة » . قامت قيامة المغاربة وارتفع صوت الامة المغربية والاسلامية باستهجان هذا السلوك واستنكار هذا العدوان، قامت بلاد الشرق العربي تؤازرنا وتناصرنا وترفع الصوت عاليا مطالبة برد الملك الشرعي واسرته الكريمة لبلاده ومركزه .

قدم المغاربة الثمن غاليا : الدماء ، والارواح ، وامتلات السجون والفيافي فى الصحراء بالمناضلين

والمكافحين ، والفدائيين والمحررين ، وترددت أصداء هذا الجهاد فى أوساط شعوب الشرق العربي ، وبذل العون والمناصرة حتى جاء يوم الظفر فرجع الملك لبلاده حاملا بيده الكريمة الحرية والاستقلال ، فوردت الوفود بالتهاني والتبريك ورفعت أعلام بلاد الشرق العربي لجانب راية المغرب ، واندماج الكل فى الكتلة العربية « الجامعة العربية » ومضت الاعوام فى التآزر والتناصر والتعاون المثمر بين الاخوة البررة حتى ظهرت بوادر العدوان الصهيوني المقيت ضد جوار بلاد فلسطين السليبة . وأصبح الاعتداء على مصر وسوريا ، وما اليهما قاب قوسين او ادنى . هنا تحركت همة ملك المغرب البطل الشجاع الحسن الثاني المفكر الذي يسبق الاحداث فعمل فى دائرة الصمت والهدوء والبراعة فوجه فيالقه من الجيش الملكي البطل للرباط فى الجولان لحماية سوريا العزيزة ومؤازرة ابنائها البررة المجاهدين الابرار ، سبق الاحداث بعدة شهور ، وعندما اندلعت الحرب قام قومة مضرية فبعث وباستعجال فيالق من الجيش الملكي البطل للمساهمة بالدفاع عن مصر الحبيبة والمشاركة فى تحرير سيناء من المغتصبين .

وهكذا يتحدث تاريخنا الحديث ويحمل بكل فخر انتظام شمل الامة العربية ووحدة الاتجاه حيث وقف المغرب العربي من المشرق العربي موقف الاخ الشقيق من اخيه الشقيق ؛ امتزجت الدماء المغربية والمشرقية فى ساحة الشهداء ورفع كلمة الاسلام وتحرير الاوطان ، من دنس المستعمرين الادناس ، وليست هذه أول مرة يساهم المغرب بل التاريخ يعيد نفسه ، والحياة قنطرة الاتصال والوصول تنبعث فى كل عصر شخصية مؤمنة مجاهدة صابرة تذكي الروح الاخوية ، وتجدد الاتصال بين الشرق والغرب سواء فى السلوك العلمي والادبي والاجتماعي والسياسي ، وحتى الحربي الدال على الجود بالارواح ، وهي اقدس ما يملك البشر يقدمها الاخ لاخيه وحبيبه وصديقه يوم الشدة .

انها لمفخرة مقدسة يحققها الملك الشهم الهمام الحسن الثاني اعزه الله ، لاخواننا وأعز أصدقائنا ، اعترافا بصدق الاخوة وعصمة الروابط المتينة .

سلا : الحاج أحمد معنينو



في ركاب المغرب الحسني :

أدب المغرب الصحراوي

المعاصر

للأستاذ زين العابدين الكتاني

تؤكد جميع مراحل المعارك التي خاضها المغرب منذ بروز (المسألة المغربية) بالخصوص الى الآن ان التمزق الذي عرفته وحدته الترابية والصمود الذي واجه به هجمات التحالف الاستعماري المتكالب على هذه الوحدة .. استمر حتى بدأ مسلسل التراجع الاستعماري .. واخذ المغرب يحقق وحدته بنفس الاسلوب الذي هاجمه به الاستعماريون .. الذين ادركوا في عمق واقتناع بأن هذه المعركة ستكون (معركة الخلاص والوحدة) وليس معركة المغرب وحده ولكنها كانت معركة افريقية ككل ، بل معركة تغيير التاريخ والهجوم .. كما يمكن ان نستخلص ذلك ونحن نواجه اليوم أعنف هجمة من الاستعمار الجديد .. ولنفس الاغراض السابقة .

والدراسة التي أتناولها في هذه المناسبة هي بحث علمي صرف يبحث عن جذور الوحدة المغربية منذ ظهور (المسألة المغربية) الى الآن تعتمد على ما يمكن ان نقف عليه من وثائق ، وما يمكن ان نعثر عليه من انتاج متناثر هنا وهناك ، وكله جزء من معركة رائعة ، تدهش كل المتحالفين من الاستعماريين بالامس ، وتصدم المتطلعين الجدد في الاعماق بدون هوادة ولا رحمة .

وفي أعماق هذا التاريخ ، ومن منطلقه بل وتحديده انطلق لانجاز هذه الدراسة ايمانا مني بأن اي تقسيم مصطنع مهما بلغ به التحدي من التحصين والمواجهة المضادة ، لا يمكن ان يخلد أكثر من حقبة محدودة ما دامت الجذور التي تكون هذه الوحدة : الدين واللغة والجذور والتقاليد الاجتماعية والتاريخ المتواصل وغيرها من علامات الوحدة والتطابق مميزة بل واضحة في كل مظاهر هذه البلاد وجذورها الواضحة المعالم .

يقول الشاعر :

تقود شعبك والصحراء مائلة   مع النداء بآلاف المواعيد
وانت تغلق باسم الله نافذة   على الدخيل واشباح التقاليد

مقدمـــــــــة :

يقول الشاعر المغربي عن الصحراء :

زعموها مجدبــــا لكنهــــا
انجبت أحمد في ابنائهــا (1)

واذا كانت الصحراء مهبط الوحي فانهـــا على العموم لا تزال منبت الشعر والشعـراء بالرغم مـــن حركة التصنيع التي تمخضت عن الثورة الصناعيـــة الانسانية ، وعلى الرغم من سيول الذهب الاســـود المتدفقة وكنوز المعادن والمكتشفات التـــي تحاول جاهدة ان تحول الصحراء من ارض الهدوء والسكينة، وتحول الصحراوي من شاعر ملهم هادىء قانع ، الى عامل وصانع وخبير متحرك متنقـــل ، متخليا عـــن اختياره الطبيعي .. ومجاهدا جهادا مستمرا في عالم القرن العشرين .. الدائب الحركة المتواصل البناء والتشييد والتحول ..

لكن هذا التحول الطبيعي وهذه الحركة ، هل سيحرمنا كل هذا من حياة الصحراء ، ولغة الصحراء، وأدب الصحراء وآفاقها ؟؟ .

ذلك هو السؤال الذي يتردد على كل لسان ، وهذا هو التساؤل الذي يطرحه عشاق الادب الاصيل ولغة هذا الادب ، وجرارات الحفر ، ومداخن معامل التكرير ، وجيش الفنيين والمنقبين يغـــزون رمال الصحراء الذهبية ويحركون السواعد التي هـــدات قرونا ، ودارت في محيط واحد مثل هذه القرون لا تعرف غير النوق والبانها ، والصحـــراء واجوائهـــا الهادئة الحـــارة ..

هي (الصحراء) ليس لها مثـــال
بمسرحها الحقيقـــة والخيـــال

اننا ونحن نتناول اليوم هذا الموضوع المتصل بأدب الصحراء انما تكون واقعيين مع انفسنا ونحـــن نعيش مع اخواننا في الصحراء المغربية وهم يخوضون معركتين مقدستين هما :

اولا : معركة التحول الطبيعي لمواصلة الركب الانساني في الحياة الجديدة التي ترتكز على تحقيق العدالة الاجتماعية والحياة الكريمة الفاضلة شـــان اخوانهم واشقائهم ، وذلك ما يعبر عنه الشاعر بقوله:

فصحراؤنا مبعـث للفخـــار
ورمز الخلـــود لايامنـــا

ويقول غيـــره :

بني وطني بلادكم تنـــــادي
هلموا اين من صلبي الرجال ؟

ثانيـا : معركه التحرر والتخلص من الاستعمار والعبودية التي يحاول الاستعمار بجميع اشكالـــه ، وبمختلف الوسائل ابقاء الصحراء قطعـة تابعة لـــه بصورة من الصور -- كما نفهم ذلك بدقة — مفصولة عن وحدتها الحقيقية ، اعتقادا منه بأن ابقاء شعوبهـا في خدمته كمستعمرين ، ولمصلحته مستغلا لهـم ولخيراتهم افيد له من الحاقها باشقائها ووحدتها ، وذلك ما يصوره وضع هذه البلاد كما تشهد بذلـك دول العالم ... وهي تؤكد اليوم اختيارها بكل حرية وذلك ما يشير اليه شاعر الصحراء بقوله :

لسنا عبيد العصا تنقاد خشيتها
ولا عبيدا ، لتسليـم القرابيـــن

ويقول غيـــره :

فلا بد للصحراء مسن وثبـــة
لتعلو فيهـا بنـــود الظفـــر

وهكذا نلمس ان المواطن الصحراوي هو قبل ان يكون عالما او اديبا او شاعرا كان دائمـــا اكثـــر شعورا بضرورة التخلص والتحرر مما يوثق حريته ، ويحط من قيمة الصحراوي الحر الطليق منذ الثورة التي اشتعلت في افريقية للتحرر والخلاص قبـــل سنة 1956 ، ولهذا فكل منا يذكر المحنـــة التـــي يحسها المواطن الصحراوي الحر وهو يعبر عنهـــا دائما منذ ذلك التاريخ حتى الآن ، وذلـــك ما يصوره شاعرهم وهو يصرح بالامس القريب بقوله :

ان المناطق كلها قد اخلصت
سيان من هو غائب او حاضر

ويقـــــول :

نراك ، وقد حررت قطرك كله
فلا (سبتة) لديهم ولا (صحراء)

---

(1) هـــو المرحـــوم عـــلال الفاســـي .

واذن فهل العالم او الاديب او الشاعر الصحراوي هو صورة للمواطن الصحـراوي ، ام ان المواطـن يختلف عنهما ؟ .

الوحـدة الشاملـة :

الحقيقة ان المعروف عن الصحراء التي مـا عهدناها دائما الا انها مهبط الوحي ، ومنبت الابطال والابرار انها كانت ولا تزال وستظـل كذلـك ارض البطولات ، وملجأ المؤمنين ، وهي في الحقيقة كما عبر شاعرنا الفحل بقوله :

قادهـا ادريس في ريعانهـا
فأثـارت كـل افريقيائهـا

ربطت صحراءنا في مجدهـا
بالفيافي البيض من صحرائها

وسلوا السودان والبيضان هل
حـررا الا بمضائهـا

وهكذا فاذا كانت الصحراء لم تمنحنا الفرصة للحديث عن رجالاتها بالامس في نطاق اقليمـي فان ذلك يرجع الى المظهر الموحد الوحداوي الذي كان يطبع مختلف جوانب هذه الدراسات بصفة عامـة ، شأنها في ذلك شأن مختلف الدراسـات في باقـي اجزاء هذه الوحدة عبر مراحل التاريـخ الطويـل المملوء بأمجاد الوحدة ، والمنسوج بروحها ، وايمانها بركائزها المبنية على التقوى والاختيار .. والاقتناع .. والصمـود .

واذا ما تحدثنا عن ادريس الفاتح وعن عبد الله ابن ياسين ، ويوسف بن تاشفين والمهدي بن تومرت وعبد الحق المريني والمنصور السعدي ، وعن المولى اسماعيل وغيرهم وهم رمز للوحدة ، فان حديثنـا كان حديثا شموليا وموحدا يشمل جميع اجزاء المغرب ويطبعه بطابع الوحدة الكبرى ، وهـذا ما يجعـل حديثنا اليوم عن ادب الصحراء ، وعلماء الصحراء ، وشعر الصحراء ، يكتنفه بعض الصعوبات التي نحاول — بعون الله — تذليلها مؤكدين بذلك لاخواننا بجميع اجزاء المملكة المغربية في وحدتها الحقة ، ان الوحدة **التي ظللتنا منذ الفتح الاسلامي هي التـي ستظـل تظللنا الى ما شاء الله ، لانها من ارادة الله سبحانه ، لا تقهر ... ولن تقهر .**

* * *

والذي نهدف اليوم من ورائه ونحن نتناول في هذه الدراسـة ادب الصحـراء ، ان نتحـدث في الحقيقة عن شاعرية علماء وادباء الصحراء ايمانا منـا بأن ذلك سيجرنا للحديث عن علماء وادباء القبائـل الصحراوية جميعـا ...

ولنحدد موضوعنا هذا ، نؤكد اننا سنتنـاول علماء هذه الجهات .. علماء الرقيبات وابناء دوليـم والزرقيين ، وآيت لحسن ، والعروسييـن ، وآل الشيخ ماء العينين ، وأولاد تيدرارين ، وفيلالـة ، وتوبالت ، ولفويكـات ، ومجـاط ، والمناصيـر (امراكين لفويكات) والاميار ، ويكوت (2) وذلك بما نستطيع التوصل اليه ..

واذا كانت هذه الجهات قد اشتهـرت دائمـا بالجهاد في سبيل اعلان كلمة الحق ونصرة دين الله، والذود عن الشريعة الاسلامية ، وحماية البـلاد ، وقداسة وحدتها ، فانه يوجد من بين هذه الجهات الكريمة ، وفي صفوفها عدد كبير من العلماء الاجلاء ، والادباء ، وبذلك فهم يضمون الى لغة السيف والجهاد لغة القلم والمعرفة مما تؤكده لنا الوثائق والمحفوظات المتوفرة لدينا او التي نواصل البحث عنها ، وكمـا يقول شاعر الوحدة الاستاذ محمد الكبير العلوي :

« ان في الصحراء شخصيات علمية وأدبيـة كثيرة ، عرفت بالعقل الراجح ، والفكر الثاقـب ، والغيرة والحمية ، ولها مركزها حتى الآن في مجال المعرفة الانسانية » .

ويقـول : **« .. ولا تزال الصحراء حتـى الان تنجب لنا شبابا متحمسا ، له ثقافة عاليـة ، ويعمل من أجل الوحدة ، ويواصل كفاحه المستميت لتحرير هذه الصحراء ، وتخليصهـا مـن براثيـن الاستعمار والاستغلال .. لحاقا بالركب الانسانـي وبالوحدة القومية المغربية (3) » .**

والى نفس هذا المعنى يشير نفس الشاعر في قصيدة طويلة :

---

(2) اسماء الجماعات التي تكون الصحراء المغربية.

(3) من تقييد خاص يوجد بخزانة المؤلف كتـب قبـل التحريـر .

فها جبهة التحرير آلت واقسمت
انتقذ ذاك الجزء ممن تجبـــرا

نحرر ذاك الجزء من قبضة العـدا
ونقهر فيه الطاغـي المتكبـــرا

ونحن اناس لا نريـد توسعـــا
ولا ندعي امرا ببطل ولا افتـرا (4)

ولكن الوضع خلاف ذلك فلا توسع ولا اهداف للاستغلال والاستيلاء ولكن كما قال شاعر آخر من شعراء الصحراء بالامس القريب :

وضعت فى اجنوب ظلما حدودا
عززتها بما لهـا من جنـود

كل باع من ارضنا بـل وشبـر
سوف يفدى ولو بالف شهيـد

* * *

نداقع عن صحرائنـا وجنوبنـا
وبلادنا حتى تنـال التحـرر

وهكذا نرى ان الصحراء لم تكن مركز الانتظار او التخاذل ، او محط التساؤل والتواكل ، ولكنها قد عرفت وضع اجزائها من الوحدة المقدسة ، وعرفت اطماع المستعمرين المستغلين اعداء الوحدة فاجابتهم واوضحت لهم منطقها الحق ، واهدافها المنشودة .. ولذلك يشير حماس الشاعر الصحراوي ـ اي شاعر ـ ومدلولات كلماته الثورية التي سجلها منذ مارس 1956 بالخصوص ، وذلك ما نعتبره بحق الدور الحقيقي الذي كان على الشاعر والاديب ان يلعبه وهو ينشد التخلص والحرية فى موضوعه وكلماته ومضمـون عباراتـه ..

الصلـة الاولـى :

اذا كانت الصحراء المغربية تعتبر بحق من اول الاراضي البعيدة التي دخلها الاسلام فى بدايـة دعوته واليها يرجع الفضل فى انتشار الاسـلام فى اغلب البلاد الافريقية وغيرها ، هذا الانتشار الـذي كان السبب الاساسي فى نشر لغة القرءان ، ولغـة رسول الاسلام كان لزاما ان تكون لغة القرءان هـي الصلة الاولى لاعتناق هذا الدين الجديد .

وهكذا .. وما ان بدات الدعوة حتـى اخـذ اخواننا اهل الصحراء يدخلون فى دين الله افواجا ، وذلك بالمعاشرة والمصاهرة التي تمت بينهم وبين ابناء سائر جهاتها وقبائلها والقبائل العربية التي ظل سيل هجرتها يتدفق يومذاك على هذه الاراضي التي تشبه الى حد كبير الوطن العربي ـ الجزيرة العربية ـ من شتى الوجـوه .

ومع تعاقب الايام توطدت اواصـر الاخـوة الاسلامية بالصحراء مما هياها مركزا جديدا للاشعاع .. واصبحت مصدر السلطة الحاكمة فى سائر البلاد المغربية وفى افريقية كذلك زمنا ليس باليسيـر ، ايمانا منها بان الاسلام هو مصدر للتحـول والقـوة والوحـدة .

وبعد اقل من نصف قرن من اشاعة نـور الله اصبحت الصحراء فى مجموعها منبتا للشعر والشعراء. وانجبت رجالا للعلم والآداب الا ان ا ملاحظ على هذا الادب بصفة عامة هو طغيان النزعة الدينية ، ونزعة المتصوفة عليه وذلك تبعا للظروف التي تعيشهـا البلاد الصحراوية اذ ذاك ، فجاء شعرهم يدعو الى الزهد فى الدنيا ، والى التزود للاخرة مما يؤكد لنا ان التاثيرات الاولى كانت قوية ومركـزة فى نفسيـة الصحراوي وفى تكوينه ، والى ذلك يشير شعـر شاعر (5) القصر الاسماعيلي بقوله :

اناديك يا خير البريـة كلهـا
نداء عبيد يرتجي العفو واللطفا

واين محق فى هوى حبك الذي
يفل جيوش الهم ان اقبلت زحفا

وما انا فيه بالذي قـال هـازلا
ايا ليتنا اذا ارسلت واردا وجفا

ولـه كذلـك :

الى الله اشكو طوع نفسي للهوى
واسرافها فى غيهـا وعيوبهـا
اذا سقتها للصالحـات تقعسـت
ودبت على كره اليها دبيبهـا

(4) من قصيدة للمرحوم العبادلة آل الشيخ محمد الاغظـفـد .
(5) الشاعر الكبير عبد الله بن محمد العلوي الملقب ابن رازكة (سنة 1089 هـ / 1678 م .

وتشتد نحو الموبقات نشيطة
اذا فاوقتها الريح فاقت هبوبها

..وما هي الا كالفراشة انها
ترى النار نارا ثم تصلى لهيبها

وهذا شاعر آخر هو شاعر الصحراء الملحمي (6) يقول فى نفس المعنى :

دع التطويل فى ذكر الغواني
ودع عنك البكاء عن المغاني

اسن الدهر عن هذا فقصر
عنان الشوق واثن من العنان

فان المرء يحسن فى زمان
عليه ما يشنع فى زمان

وهذا شاعر ثالث هو مولود بن احمد اليعقوبي يقول ايضا :

ايها الناس للصلاة اقيموا
واستعينوا بها على كل بؤس

قدموها واخروا ما سواها
انها فرض عين كل انيس

قدموها واخروها ما سواها
لا يصلي الصلاة غير مجوس

وهذه الصفة التي اخترناها للشعر الصحراوي فى فترة ما ليست هي المظهر العام الذي يتميز به الشعر ، بل هناك ظروف اخرى طفت فيها صنوف اخرى من القول ، كالمدح والغزل .. ولا بأس من الاشارة الى ان المدح الصحراوي آية فى الروعة فى الآداب العربي ، وقد تغنى كثيرون منهم بفضائل الجالسين على عرش هذه البلاد ، وسجل آخرون مناقب القواد ورجال الصحراء الابرار بصيغ واساليب بارعة ، جعلت شعرهم اقرب ما يكون الى شعر راقص لولا مفردات تشل حركة بعض الاوتار فى قصائدهم..

وابيات العالم الشاعر (7) الديماني التي يمدح بها ابن رازكة تعبر لنا عن ذلك :

براعة استهلال
بدر البهي والجمال

اعارة الجفن دمعا
ينهل والجمر بال

ضدان كانا بجسمي
فذلك عين المحال

اجر ذيل الهوى طا
ئعا له باختيال

لو لم اجبه اجابت
محاجري بانهمال

ويقول :

تاج الفخار ذكي الـ
ـحجا سديد الفعال

نور الائمة قطب
حبر مفيد المثال

قاضي القضاة سراج
لسدفة الجهل جال

وهذا شاعر آخر هو محنض الديماني الذي يمدح اهله بقوله :

انا بني دميان ان ذكر العلى
نذكر وان ذكر الخنا براء

دميان فى الناس تبر
وغيرهم كالفخار

فيومهم يوم عيد
وليلهم كالنهار

وهكذا نرى الادب الصحراوي الذي نشأ مع الفتح الاسلامي لبلادنا ظل ينمو مع تطور الظروف والاحوال فى نطاق خاص محدود متأثرا « بالعوامل الفاتحة » تارة ، وبالعوامل المحلية المتجددة ايمانا منه بالاسلام ، وبرسالة الاسلام ، والتزام هذا الدين.

---

(6) الشاعر حرم بن عبد الجليل العلوي توفى سنة (1327 هـ / 1907 م) .
(7) الشاعر محمد بن سعيد البدالي الديماني توفى سنة (1082 هـ / 1671 م) .

ومن الصدف أن هذا الالتزام الذي بلغ الذروة في المحافظة عليه في الصحراء ظل هو أساس الادب الذي يضمن الوحدة الوطنية كما باركه الاسلام، وحافظ عليه .. فكان هذا الادب من أكبر مظاهر الوحدة، ومن ابرز عوامل خدمته هذه، وذلك ما يعبر عنه الشاعر الصحراوي في قوله :

وفي الصحراء امتنا تنادي
ويملأ جيشها الارض انقلابا
وباعمران آيتهم جهاد
والتصميم اذا الخصم استرابا

واذن فماذا كان يمكن ان يحققه الادب الصحراوي يا ترى لو انه تاثر بالمدارس الادبية المعاصرة ؟ .

نحس بذلك ونحن نلتقي مع ادبائنا المعاصرين كالشاعر القاضي عبد السلام بن الشيخ مفتاح (8) مثلا الذي يتحدث لنا عن طائر فيقول :

رآني في الطريق ابو بشير
فقابلني مقابلة البشير
وكلمني اسان الحال منه
وايضا حالمنبهم الامور
بما حسبي به وكفى بيانا
وايضاحا لمنبهم الامور
تبشرني طرائف ما رآني
واسمعني بتيسير العسير
خطا متمايلا نحو بلطف
كما مشت العروس الى السرير

واذا كانت هذه المقطوعة قد تناولت موضوعا ادبيا جديدا ورائعا فان التزام الشاعر الاديب لاسلوب صحراوي خاص، ولمعاني صحراوية صرفة، وتشبيهات محلية محدودة، فان ذلك اثر في مجموع القصيدة وجعله يغلب عليها طابع صامت، وكان يمكن للشاعر ان يطربنا بموضوعه ومقطوعته لو انه تاثر قليلا باحدى المدارس الادبية المتاخرة وتلك المرحلة جديدة يطل منها اليوم ادبنا الصحراوي كما تلمس ذلك في شعر شاعر الوحدة بصفة عامة من مجموع قصائده . يقول : (9)

نحرر ذاك الجزء من قبضة العدى
ونقهر فيه الطاغي المتكبرا
ونرفع فيها للمليك بنودنا
ترفرف اجلالا وتبهر مظهرا
ونحن اناس لا نريد توسعا
ولا ندعي امرا بيطل ولا افترا(9)

* * *

ونقتطف من قصيدة (هذه الصحاري) للشاعر المرحوم سيداتي (10) بن الشيخ احمد الهيبة ماء العينين :

اليوم يوم بالسعادة اقبلا
يكسي البلاد واهلها حلل العلا
يا ايها الملك المؤمل فضله
ولكم تحقق فيه ما قد املا
هدف الصحاري لا ينى العالي بها
مكرا تقلبه الاعادي اسفلا
فالساكنون بها لعجز منهم
كل بنار الظلم والجور اصطلا
فارفع بفضلك ضيمها حتى يعيـ
ـض الساكنون بها النعيم من البلا
هل تطمئن ونحن ننظر بعضنا
نظر الصحيح الى السقيم المبتلا
مولاي هذه سبتة ومليلة
فاحلل من أمرهما الذي قد اشكلا
عينان قبل نرى بكل منهما
ما في الجزيرة مجملا ومفصلا
لا زال سعيك بالنجاح مكللا
والشعب فيك مبلغ ما أملا
حتى تنال بك الافارقة الذي
تصبو اليه من الكمال مكملا

---

(8) من الشعراء المعاصرين المجددين في مدرسة الصحراء وهو قاضي طرفاية حاليا .
(9) قصيدة بنفس العنوان (لا نريد توسعا) لشاعر الوحدة الاستاذ محمد الكبير العلوي نشرت بجريدة (الانباء) (عدد : 6 ـ 5 ـ 69) .
(10) الشاعر الفحل محمد سيداتي بن الشيخ احمد الهيبة ماء العينين توفي سنة 1964 في حادثة سير رحمه الله، وهو أبرز رجال الفكر المجددين بالصحراء المغربية .

في عيد العرش العلوي المجيد :

دوام النصر والتأييد لعام 1978

للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحيم عبد البر

في يوم 3 مارس سنة 1978 م تحل الذكرى السعيدة لعيد العرش العلوي المجيد . ففي مثل هذا اليوم من سنة 1961 م تولى جلالة الملك الحسن الثاني مهام الملك ببيعة شرعية وباجماع كل الشعب المغربي ، فاتخذنا من هذا اليوم عيدا سعيداً .

ـ وان كان العيد يعود كل عام ـ ولكن لنا من الامجاد والانجازات والاصلاحات ما يتجدد ويزداد كل يوم . فيجعلنا في أعياد وافراح باستمرار ـ ولكننا نظهر ابتهاجنا في هذا اليوم أكثر واكثر ـ كمن يجمع حصيلة الفضائل لاعوام عديدة .

فكان المجد متوارثا ، وكانت السيادة في موضعها . وانصت التاريخ ليسجل صفحات العز والسؤدد والفخار والبطولة .

عز وطيد ، وحسب كريم ، ونسب شريف ، ويقظة وصيانة واخذ بالافضل ، وسير الى الاكمل ، وارتقاء مستمر ، وازدهار متوال ، وسياسة رشيدة : للدين والدنيا معا.

العرش المكين والتدبير المحكم :

تخطيط علمي ، ودراسة عميقة ، وآمال محققة ، بواسطة التدبير المحكم :

ـ والتدبير ـ في أصل اللغة : هو التوفيق بين أوائل الامور وبين عواقبها ، والربط بين مبادىء الامور وبين نهايتها ونتائجها ، بحيث تكون المبادىء مؤدية الى ما يراد من غاياتها .

فالتدبير هو السير عقلا من المقدمات الى النتائج المنتظرة ، والاستعداد الى التعديل أثناء الانجاز اذا صادفنا عقبات . أو طرأ ما لم يكن في الحسبان .

كما أن تدبر القول : هو التفكير فيما ينتج عنه، وما يراد منه ، وما ينتهي اليه = اذا التدبير مراعاة العواقب .

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ـ عن ابي ذر الغفاري ـ ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا عقـل كالتدبيـر ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق .

والمعنى ان ارقى العقول يظهر اثرها في مراعاة العواقب ، وفي حسن التخطيط ، وفي الاستفـادة بالماضي كدرس تجربة ، وبالحاضر للاصلاح النافع ، ومع المستقبل نتصور ونستحضر ما ينبغي ان يكون.

ان يوم عيد العرش العلوي هـو يوم الشكـر والاعتراف بالجميل :

يوم الشكر لله : لانه انعم علينا وهيأ لنا هـذا المجد الوافر والعز الكامل .

ويوم الشكر لمن اجرى الله النعمة على يده فقاد الامة الى النهضة وارتقى بها الى ذروة المجد ، وسبق بها فحقق في سنوات لنا ما يحتـاج الى عشـرات السنين من اعمال غيرنا .

واشكر الناس لله اشكرهم للناس ، والتحدث بنعمة الله شكر ..

انه يوم الشكر بالقلـب واللسان والعمـل :

فشكر القلب تصور النعمة ، وشكر اللسان الثناء على المنعم ، والشكر العملي حسن استعمال النعمة فيما ينبغي أن يكون . وبذلك يضمن الله لنا المزيد مـن الخير ، والاستمرار في هذا المجد ، ودوام العـزة والسيادة (لئن شكرتم لازيدنكم) ، وشكرنا اليوم هو اعلان الولاء ، والتزام الوفاء ، والتمسك باهـداب العرش العلوي المجيد ، والسمع والطاعة ، واجابة النداء لنصرة الوطن في وحدة كاملة وبذل المجهود من كل شخص في عمله : باتقان فني لرقي الوطن .

دليل دوام المجد واستمرار العز للعرش العلوي المجيد: الاستقـامـة

روى البخاري ـ في كتاب مناقب الانصار ـ عن قيس بن ابي حازم ، قال : سالت امراة مـن احمس (قبيلة) . سالت سيدنا ابا بكر الصديق : قالت: ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامـت بكـم ائمتكـم ... الخ .

هذا الشرط اساسي في بقـاء نمو الدولـة وازدهارها في امة اسلامية مستقيمة مطيعة لتوجيهات الامام العادل . وهذه القضية موزعة على كل الاجيال. وتتحقق ـ ولو في طائفة من الامة الاسلامية ـ ليبقى الخير في المسلمين الى قـرب يـوم القيامـة . (ما استقامت بكم ائمتكم) : المعنى : ان الاستقامـة تكون طواعية وامتثالا لتوجيه الحاكم العادل المستقيم بامته ، فهي استقامة من الشعب على المنهج الذي ارتضاه الله وشرعه للامة الاسلامية .

ان الاستقامة هي الانتظام في اعتدال ، تقول : استقام له الامر اي انتظم بلا معارضة ، واستقـام الرجل : اي التزم المنهج المستقيم . ولذلك كانت اول خطبة لابي بكر الصديق ـ حين تولى الخلافة : اما بعد فاني وليت عليكم ولسـت بخيركـم ، فان استقمت فاعينوني ، وان زغت فقوموني .. الخ .

وقد استقام ابو بكر بالامة وحارب المرتدين . وبدأ فتح العراق والشام ...

فالاستقامة : سلوك قويم في الحياة ، وصبـر على التكاليف ، وقيام بالواجب ، فالاستقامة عمـل نافع ، وجزاؤها عند الله جزاء عظيم ... في الدنيا والآخـرة .

ان الحصول على الاستقامة يبدأ من تعويد النفس على مراقبة الله : فالحاكم المستقيم تصلح به رعيته. وتسعد به امته . فيعم به الامن والامان . والصانع المستقيم تتقدم صناعته وتشرف سمعته . فيشارك في نهضة وطنه . والتاجر المستقيم ، تربح تجارته ، وتزيد ثروته ، فيكون الازدهار للامـة . والـزارع المستقيم ، هو عماد الثروة ومبدأ الخير ، ويبارك الله له في عمل يده . ورئيس الاسرة اذا استقام ، استقام اهله ، واصلح الله له ذريته ، ومتى صلحت الاسـرة صلح المجتمع كله واستقامت الامة استجابة للحاكم العـادل .

الاستقامة عمل في يقظة دائمة ، واتباع للحق، وقيام بالعدل ، وشغل دائم في حركات الحيـاة السعيدة ، فهي المضي على المنهج القويم : وتـرك المنحرفيـن .

قال الله تعالى فى سورة هود : (فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، انه بما تعملون بصير . ولا تركنوا الى الذين ظلموا ...)

فالخطاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين معه ـ وهم مستقيمون ولكن المراد بيان ان الاستقامة عمل ، والنهي عن الركون الى الظالمين . كما فى الآية من سورة الشورى (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم ...) ـ وكما فى الآية من سورة الاحقاف (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) .

ونلاحظ فى آية فصلت (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا . وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ـ نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ...) . ان الله يلهم المستقيمين بالفكرة السليمة بواسطة الملائكة والعقل ، ويؤمنهم ضد القلق والخوف والحزن ، فى الدنيا والآخرة .

فى مقابل الفريق الثاني ـ كما ذكر فى نفس السورة ان الكافرين يقيض الله لهم قرناء السوء ليزينوا لهم الشر ويدفعهم الى الخسران .

وجاء الامر بالاستقامة للجماعة المؤمنة ـ كما جاء مدح المستقيمين ـ فى جماعة ـ بعد تأسيس قاعدة الايمان (ربنا الله) .

ان فى الطريق مزا لق واشواكا ، وعوائق واغراء من المنحرفين .. فليكن المستقيم المؤمن يقظا ليتخطى عقبات الطريق فى مهادة وسلامة وامان . ان ضمان استمرار الدولة المثالية مرهون بطاعة الشعب فى المعروف .. وبالمطاوعة للحاكم العادل الذي يحاول دائما أن يستقيم بشعبه على الصراط المستقيم .

ومن يتتبع تاريخ العرش العلوي يجد ان جميع الملوك العلويين قد استقاموا بالشعب الصالح العام ، واستجاب لهم الشعب طائعين مختارين .

عهد ووفاء : والانجازات تشهد :

(وانصت الشعب المغربي الى جلالة الملك الحسن الثاني ـ وهو يعلن استلامه مقاليد الملك ـ تلبية لارادة الشعب الاجماعية ، وتنفيذا لعهد جلالة الملك ـ والده المنعم فى رضوان الله ـ واداء للواجب الوطني ـ وقد اخذ على نفسه العهد بالاضطلاع بالمسؤولية طبق مبادىء الاسلام ـ ووفق تقاليد المغرب العريقة ، ومراعاة للمصلحة الوطنية ، وللدفاع عن حوزة الوطن واستقلاله ، وحفاظا على سيادته ووحدته ، واعلاء لشانه بين الدول ، وبذل كل جهد لتحقيق تقدم الامة وسعادتها ورخائها ...)

فحقق جلالة الملك ـ امير المؤمنين ـ كل ذلك بفضل الله ومعونته وبحسن التدبير وجميل التسيير ، وبارقى ما يكون من قيادة رشيدة وسياسة حليمة ، وبعطف فاق عطف الآباء على اولادهم ، وبمبادرات ذكية سبق بها الزمن ، ورآها من الغيب وراء حجاب شفاف ـ قد يحجب الكثيرين عن الرؤية الواضحة ـ ولكنه لا يحجبها عن الاذكياء الماهرين الذين اعدهم الله بعنايته ، وادخرهم لزمن يحتاج الى راع يقظ واع موهوب .

فكان اول ما عمل هو تعجيل جلاء القوات الاجنبية عن ارض الوطن ـ بطريقة سلمية ، وبقانون دولي ، وبسياسة ماهرة .

ثم تصفية مشاكل الحدود تباعا ـ ظهر فيها بعد النظر وكمال الفهم .

ثم استرداد المغتصب من تراب الوطن بمفاوضات ناجحة .

ثم الديمقراطية والحياة الدستورية بتكوين مدرسة لها منهج مدروس ، ورجال أوفياء ، علماء حكماء .. فتكون فيها جيل الحسن الثاني ـ فى نباهة وفكر سليم ـ بمنطق قويم .. حتى اكتمل الرجال ثم انتخبهم الشعب فكانوا النماذج الراقية .

ثم كانت مبادرة المليون هكتار .. واقامة السدود والاصلاح الزراعي ، والنهضة الصناعية ، واستغلال معادن الارض .. والرعاية الكاملة الموزعة على كل اقليم من اقاليم المملكة المغربية ، فغمرت السعادة كل افراد الشعب ، وظهرت امارات النعمة على الجميع .. ووفر فى الاسواق كل ما يحتاجه الناس من دواء وغذاء وكساء ، والمواد الاولية للصناعة والتعمير والبناء والتشييد .

ثم كانت المسيرة الخضراء :

اما الفكرة فهي وحيدة فريدة ، تدل على عبقرية فذة وذكاء فائق ، واما تنفيذها فكان امرا عجيبا ، اندهش لها كل من سمع وراى .

وتحقيقا لمعنى الآية – من سورة التوبة : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ...) كان للنساء نصيب عشرة فى المائة .

والولاية هي النصرة واجابة الداعي مهما روج المغرضون من اشاعات .

وكانت الاستجابة فى حماس شديد واندفاع يفوق العدد المطلوب .

والاستجابة هذه : اثر من آثار استقامة الامام بالشعب .

والاستجابة – معناها فى اللغة قطع الجوبة – اى الوادي العميق ، ثم استعملت فى قطع كل ارض ، فهي الاجابة العملية بعناية واهتمام وكانهم (الذين استجابوا لله والرسول ..) وكانهم (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل – فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم .)

فكانت العاقبة : (للذين استجابوا لربهم الحسنى) .

وصارت سياسة المال اسلامية : تغني الفقير ولا تفقر الغني .. وصارت سياسة الدولة شورية اسلامية : لا انفراد ولا استبداد .. وصار اصحاب المناصب الكبرى لخدمة الشعب ولرعاية الصالح العام ومال الدولة للشعب .. ويفيض منه الكثير على المسلمين فى مشارق الارض وجنوبها .. مساعدة المحتاجين . واسهاما فى الخير العام .

ولا أجد تعبيرا عن هذا اصدق من قول الشاعر :

هو الشمس فى كبد السماء وضوؤها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

هو البحر يهدي للقريب جواهرا
بيضا ، ويرسل للبعيد سحائبا

هو البدر – من حيث التفت رايته
يهدي الى عينيك نورا ثاقبا

اللهم اني أسالك لجلالة الملك الحسن الثاني ، دوام النصر والتأييد ، وكمال العز والسيادة ، ومزيد التوفيق لكل خير وتمام الاستقامة بالشعب المغربي الى كل سؤدد ومجد وفخار ، وقرة العين ولي العهد الامير سيدي محمد ، وبشقيقه سمو الامير مولاي رشيد ، وبسائر افراد الاسرة الملكية الاشراف الاطهار انك سميع مجيب . والحمد لله رب العالمين .

الرباط : أحمد عبد الرحيم عبد البر



التطوع الأول

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

اذا كانت ابعد المسافات تبدأ بخطوة واحدة ، واذا كانت العزائم تأتي على قدر أهل العـــزم ، فان المسيرة الحسنية الخضراء المظفرة قــد ابتـــدأت بمجرد فكرة ، ولكنها فكرة شجاعة وجديدة وفريدة من نوعها ، تفتقت عنها عبقرية نادرة ، ادهشت العالم كله بدقة تخطيطها ، وسلامة منطلقهـــا ، واصالــــة رائدها وقائدها ، ونبل غايتها ومقصدها .

لقد انطلق ثلاثمائة وخمسون الف رجل وامرأة فى الصحراء الفيحاء الشاسعة ، وهم عزل من كــــل سلاح ، مسالمون واهبون انفسهم لله ولقضية وطنية شريفة ، يحملون الرايات المغربية ، والقرءان كتاب الله المقدس ... انهم حقا جنود الرحمن ، ورســـل السلام ، يتوفرون على قوة روحانيـــة خارقـــة ، ومعنويات عالية تقهر الطغاة والمستبدين والغاصبين ، وتسكت مدافعهم وحشودهم الجرارة ، وتردهم على اعقابهم خاسرين .

ان المغرب بكل طبقاته ، وبجميـــع هيئاتـــه ومنظماته السياسية والنقابية والثقافية والرياضية وسواها ، قد اعطى الدليل القاطـــع ، والبرهـــان الساطع ، ملكا وحكومة وشعبا ، على انه فى مستوى مسؤولياته التاريخية ، وواع كل الوعي لسجايـــاه الوطنية العريقة ، وقيمه الدينية المصهورة بالدماء والارواح . وذلك ما جعله عبر مختلـــف الحقـــب والعصور ، محققا للفتوحات الباهرة ، والاعمـــال الجليلة . فهو يربط ماضيه المجيـــد ، بحاضـــره السعيد ، ويبني لمستقبله الباسم ، بهمة لا تعرف الفتور ولا اللغوب .

ويكفي المسيرة الخضراء شرفا وقدرا رفيعا ، انها فى عصرنا الحاضر ، تعتبر المبادرة الفريدة من نوعها التي ادركت الغاية المتوخاة منها من دون اراقة قطرة واحدة من الدم . وهذا هو سر الاعجاز فيها . وهذا بالذات ما يحفزنا الى دراسة اطوارها ومراحلها ، والى ترصيع صفحات تاريخنا البطولـــي بآياتهـــا ، واستنشاق نسيم الحياة من نفحاتها العطرة .

وما زلنا نتذكر عن كثب ، المهرجان الفخيـــم الذي اقيم بساحة مسجد حسان بالرباط ، بمناسبة الذكرى الاولى للمسيرة الخضراء ، يوم 6 نونمبـــر 1976 ، حيث قام صاحب الجلالة الملك الحســـن الثاني ـ ايده الله ونصره ـ بتوسيم أعلام المتطوعين الذين كانوا قد انطلقوا سيرا على الاقدام من اجـــل استرداد الصحراء الحبيبة .. لقد كانت روح محمد الخامس ـ رضوان الله عليه ـ ترفـــرف هنالـــك مزهوة بما حققناه من مآثر ومعجزات . وكيف لا وهو المؤسس للاستقلال الجديد ؟ ! فكيف لا يفـــرح ، وكيف لا تنشرح روحه وقد أحاطت الاعلام بضريحه الشريف ؟ ! ان الصورة الرائعة ضمن الاطار الباهر ، تبرز أمام العالم أجمع ، مدى التجاوب والانسجام بين

القمة والقاعدة ، ومتانة الروابط الحسية والمعنوية، في البيعة الدائمة المتجددة ، تلك البيعة التي تقدمها الامة جمعاء في اجلال واكبار ، الى امير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين ، فخر العروبة والاسلام جلالة الملك الحسن الثاني دام له العز والتمكين ، والفتح المبين .

وبما ان لكل مقام مقالا ، فان سياق الحديث يجعلنا نؤكد حقيقة جغرافية لا جدال فيها ، وهي ان أوسع صحراء في العالم تمتد من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر ، وقد كانت وما تزال تعبرها القوافل التي تمارس التجارة واغلبية سكانها بدو رحل .

ويذكر المؤرخون أن الاسبانيين لم يحتلوا الصحراء الا في فترة (لاريكونكيستا) اي الغزو من أجل استرداد الارض ، وذلك بعد سقوط غرناطة سنة 1492 ميلادية ، حينما طردوا العرب من اسبانيا، وتعقبوهم وتتبعوا آثارهم حتى في تخوم القارة الافريقية ، حيث وسعوا ووطدوا معاملاتهم التجارية مع شعوب وقبائل القارة السوداء .

وبالرغم من الغزو الاسباني الذي كان متسلطا عنيدا ، وبالرغم من حملات التبشير التي اصطدمت بالعقيدة الاسلامية الراسخة والمتأصلة في نفوس المغاربة ، فان روابط البيعة والولاء فرضت نفسها في خضم الظروف والملابسات والزوابع والزعازع الاستعمارية ، وظلت تلك الروابط قائمة وموجودة وملموسة بين المغرب والصحراء الغربية ، منذ القرن الحادي عشر ، وكذا في عهد الدولة المرابطية. والمغرب لا يتنكر لطبيعته ابدا ، وهو منطقي مع نفسه وذاتيته ، فقد حافظ اشد ما تكون المحافظة ، وتمسك أقوى ما يكون التمسك بتلك الروابط القوية المتينة فيما بينه وبين كافة الملوك والسلاطين الذين تعاقبوا على عرش المغرب في خلال الدول التي حكمت في الماضي وتتولى مقاليد أموره في الحاضر.

وكان هنالك تواطؤ استعماري بين انجلترا واسبانيا بسنوات عديدة قبل الحرب العالمية الاولى. فقد ابت انجلترا الا ان تحدث ثلمة وثغرة في الامبراطورية الفرنسية التي كان يتسع نفوذها ويمتد سلطانها فيما وراء البحار ، من (دانكيرك) الى (دكار) على سبيل المثال لا الحصر . كما كان الانجليز يمانعون — مهما كلف ذلك من ثمن — في ان يروا قوة بحرية عظيمة تحشر اسطولها في مواجهة جبل طارق . ولذلك فضلوا وجود اسبانيا ، وتركيز نفوذها وترسيخ سلطانها في المغرب وفي الصحراء الغربية . وتلك سنة المصالح المتبادلة بين الكبار الاقوياء ، على حساب الصغار الضعفاء .

وجرى التاريخ مجراه ، وأبى الا ان يعيد نفسه ...

وجاء جلالة الملك المغفور له محمد الخامس — قدس الله روحه — فقام منذ بزوغ فجر الاستقلال والحرية وادبار عهد الحجر والحماية ، في 2 مارس سنة 1956 ، بالمطالبة باسترجاع الوحدة الترابية للمغرب ، وذلك باتصالاته المباشرة مع الجنرال فرانكو . واذا كانت اسبانيا قد تخلت في البداية عن المنطقة الشمالية وعن اقليم طرفاية ، فانها كانت متشددة ومتصلبة ، لا تقبل اية مناقشة او مساومة فيما يخص الصحراء الغربية وسيدي ايفني .

وتم استرداد طرفاية بالفعل سنة 1958 ، في ظروف حفظت لصاحب الجلالة القائد البطل محمد الخامس — طيب الله ثراه — ما كان يحظى به من هالات المجد والعز والهيبة والوقار . والفضل يرجع في تحقيق هذا الفتح المبين كذلك ، لولده البار ، ووارث سره ، ورفيقه في الكفاح ، جلالة الملك الحسن الثاني — اطال الله بقاءه — فقد ابرز من حسن الثبات ، وجميل التدبير ، وكياسة التصميم والتنفيذ ، ودوام اليقظة والتبصر والنظر البعيد ، ما جعله اهلا لكل نصر وقمينا بكل توفيق . فهو لا يابه بخطورة ، ولا يتقاعس عن القيام بواجبه الوطني كلما دعا داعي الكفاح والتضحية والفداء .

الا ان اسبانيا حولت منطقة الصحراء في سنة 1958 الى اقليم اسباني ، اذ كان اكتشاف مناجم الفوسفاط التي بدأ استثمارها سنة 1964 ، احد العوامل التي دفعتها الى اتخاذ هذا القرار .

وواصل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة ابيه من اجل استرجاع الاقاليم المغتصبة ، واستكمال الوحدة الترابية للبلاد ، وضاعف من تدخلاته الحكيمة لدى هيئة الامم المتحدة ، ومن اتصالاته المباشرة مع الجنرال فرانكو .

فمنذ زيارة باراخاس سنة 1963 ، والحلول بمدريد سنة 1970 ، الا وصاحب الجلالة الملك

الحسن الثاني ــ سدد الله خطاه ــ لا يدع فرصــة مواتية لاثارة مشكلة الصحراء ، الا واغتنمهـــا مـــع المسؤولين الاسبانيين خصوصا وان اسبانيا كانت تعتزم منح استقلال نوعي لاقاليمها . فلم يبـــق الا الحوار الصريح والصارم والنهائي .

وكان يعتقد الجنرال فرانكو ، ان ما يطلبه منه المغرب ، انتحار بالنسبة لاسبانيا ، فلم يوافق على شيء ، ولم يلتزم بأدنى شيء بالرغـــم من لباقتـــه المتناهية ، وتأدبه الجم . ومهما يكن من امر ، فان الحديث معه فى هذا الشأن كان فى منتهى الصعوبة والاحراج .

ولم يقطع المغرب امله ابدا ، والحالة انه لم يكن يتراءى اي حل فى الافق بين احضان المنتظم الدولي، بالرغم من شتى الملتمسات والتدخلات .

وقد عمدت اسبانيا الى تمرير مشروعها الرامي الى تقرير المصير من خلال هيئة الامم المتحـــدة . ومن اجل ربح الوقت ، فكر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ، فى اللجوء الى محكمـــة العدل الدولية ، لافهام الراي العام الدولي بأن مطلب المغرب لم يكن قائما على المغالطـــات والاطمـــاع والاوهام ، وانما كان ذلك المطلب ذا اصول وجـــذور ومشروعية فى التاريخ ، وكان الاسبانيون يصمون اسماعهم عنه ، ويتعمدون تجاهله فى عتو ونفـــور واستكبـــار .

واصبح ايجاد « الفكرة الناجعة » امرا تفرضه الظروف ، حتى يكون الراي الاستشاري لمحكمـــة العدل الدولية فى صالح المغرب ، وحتـــى تتاتـــى الاستفادة من الوقت المربوح عند الاقتضاء .

ولم تكن ابدا فكرة المسيرة فكرة اعتياديـــة عابرة ، لانها منطلقة من الهام روحاني ، ومنبثقة مـــن نور الهي . فلم يخطر بالبال ابدا ان تصير الصحراء مستقلة استقلالا انفراديا ذاتيا ، لاننا ضد التقسيـــم وسياسة التفرقة ، ونحن نشجب شجبا قاطعا انشاء الدويلات المصطنعة السائرة فى ركاب الاستعمـــار المكشوف والمقنع ... ولم نفكر فى خوض حـــرب ضد اسبانيا ، بل لجأنا الى وسيلة ابتداعية خارقـــة العادة . فوجب علينا أن نسير .. وان نسير بعـــدد وفير من الرجال والنساء اذا نحن اردنـــا حقـــا ان نسترد الصحراء ، بنظام محكم وخطة مرسومـــة .

فقد كان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، على حق حين قال فى هـــذا الخصـــوص : « لا أعتقد ان ثقة اي رجل حرب فى العالم ، تكون له الجراة ليصدر اوامره باطلاق النـــار على ثلاثمائـــة وخمسين الف رجل مدني عزل من السلاح لا يريدون سوى شيء واحد : هو استرجاع أرضهم » .

وكل عمل ذي بال يغير وجه التاريخ فى حياة الامم والشعوب ، يكون فى البداية مجرد فكرة قـــد تكون حظوظ فشلها راجحة على حظوظ نجاحهـــا ، وتكتنفها كثير من الظنون والشكوك .. لكن ، حينما يتقوى الايمان بفاعلية ذلك العمل ، وتتوطد الثقة بالله فى انجاحه ، اذ ذاك تتحفز الهمة ، ويحلو الانطلاق الى الغاية المنشودة .. على بركة الله .. بسم الله مجراها ومرساها .. فمن العبد البداية ، وعلى الله الكمـــال .

وكان خطاب 20 غشت سنـــة 1975 امـــام الشخصيات العديدة ، المدنية منها والعسكرية .. وسبق ذلك الخطاب تخطيط محكم احيـــط بأكبـــر نصيب من السرية والكتمان من جميـــع الوجـــوه ، توكيدا لضمان النجاح والتوفيق .

وكانت هنا لك مهلة للتامل والتفكير . وتسابق الذين وقع عليهم الاختيار الى شرف المشاركة فى تحضير المسيرة . وبدا العمل بالفعل مع الاحتفاظ بالسر . واتخذت جميع الاحتياطـــات ، وتمـــت دراسة ما يضمن توفير الوسائل وتيسير الاسباب . واعد كل شيء على مستوى الاقاليم ، وحضر مـــن المؤن ما يكفي لثمانية ايام .. كما تم انشاء قطاعات للتخزين مع مستودعات تامة التجهيز فى الطريـــق المؤدية الى طرفاية بصورة تمكن من مواجهة احتياجات شهـــر بأكملـــه .

وفى شهر رمضان ، تكونت التخزينات فى منأى عن عيون الرقباء .

وكانت المخاطرة تدعو فى الواقع الى تمديـــد اختصاصات العسكريين ، واشراك الوزراء والعمال والولاة فيها . وكان القسم الذي حـــرره صاحـــب الجلالة الملك الحسن الثاني ــ حفظه الله ــ كما يلي : « أقسم أمام الله ، ان لا ابوح بشيء من مشـــروع المسيرة الخضراء . كما اقسم امام الله ، اذا كنت

لا اشاطر صاحب الجلالة رايه فيما يخص هـذا المشروع ، أن لا أبوح بذلك وأن أقدم في هذه الحالة استقالتـي » .

وادى الجميع اليمين ، ابتداء من الوزير الاول الى نواب كتاب الدولة . وقام الضابط باختصار الامور ، واعداد التخطيطات والاحصائيات والقياسات. واذا كان العسكريون مقتنعين ، فان المدنيين لـم يكونوا يعرفون ما ذا ستسفر عنه هـذه المسيـرة المنتظـرة .

وكان السيد الوزير الاول في طليعة من حظوا بالمثول بين يدي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ـ ، فقال له : « مولاي ، لقد لخـص احد زملائي الحالة بقوله : انها فكرة القرن ، ويمكنكم ان تعتمدوا علينا ، فليس هنالك ادنى مـا يشوش البـال » .

وتم وضع الوزراء والعمال وضباط القيـادة العليا في تيار الاحداث ، بمدة خمسـة عشـر او عشرين يوما قبل الاعلان عن الفكرة وانطلاق القضية . . وكم سهرت العيون خلال هذه الفتـرة الحاسمـة ! فالاحتفاظ بالسر كان مفتاح النجـاح ! وحصلـت معجزة القرن العشرين بفضل الاحتفاظ بسر من هذا النوع ! واصبح من الممكن الآن التفكير جديا في اعطاء شارة الانطلاق والضوء الاخضر لثلاثمائة وخمسين الفا من المواطنين ، وتقدير كل الاحتمالات التي قد يتعرضون لها وتصيبهم بها المسيرة .

واصدرت محكمة العدل الدولية حكمها في 16 اكتوبر ، مجيبة عن هذين السؤالين :

هل كانت الصحراء خالية ممن يحكمها ؟

— اجابت المحكمة : لا

هل كانت هنالك روابط شرعية وقانونية بين الصحراء والمغرب ؟

— اجابت المحكمة : نعم ، لقد كانت توجـد روابط ولاء وبيعة بين الصحراء والمغرب .

فيتضح في ذلك أن المغرب كان على حـق في مطلبه من الناحية القانونية . وكانت الفرصة موائية ، ليقوم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ صانه الله ـ في نفس المساء بالقاء خطابه الذي فاجأ بـه العالـم اجمـع .

وفي يوم 17 اكتوبر 1975 ، التقى الدكتـور عبد اللطيف الفيلالي سفيرنا بمدريد ، بالسيد ارياس نافارو ، رئيس الحكومة الاسبانية ، بينمـا كانـت الفرحة تغمر المغرب من اقصاه الى اقصاه .

وكان جلالة الملك قد فكر حقا في تعبئة حصاد سنة ، اذ المعدل السنوي للمواليد بالمغرب هـو 350.000 شخص .

وبدا العسكريون في نفس اليوم التنفيذ الفعلي للتصميم الظاهر من المسيرة الخضراء ، فشوهدت صهاريج ضخمة من المطاط تتلقى كميات هائلة مـن الميـاه .

وتضاربت ردود الفعل في شتى اقطار المعمور بين مؤيدة وناقدة وساخطة . وابى الله الا ان يحق الحق بكلماته ، بالرغم مما عرفه آنذاك السيد ادريس السلاوي من مصاعب اولى في هيئة الامم المتحدة .

لقد كان حضور المغـرب في مجلس الامـن وتواجده هنالك في تلك الظروف بالذات ضرورة لا مندوحة عنها ، اذ الحالة تقتضي مواجهة الكثيرين من اعضاء المجلس الذين هم بالاحـرى ضدنـا ، وليسوا مناصرين لنا . والمشكل الجوهري قبل كل شيء هو اعتراف مجلس الامن بمشروعية الحـوار المسبق طبقا للفصل الثالث والثلاثين . وعليه ، فمن الممكن اتاحة الفرصة لاسبانيا كي تفاوض المغرب في ظل العز والشرف ، خصوصا وان هنـاك علاقـات قانونية بين الصحراء وكل من المملكـة المغربيـة والجمهورية الاسلامية الموريتانية . فالتفاوض يصون كرامة اسبانيا ولا يمرغها في الوحل بأية حال مـن الاحـوال .

وكانت الجماهير الاسبانية تكذب بالمسيـرة وتكاد تؤمن بفشلها ، مع تتبعها للشاذة والفـاذة ، ولكل صغيرة وكبيرة من اطوارها . فلم تبرح مقتنعة بأن المسيرة ـ في نظرها ـ مجرد تهريج وفوضى ومطالبة بما لا يكون (!) فالاهم في رأي اسبانيا هو صحة الجنرال فرانكو الذي كان طريح الفراش يشكو علـة خطيرة .

وفى تلكم الاثناء ، كانت القطارات والحافلات والشاحنات تنقل المتطوعين الى مراكش ملتقى التجمع . وكانت التسجيلات كثيرة وغزيرة بحيث اصبح من اللازم فرض تقنينات على مشاركة المتطوعين من شتى الاعمار والمستويات الاجتماعية، حتى لا تتعطل حياة الامة . وبالفعل ، لم يشارك بعض الموظفين والاطباء والطلبة فى المسيرة ، تأدية منهم للواجب الاداري الذي هو فى حد ذاته مسيرة وكفاح من نوع آخر .

واصبحت مدينة مراكش تعج بالمتطوعين الذين حجوا اليها من الشمال والشرق والغرب ، استعدادا للوثبة الكبرى فى اتجاه طرفاية .

وكانت فرحة الشعب المغربي عارمة وجماعية تستقطب حولها جميع عناصر الامة وهيئاتها السياسية ، بما فيها أحزاب المعارضة ، اذ الامر يتعلق بمصلحة البلاد العليا . وحلت بالبلاد بعثات اسلامية ، تحدوها الرغبة الصادقة ، وتغمرها الحمية والغيرة والحماسة ، من اجل مساعدة المغرب ومشاركته فى المسيرة .

وتلقى المتطوعون ما هم فى حاجة اليه من التجهيزات الضرورية ، من اغطية ، وأوعية للماء ، وأواني ، ومواد غذائية ، وغاز .. وحملوا باليمنى كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورفعوا باليسرى الراية الحمراء ، رمز العزة والسيادة والكرامة .

وتوجه الصحافيون من شتى وكالات الانباء العالمية ، والمؤسسات الاخبارية الدولية الى مراكش حيث كان المتطوعون يرابطون ويراقبون تطور الاحداث عن كثب ، بينما كان فى الجانب الآخر .. وفى مدريد بالضبط : جيش عرمرم من الصحافيين يرابطون امام قصر بارود ، يبرقون الى وكالاتهم ومؤسساتهم الاعلامية بأدق التفاصيل عن تطور الحالة الصحية الخطيرة للجنرال فرانكو ، ناهيك وان علة (الكوديو) اصبحت تتفاقم ساعة بعد ساعة .. بل وامست ايامه فى خطر ، بحيث ينتظر بين الآونة والاخرى ، الاعلان عن وفاته.

وفى جنوب المغرب ، يتصاعد الشعور بالنشاط والغبطة والحبور ، فى انتظار انطلاق الافواج الاولى من المتطوعين نحو طرفاية .

وهال الجزائر ما رات وما سمعت ، فكشفت عن وجهها الحقيقي ضد المغرب . ففي 21 اكتوبر 1975 ، اعلنت فجأة عن تمردها على النوايا المغربية، فنادت بتقرير المصير ، وأيدت دعاة التقسيم والانفصال ، وساندت بالاموال مرتزقة جماعة البوليزاريو ، وزودتهم بالاسلحة ، وعملت على تدريبهم العسكري فوق ترابها ، بدون حياء ولا خجل . فهي بذلك تشجع اعمال العنف والتخريب ، بدعوى تحقيق الاستقلال المزيف للصحراء الغربية من اجل اطماعها التوسعية ... والتوصل الى منفذ وطريق يوصلها الى المحيط الاطلسي .

واستقبلت طرفاية الافواج الاولى من المتطوعين . وعندما انتظم الشمل وزحف الموكب على بركة الله ، ادركت اسبانيا ، وعلمت علم اليقين، ان المسيرة حقيقة ملموسة ، وليست حلما او وهما، كما كان يتبادر الى ذهنها . فهي لم تأخذ المسألة فى البداية بمأخذ الجد ، ولكنها شعرت بالقلق والحرج، حينما شاهدت القوافل ترتب ، والمواقيت تحترم ، والمعسكرات تنظم .. وامام ما تقتضيه الحالة من حزم ويقظة ، قرر المغرب تدعيم برنامجه ومخططه اليومي .

وساهمت مصالح الصحة والهلال الاحمر مساهمة كبرى فى علاج واسعاف المتطوعين ، وذلك بامدادهم بأربعمائة وسبعين طبيبا ومساعديهم الذين لم يتدخلوا الا فى حالات نادرة غير ذات أهمية . وقد بلغت الوفيات احدى عشرة ، بينما ولد ثمانية عشر طفلا أثناء المسيرة .

وأثناء التحاق الدكتور كورت فالدهايم بصاحب الجلالة خلال تدشينه لانطلاقة اشغال سد سيدي شحو ، وذلك يوم 26 أكتوبر 1975 ، كان الرئيس الموريتاني الاستاذ المختار ولد دادة قد تبادل مع الامين العام لمنظمة الامم المتحدة وجهات النظر ، وصرح له بأنه يبحث عن وسيلة مع اسبانيا تنقذ الموقف ، وترضي المصالح المشروعة المغرب ، كما ترضي الاعتبارات الاسبانية ، وذلك حفاظا على وشائج الصداقة والمودة التي تربطه بالدولة الاسبانية ، طيلة سبعة قرون من التاريخ المشترك ، فلسنا مجرد جيران فقط ، بل اننا متكاملون ومتساندون فى كل سبل الخير والسلام .

كما ذكر السيد كورت فالدهايم بان تحليل صاحب الجلالة للموقف ، قد ساعده اكبر مساعدة على تفهم الموقف بصورة اعمق .

وفي فاتح نوفمبر 1975 ، تولى السيد آدم مالك رئاسة مجلس الامن . وكان من الصدف الغريبة آنذاك ، ان السوفيات قد تدخلوا في آنغولا . وكانت تصريحات ممثليهم تناصر الجزائر ، وتحذر اسبانيا ذات المقام الدولي الرفيع ، وصاحبة الوصاية على الصحراء الغربية ، ان لا تنساق للدعايات والمغالطات والمهاترات الديماغوجية ، ولا تنخدع بها .

وفي فاتح نونبر 1975 كذلك ، كان صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد — حفظه الله — قد اعطى شارة الانطلاقة الكبرى للمتطوعين المحتشدين في مراكش .

وتم استهلاك 2.590 طنا من الوقود ، استعملتها 7.800 شاحنة كانت تقصد مدينة طرفاية . وتيسر مرور الشاحنات ، ولم تتعطل الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد . وكانت حوادث السير طفيفة جدا سواء في الذهاب او الاياب .. ووصلت القوافل الى طرفاية بالرغم من هبوب الرياح الشرقية العاتية ذات الزوابع الرملية .

ووصل الامير خوان كارلوس يوم 3 نوفمبر 1975 الى مدينة العيون ، وهو أول عمل قام به كرئيس للدولة الاسبانية يضطلع بمقاليد النيابة عن الجنرال فرانكو اثناء مرضه . وكان الهدف من زيارته هذه ، الرفع من معنوية الجيش وتدعيم السلام في المنطقة .

وهناك عمل جليل ، وموقف نبيل ، قام به السيد خطري ولد سيدي سعيد الجماني رئيس الجماعة بمدينة العيون ، والحامل لوسام القلادة الكبرى لايزابيلا الكاثوليكية .. فقد جاء الى مدينة مراكش يوم 4 نوفمبر 1975 ليجدد بيعة الطاعة والولاء لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني — ايده الله — وذلك لعمري رجوع الى الاصل ، لان اجداد خطري من قبله ، كانوا يدينون هم كذلك بالطاعة والولاء للملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب ... وكان صاحب الجلالة الملك ، حينما خلع عليه سلهامه تقديرا لموقفه النبيل ، وتوبته الخالصة ، انما قد اقتدى بسيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فاحيا سنته الرشيدة ، وعفوه وسماحته ورحابة صدره الكريم ، عندما جاء اليه الشاعر كعب ابن زهير معتذرا سميعا مطيعا ، حيث قال في قصيدته الشهيرة : (بانت سعاد) :

ان الرسول لسيف يستضاء به ،
مهند من سيوف الله مسلول

فخلع عليه الرسول مولانا محمد بن عبد الله ، عليه ازكى الصلاة وافضل السلام ، بردته الشريفة ، وشمله بحنوه وعطفه وعنايته ورعايته ، واعاد اليه اعتباره ، مقدرا فيه صدق الايمان ، وخلوص النية ، وصفاء الطوية ، ونقاء الضمير ! فما اشبه اليوم بالبارحة ! وحكمة الله بالغة !

ولم يخف الرئيس الجزائري هواري بومدين دهشته واستغرابه وقلقه حيال حشد ثلاثمائة وخمسين الفا من المتطوعين في المسيرة ، وذلك خلال اللقاء الذي تم في 4 نوفمبر 1975 بينه وبين مبعوث صاحب الجلالة اليه السيد الحاج امحمد ابا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، في الجزائر العاصمة .

واذا كان من حق الانسان أن يضع على نفسه هذا السؤال : (هل يمكن الاستمرار في المحافظة على النظام ؟ ونجاح المسيرة الى آخر خطوة من خطواتها ؟) الواقع ان كل المتطوعين قد وصلوا الى مدينة طرفاية . وفي هذا الحشد الهائل ، كانت كل ناحية او منطقة تعرف بشكل خيامها .

وشهد المتطوعون مدرج الطائرات في طرفاية بأنفسهم ، وبمحض جهودهم ومبادرتهم الشجاعة . وكانت المواد الغذائية التي يبلغ وزنها 17.000 طن يتم نقلها على متن الشاحنات والطائرات . واصبحت طرفاية — تلك القرية الصغيرة — مدينة كبيرة ، تدخل تاريخ الكفاح الوطني من أوسع ابوابه .. وبدأت تعيش حياتها الاعتيادية . وكان البريد هو همزة الوصل بين المتطوعين واحبابهم واهاليهم واقربائهم . وكانت النساء اللواتي شاركن في المسيرة ، يقمن باعداد الطعام . وكانت قنينات الغاز تسد ما تعانيه المنطقة من قلة الحطب ، اذ كان يتم توزيعها بانتظام ، شأنها شأن الكميات الضرورية من المياه التي بلغ ما تم نقله منها 23.000 طن .

وخلال فترة الانتظار بطرفاية ، أصبح فيهـا اعظم مسرح لعروض فخم الحفلات التي تتمثل فيها كل أصناف الفولكلور المغربي الاصيل ! .

وبعد ما كان صاحب الجلالة الحسن الثانـي ـ نصره الله ـ قد أعطى شارة الانطلاق لليوم الموالي، في مساء 5 نوفمبر 1975 ، فهو الذي اصدر امـره المطاع في 6 نوفمبر 1975 الى الوزير الاول ، لاجتياز الحدود الوهمية ، على راس المتطوعين الابرار ... وفي صباح ذلك اليوم كان الوزير الاول السيد أحمد عصمان هو الذي يتولى قيادة المتطوعين في المسيرة..

وكان المشهد مدهشا ومؤثرا للغاية .. فاية مشاعر تغمر النفوس اثناء اجتياز الحدود !!! واية فرحة تطغى على القلوب أثناء قطع الحائق الاصطناعي!!! انا نحس بالزهو والفخر والاعتزاز ، ونحن نستجيب كرجل واحد لنداء قائد الامة ورائد هذه المسيـرة ذات المدلول البعيد ، والمغزى العميق .

ولم يتحرك الاسبانيون ! والمغرب قد اتخـذ احتياطاته على جميع الجهات !

وامام صمت الحكومة الاسبانية وتسويفهـا ، صار موقف المغرب أشد صرامة ، بحيث لا يقبـل التردد باية حال من الاحوال .

واصبح العالم كله يتحرق شوقا الى معرفـة نتائج مسطرة السلام ، وما آلت اليه تصفية الجو في هذه المرحلـة .

واجتيزت الحدود .. وتم الوصول الى حصن الطاح ، وهو أول موقع عسكري انسحب منه الجيش الاسبانـي .

وقد سبق لصاحب الجلالة أن خاطب شعبـه قائـلا :

« غدا ستخرق الحدود

« غدا ستنطلق في مسيرتك

« غدا ستطأ ارضا هي ارضك

« وغدا ستعانق ترابا هو جزء لا يتجزأ مـن وطنك العزيز .

« وبمجرد ما تجتاز الحدود ، يجب أن تولـي وجهك شطر المسجد الحرام ، وان تـؤدي صـلاة الشكر لله العلي القدير » .

وبالرغم من اخبار الزحف المنتشرة على اوسع نطاق ، فان الاسبانيين لم يتحركوا ، بـل اكتفـوا بمراقبة حدود جديدة .

وجاء يوم الجمعة 7 نوفمبر 1975 ، فتوجـه الجانبان المغربي المسلم ، والاسباني المسيحـي للصلاة . ولعل ذلك بشير وايذان بانفراج الازمة ... فلقد استدعي على عجل ، الدكتور عبـد اللطيـف الفيلالي سفير المغرب بمدريد ، من لـندن الرئيس الاسباني آرياس نافارو . وأصبح الوضع الخطير في مدريد يفرض على سفرنا اجتناب الوقوع في المحظور، والابتعاد عن حدوث المأساة .

وتشاء الارادة الالهية الا ان ينقل الجنرال فرانكو في نفس المساء الى مستشفى لاباس لتجري لـه سلسلة من التدخلات الجراحية الحاسمة ، ولكن ، يا لسخرية القدر !!! ان الجنرال فرانكو الذي قد كان وصل الى الحكم بفضل الجيش المغربي ، سيموت ، وجيوشه بالذات تنسحب عن المغرب !

وافتتح بمدريد يوم 11 نوفمبر 1975 المؤتمر الثلاثي ، طبقا لمقررات اكادير .. وتم يوم 14 منـه التوقيع على الاتفاقية .

وعاد جيش المسيرة الى القواعد التي جاء منها، امتثالا لامر مليكه وقائده ورائده ... وكتـب الله النصر للملك الحسن الثاني ، مثلما كتبـه لجـده الرسول صلى الله عليه وسلم في فتـح مكـة . (وعد الله ، لا يخلف الله الميعاد) .

وفي 28 يونيه 1975 غادر الاسبانيون مدينـة العيون عاصمة اقاليمنا الصحراوية المسترجعة . ولم تتمرغ كرامة اسبانيا في الوحل ، كما كان يتوهـم المتوهمون والصيادون في الماء العكر . ولم تحدث طلقة نارية واحدة بين الجانبين المعنيين بالامـر ، واحتفظ كلاهما بعزته ونخوته وشهامته . وانتصر التعقل والصبر على التهور والخور .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال » .

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو . وان يردك بخير فلا راد لفضله » .

وللمغرب مسيراته الاخرى ماضيا وحاضرا ومستقبلا دون المسيرة الخضراء المظفرة التي ستبقى درسا للاجيال ، وعبرة للسائلين . فبلادنا مثال رائع الخير والسلام على جميع المستويات الحسية والمعنوية فى الداخل والخارج . وبلادنا فى التزامها بالحياد الايجابي ، نراها تشجب بكل قواها جميع اشكال الاستعمار والميز العنصري البغيض ، فقد حاربت (مويز تشومبي) العميل حين كان يريد انفصال كاطانغا عن الكونغو ، ونددت بانقسام (بيافرا) بتحريض من المأجور المرتزق الجنرال (أوجوكو) عن الاتحاد الفيدرالي لدولة نيجيريا ، وهبت لنجدة دولة زايير حينما رام دعاة التفرقة . فصل اقليم (شابا) عن الوطن الاب ؛ كما قامت بلادنا بتدعيم وتعزيز الوحدة العربية سواء فى (سيناء والجولان) ، أو فى أعقاب خطاب الرئيس المصري انور السادات بالكنيسيت الاسرائيلي !

ان المملكة المغربية كانت وتبقى وستظل الى الابد ان شاء الله حصنا منيعا العروبة والاسلام ، وبشير أمان وسلام وطمأنينة بين الشعوب ذات النوايا الحسنة والغايات النبيلة ! ومواقفها فى هذه المحجة البيضاء أجل من أن تدخل تحت حصر او تعداد . لان اسعاد البشرية فيه لها أكبر الفوائد واعظمها ، اذ هي بالذات المستفيدة من ذلك فى اول مقام .

تلك بعض الآيات الباهرات ، والصفحات المشرقات من سجل الامجاد التي رصعها المتطوع الاول جلالة الملك الحسن الثاني ، وفقه الله وحفظه، واطال عمره الغالي العزيز فى الباقيات الصالحات .

والله در من قال :

واذا سخر الاله سعيدا
لاناس ، فانهم سعداء !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

" نحن على يقين ان العلم وحده منفصلا عن الايمان والوعي والشعور خراب للروح ، لذلك ، فان رسالة الجيل الصاعد تكمن في التكوين الروحي بعد التكوين الجسمي ، لأنها رسالة انسانية قبل كل شئ ، وهذا التكوين الروحي يتم عن طريق تلقين وتنمية القيم الروحية التي يتميز بها ديننا الحنيف ، ويزخر بها ماضينا الذهبي ، فالاسلام يجعل منا نحن المومنين بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا ".

الحسن الثاني

أمة وسط

لشاعر الوحدة
الأستاذ محمد الكبير العلوي

غرر القصائد قد علقت ببالها ... فغدوت فيها مستهاما والها

اخذت بلبك منذ أخذت بلبها ... فاهنأ بعهد دونها ووصالها

راحت تساجلني وكنت هجرتها ... دهرا فها أنا عائد لسجالها

ودنت الي تطل من شرفاتها ... فكأنهن الزهر في اطلالها

ضاقت بهجري واستبد بها الهوى ... شوق النجوم الى بزوغ هلالها

فانسج روائعك الحسان بديعة ... لم تنسج الدنيا على منوالها

درر تروق معانيا وعواطفا ... وتثير في أسلوبها وخيالها

اعملت فكرك في القريض فأبرزت ... درر البيان مخدرات حجالها

فجثا لها الشعراء تقديسا وما ... فتؤوا قياما ركعا لجمالها

فاجعل بدائعها مديح المصطفى ... ودع الاديب متيما بدلالها

وافخر بماضي أمة شرفت على ... امم الورى وسمت بغر خصالها

بعث الرسول وقام ينتشل الورى ... من جاهلية غيها وضلالها

فأبت قريش وكذبت ودعت الى ... أوثانها تتلو خطى دجالها

اغرت بدعوته الخصوم احبها ... ولقتلها في المهد واستئصالها

وتألبت من كل صوب واتحدت ... في قصر عزتها ودار نكالها

وتقاسمت محو الهدى بسيوفها ... وتعاهدت في منتدى جهالها

فاختار يثرب وجهة ومهاجرا ... يا سعد طالعها وبعد منالها

واتته والبشرى تطير حشودها ... فرحا فلا استقبال كاستقبالها

---

*) القى الشاعر هذه القصيدة في الحفل الديني الكبير الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمسجد السنة بالرباط بمناسبة فاتح السنة الهجرية الجديدة .

وتظل مكــة بعـده فى وحشـة ... شوقــا اليه تهيـم فى بلبالهــا

ظلمت قريش واسرفت فى غيهـا ... ومضت مجاهـرة بشـر فعالهـا

واتـت الى بـدر يهيـج همومهـا ... حنق عضال فى صدور رجالهـا

ظمئت الى حيث المنايـا والـردى ... وردا وقد سيقـت الى آجالهـا

مـا زال يلقاها الامين بعصبـة ... حنفية بيض السيـوف طوالهـا

فتجود فيها من هنـاك ومن هنـا ... سحا بنضـح سيوفهـا ونبالهـا

حتى اضاء النـور مكـة واعتلـى ... علم الهدى الخفاق فوق جبالهـا

واجتاح أوثـان الجزيـرة هاديـا ... وشفى القلوب القلف من اعلالهـا

فتسلمت حمـل الامانـة امـة ... ابقت وطيد المجـد فى انجالهـا

ايام ان غضبت تخر لهـا السمـا ... وتميد هذي الارض فى اهوالهـا

ويذل موج البحر تحت سفينهـا ... فزعا وتمخر فيه حمـر جمالهـا

وتسير خلـف الشمس جرد خيولهـا ... قدرا تهز الكـون فى تصهالهـا

ايام تمتلـك العوالـم وحـدة ... وتخلص الاكـوان من اوجالهـا

ايام عـز العدل تحـت نظامهـا ... واتهد طـود الظلـم تحت جلالهـا

الشرق مذعـور لبيـض سيوفهـا ... والغرب مرتعـد لسمـر رجالهـا

عهـد مضى واتت عهـود بعـده ... ونوائب تدعـو الى اضمحلالهـا

فتفرقـت شيعـا وهـد كيانهـا ... وفشا تدابرهـا وصـرم حبالهـا

نامت على الخطر العظيـم ولم يـزل ... داء الجمـود يدب فى اوصالهـا

نامت واجراس البـلاء تـدق فـى ... آذانهـا والارض فـى زلزالهـا

سارت وراء الركب تخبط فى الدجـى ... مهـدودة العزمـات فى اغلالهـا

الغـرب يدعوهـا الى اغوائهـا ... والشـرق يجرفهـا الى اضلالهـا

فتسير خلف الشـرق فى ظلماتهـا ... وتسير خلف الغرب فى اوحالهـا

وتريد من هـذا وذلـك نصـرة ... وهو المجـد لمحوهـا وزوالهـا

تشكو الى من لا يـرق لحالهـا ... عجبا لمحـض جنونهـا وخبالهـا

اسف الاديب لما تكابـد من اسـى ... وشجى فقـام ينوح فى اطلالهـا

ورأى دعاة الزهـد حـال سلوكهـا ... فتعـوذوا مـن حالهـا ومآلهـا

ما هكذا يا سعـد تـورد انهـا ... حـال غريب أن تظـل بحالهـا

لو أنها سلكت سبيـل المصطفـى ... وتمسكـت بجهادهـا ونزالهـا

لتحكمت فى العالميـن وحيـدة ... ولعاش هذا الكون تحـت ظلالهـا

لولا تناقضها ونكث عهودها   حنقا وضرب يمينها بشمالها

وتشتت فرقتها لما رضيت بما   درج الزمان عليه من اهمالها

ولما انحنت تحت السماء لواقع   ولما انتهى قدر الى اذلالها

هي امة وسط عظيم شأنها   لو لم تحد عن نهجها وخلالها

حاشا تواخذني بنقد لاذع   ما قلته الا لشحذ نصالها

ما هي الا امتي وانا ابنها   حقا فلا اصغي الى عذالها

ما زال مغربها العظيم يعيش فى   أيام عزتها وعهد نضالها

قد قاده الحسن الهمام الى العلى   واحل امته ذرى آمالها

وغدت مسيرته العظيمة آية   يتساجل الثقلان فى اجلالها

تلك المسيرة سارت الدنيا بها   مثلا ولم تعثر على امثالها

فكانها القدر المحيط تحديا   فى عزمها الماضي وفى استبسالها

جادت على ارض الفخار بعارض   متهلل من غيدها ورجالها

فكانها الصبح المنير أضاءها   فاجتاح عهد ظلامها وضلالها

وكانها الاكام بين سهولها   وكانها الانواء فوق تلالها

ما تلك الا امة قد قادها   حسن الثنا لرقيها وكمالها

ودعا الى الامجاد فيها والعلى   شعبا شغوفا بالمكارم والها

هي امة دابت على خوض المعارك   والفدا فى نهجها ومجالها

ورثت عن ابطال الحمى صون الحمى   لله ما ورثته عن ابطالها

فاسال بها الجولان او سينا فسو   ف يجيبك التاريخ عند سؤالها

واسال بها زايير يوم توثبت   وتغلغلت كالاسد فى ادغالها

فليشهد الثقلان انا امة   لا يستطيع الدهر رد مصالها



محمد الثالث نموذج رائع للملوك والحكام

للأستاذ يوسف الكتاني

يزخر التاريخ المغربي بقمم عالية شامخة وعبقريات فذة نادرة قامت بأدوار ممتازة وسجلت صفحات مشرقة في ميادين السياسة والحكم والبطولة والجهاد والعلم والمعرفة اذ لم يخل عصر من العصور او جيل من الاجيال منذ القديم من ظهور ملك عظيم او زعيم خالد او قائد عبقري او عالم مبرز، واكثر من ذلك كله نجد بعض الملوك والقادة تفردوا في تاريخنا بعبقرياتهم النادرة وتفوقهم الممتاز ، فكانوا حكاما بارزين وقادة مصلحين وعلماء عاملين ، منهم ادريس الثاني وعبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين والمهدي بن تومرت والمنصور الموحدي واحمد المنصور الذهبي ومحمد بن عبد الله وهو في رايي أعظم ملوكنا عبقرية واكثرهم اثرا وابقاهم ذكرا وأروعهم سيرة ، اذ يكاد ينفرد بعبقريته الفذة على جميع المستويات في تاريخنا ، ولذلك آثرت وفضلت في هذه المناسبة الخالدة والايام المجيدة ان أعطر هذه الذكرى بترجمة موجزة عن حياة وسيرة هذا الملك العظيم .

مولد ونشأة :

ولد محمد بن عبد الله بن اسماعيل بمدينة مكناس سنة 1134 ، أواخر عهد جده السلطان مولاي اسماعيل وتربى بالقصر الملكي في احضان والده السلطان مولاي عبد الله ورعاية والدته وجدته العظيمة العالمة خناثة بنت الشيخ بكار المغفرية ونشأ نشأة اصيلة على يد صفوة من خيرة العلماء والادباء اختارهم والده لهذا الفرض فحفظ القرءان وبعض امهات الكتب المقروءة في وقته ، حيث اتجهت ميوله الاولى الى كتب الادب والتاريخ ودواوين الشعر ولم يكد يشب حتى ارسله والده الى الحج وهو دون بلوغ صحبة جدته الاميرة خناثة في وفد عظيم وركب كريم يضم صفوة من علماء المملكة وأدبائها فيهم القاضي ابو القاسم العميري والوزير الاسحاقي وغيرهما ، وقد مروا في طريقهم الى الحج بطرابلس ونزلوا بها حيث استقبلهم حاكمها واكرم وفادتهم ثم اتجهوا نحو مكة فدخلوها دخولا عظيما وادوا حجهم وعادوا سالمين وكان ذلك سنة 1143 .

لقد كانت هذه الرحلة اول اتصال الامير الشاب بالعالم الخارجي واتصاله بالامراء والملوك وتعرفه على بقعة هي احب البقاع الى كل المسلمين فرجع وفي ذهنه ونفسه صورة عن الشرق واحواله ملأت قلبه ايمانا واشراقا ويقينا وعزما .

بداية وخلافة :

ولم يكد الامير الشاب يرجع من الحجاز حتى اخذ والده يحضره معه ويطلعه على بعض شؤون المملكة لما آنس فيه من النباهة والحداقة ولما اظهره من تفهم للاوضاع وخاصة السياسية ، لذلك اخذ

يسند اليه المهمات ويرسله مع الوفود الى الجهات فبعثه صحبة الجيش عند ما خرج اصد الباشا الريفي وكان ذلك سنة 1156 . حتى اذا اشتد عوده وتمرس بالشؤون وآنس منه الكفاءة والمقدرة عينه خليفة له بمراكش فاقبل على مسؤوليته الجديدة بهمة وعزم وحزم ، واتجه نحو القبائل وخاصة الحوز والسوس فاخذ يجمع شتاتها ويلم شملها ثم اهتم بقصبة مراكش فعمر خرابها وجدد بنيانها واقبل على الرعية يسوسها بدهاء كبير وحنكة رائعة حتى اذا عرف الناس فيه قوة الارادة وشدة الشكيمة والعمل الدؤوب المخلص التفوا حوله واقبلوا عليه طائعين راضين يمحضونه النصح ويخلصون في خدمته وتنفيذ اوامره وقد بلغ من شدة محبته والتعلق به ان اعلن البربر والعبيد بيعته في مكناس وزرهون وخطبوا باسمه وكان هذا اول امتحان يتعرض له الخليفة الشاب فغلب الوفاء والاخلاص لوالده وملكه وعالج الامر بحكمة وروية فرفض بيعتهم وسعى لاصلاحهم ، وقدم بنفسه الى مكناس واتصل بالمنشقين وما زال يقنعهم حتى حملهم على طاعة والده وردهم الى بيعته وتوسط بينه وبينهم لمسامحتهم .

على ان اعماله وامجاده في اثناء خلافته لم تقتصر على مراكش ونواحيها بل امتدت رحلاته واصلاحاته الى كل من آكادير والعدوتين والقصر واغلب مدن الشمال متنقلا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم متفقدا متعهدا يجمع الشتات ويرعى الشؤون حتى بلغ صيته الافاق واجمع على حبه الخاص والعام .

محمد الثالث الملك :

في جو مليء بالفوضى والاضطراب حيث اخذت رؤوس الفتنة تظهر هنا وهناك واضطرب امر الامن بالبلاد وانتشر التذمر في الصفوف وسئم الناس الحرب والتطاحن واشتاقت نفوسهم الى الاستقرار والطمانينة في هذا الجو التحق المولى عبد الله بالرفيق الاعلى وبويع سيدي محمد بن عبد الله ملكا لمغرب ، وقد اقبلت عليه الاقاليم والقبائل قاطبة مبايعة راضية صائفة لكونها رات فيه الرجل القوي الذي يستطيع قيادة سفينتها الى شاطىء النجاة ويخلصها من الفرقة وينقذها من الفتنة ويوفر لها الرخاء المقصود والامن المنشود .

ولم يكد ينتهي من بيعته بمراكش ومأتم والده بها وتقبل اولاء من الوفود والقبائل الوافدة حتى حزم امره واتجه الى مكناس فدخلها دخول الفاتحين واصلح امر العبيد وجمع شملهم ووحد كلمتهم وارضى مطالبهم من المال والخيل والسلاح .

ثم اتجه صوب فاس فدخلها وتقبل ولاءها وهداياها وبدا من حينه في اصلاح امورها وتفقد شؤونها وجمع شمل قبائل احوازها ، واغتنم زيارة الوفود والقبائل لتقديم الولاء والبيعة فتعرف على زعمائها ورؤسائها واطلع على مشاكلها واحوالها ومطالبها ، وهكذا تتابع اهتمامه بشؤون رعيته وسعيه الحثيث لحل مشاكلها طوال مدة ملكه مما حببه الى الناس وزادهم تعلقا به وتقربا منه وطاعة له حتى اذا استقرت الامور بفاس وغيرها ، اخذ يتنقل بين الاقاليم والاصقاع متفقدا مصلحا حتى شملت رحلاته الثغور والجهات وتغلغل في أحشاء البلاد .

ولقد ظهرت همة محمد الثالث وعزمه وحدبه وحبه لرعيته عند ما تعرض المغرب للمجاعة والقحط سنة 1190 للهجرة فعالج الازمة بحكمة بالغة وصبر وثبات وامر بجلب الاقوات من الخارج وبيعها بأثمانها، واعد المطاعم للارامل والمساكين واليتامى ورتب لكل حومة بل لكل دار خبزا يوميا حتى عمت الارزاق الخاص والعام ، وجعل بطائق لذوي الحاجات ليأخذوا معاشات ومرتبات واسقط الوظائف والخراج على الناس حتى زالت الازمة وارتفع الجدب وجاء الخصب

واتجه محمد الثالث الى العالم الخارجي فجدد علاقته مع الدول الاجنبية وعقد المعاهدات والمواثيق وبعث اليها السفراء واختص الدول الاسلامية بعلاقته الوطيدة وخاصة دولة الخلافة العثمانية ، فقد كان له معها مكين الصلات وعظيم الروابط والعلاقات وخص الحرمين الشريفين بهدايا ، وعطايا ، لما لهما في نفسه من المكانة الرفيعة والمحبة العظيمة .

محمد الثالث العالم :

ان اول ما يثير انتباه الدارس لحياة هذا الملك العظيم هو حبه للعلم واقباله عليه منذ نعومة اظفاره وتكريمه لعلماء ومحبتهم ورعايتهم يؤيد ذلك ويؤكده انه بمجرد بيعته ودخوله الى فاس كان اول ما فعل هو اتصاله بالعلماء والفقهاء والتعرف عليهم واحدا واحدا .

لقد ابتدا محمد الثالث حياته بالاقبال على كتب الادب والتاريخ ودواوين الشعر حتى اشتهر شغفه بكتاب الاغاني ، فكان يحفظه ويستظهره ويستشهد فى مجالسه بنوادره وامثاله واشعاره .

غير ان هذا الاتجاه الى الادب والتاريخ تحول منذ صار ملكا حيث اقبل على كتب الحديث والسيرة فأخذ يدرسها ويدارسها العلماء ولم يقتصر على الموجود منها بالمغرب فاستجلب من المشرق المسانيد واستقدم العلماء لحضرته وانتقى منهم الكبراء لمجالسته ومذاكرته واتخذ لهم مجلسا حديثيا رسميا فكان يجلس اليهم بعد صلاة الجمعة بمقصورة الجامع بمراكش يذاكرهم الحديث ويشرحه وهم يدونون ويكتبون ، وممن كان يضمهم مجلسه الحديثي العظيم الشيخ حمدون بلحاج وابو عبد الله محمد الغربي الرباطي وابو عبد الله محمد المير السلوي وابو عبد الله محمد الكامل الرشيدي وابو زيد عبد الرحمن بوخريص وغيرهم كثير .

وقد رتب لمجالسه العلمية اوقاتا مضبوطة لا تتقدم ولا تتاخر حضرا وسفرا سلما وحربا وكان يحذو فى ذلك حذو استاذه وقدوته احمد المنصور الذهبي ويجد فيها من اللذة والمتعة ما يثلج صدره ويملأ عقله حتى كان يقول : « لقد ضيعنا عمرنا فى البطالة » ويتحسر على ما فاته من لذة العلم ايام الشباب .

كما قام بنقل العلماء الى مراكش من فاس ومكناس وسلا وغيرها وفرقهم على المساجد فكانوا يدرسون بها ويعلمون الناس ثم يحضرون مجلسه الحديثي يوم الجمعة ، كما ان تلك المجالس لم تقتصر على الحديث والسيرة بل كان يجالس الشعراء والكتاب والادباء ويقربهم ويذاكرهم ويناقشهم ، ومن الادباء المرموقين بحضرته احمد بن الونان صاحب الشمقمقية الشهيرة التي شاعت وذاعت ومحمد بن الطيب سكيرج واحمد الغزال والكاتب الاسحاقي واحمد بن عثمان وغيرهم .

ومن طرائف مجالسه العلمية انه كان ذات يوم فى مجلسه الحديثي مع جماعة من العلماء وفيهم الشيخ حمدون بلحاج فناوله وصيفه ميمون كاس الشاي وكان جالسا على اليسار فابتدره قائلا : اذا يقول الشيخ حمدون :

صددت الكاس يا ميمون عنا
وكان الكاس مجراها اليمينا

فقال الشيخ حمدون نعم وازيد :

ولم تعمل بحكم الشرع فينا
كما جلاه خير المرسلينا

رسول الله فيما صح عنه
من انه قال ناوها يمينا

ولم تقف همته عند هذا الحد بل كان يامر العلماء بالتاليف فى الحديث والتفسير وغيرهما ويرغبهم فى ذلك ويشجعهم عليه فقد كلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الصغاني حيث شرح الشيخ التاودي بنسودة ثلثه الاول والشيخ عبد القادر بوخريص الثلث الثاني والحافظ ادريس العراقي الثلث الاخير الا ان الموت تخطفه ولم يمهله لاتمام عمله فقام ولده عبد الله باتمام شرح والده حتى جاء الشرح فى عدة اسفار .

كما كلف الشيخ التهامي بن عمرو بشرح الاربعين النووية والاديب الغزال بتدوين رحلته الى الاندلس فكتبها وسماها « نتيجة الاجتهاد » ، وامر ابن عثمان بكتابة رحلته الحجازية فكتبها وسماها « احراز المعلي والرقيب » .

ولم تقف همته العالية ونفسه الابية عند هذا الحد بل ربط الصلات مع علماء المشرق وكتابه وخاصة علماء مصر وكتابها وعلماء آل عثمان وكان يكاتبهم ويراسلهم حتى امتدت اليهم كتبه ورسائله وهداياه .

ومن اعظم ما يذكر فى هذا الباب الهدية التي تلقاها من السلطان عبد المجيد وهي عبارة عن سفر واحد يشتمل على صحيح البخاري ومسلم والموطا والمسانيد الستة والشمائل وعمل اليوم والليلة وقد جمعت هذه الكتب كلها فى سفر واحد ففرح السلطان به كثيرا .

على أن الملك محمد الثالث لم يقتصر على محبة العلم وتكريم العلماء وجمعهم ومناقشتهم وتشجيعهم على التاليف وترغيبهم فيه بل قام هو نفسه بتاليف كثير من الكتب بمساعدة علماء حضرته حيث خلد بالخزانة العلمية المغربية مؤلفات تشهد بطول باعه وعمق معرفته . من هذه المؤلفات :

— الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيـــــــد

— مواهب المنان مما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيـــــــان

— الفتوحـــات الالاهيـــة الصغـــرى

— الفتوحـــات الالاهيـــة الكبـــرى

— طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الحطاب .

واحسن قول في هذا الباب قول الحافظ محمد ابن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس : « لقـــد كان سيدي محمد بن عبد الله علامة دراكة فاضلا محدثا تاريخيا كاملا محبا العلماء مجالسا للفقهاء » .

محمد الثالـــث المجـــدد :

لقد صدق أبو محمد عبد السلام القادري عندما وصف محمد الثالث بكونه « الامام الموهوب لهـــذه الامة على راس المائة مجددا لها دينها » واعتبره اماما من علماء الاسلام وانه نظر الى المصالح وقام بها قياما لم يقم به احد من اهل عصره من ملوك الاسلام ولـــم يسبق اليه سواه غير الخلفاء الراشدين في السياسة والحكم والعلم ولانه يتخلق باخلاق احمد المنصـــور الذهبي ويعتبره استاذه وقدوته ويتأسى بـــه في اموره كلها ولا يحيد عنها ابدا .

فلم يكد محمد الثالث يجمع اطراف مملكتـــه ويقضي على الفتنة وينشر لواء الامن والعدل حتـــى استقرت الامور واطمأن الناس أخذ في اصلاح احوال الرعية جميعا وشمل نشاطه واصلاحـــه وتجديـــده مرافق الدولة كلها قضاء وعدلا مالية وجيشا وتعليما، وكانت وسيلته الى كل اصلاح اصـــداره منشورات دورية تتضمن توجيهاتـــه وارشاداتـــه الى الـــولاة والرعيـــة .

ففي ميدان التعليم انصب اهتمامه عليه لانـــه أصل كل اصلاح وراس كل صلاح فقد عنى بنشره في سائر المدن والقرى وذلل لطلابه سبلـــه ومناهجـــه ومنحهم العطايا والصلات وبنى المدارس لسكناهـــم وقام بتقريب العلم من الناس فوزع العلماء على ارجاء المملكة وانحائها وخاصة الجهات المفتقرة اليهم وكان يغريهم بذلك فيوسع لهم في العطاء ويجزل لهم الصلات حتى اصبح التعليم في ايامه وعهده في متناول رعيته بدون استثناء ، وشاع في كل الارجاء .

من ذلك انه عهد الى خزانة جده العظيم المولى اسماعيل بمكناس وكانت تضم اثني عشر الف مجلد ووزعها على جميع مساجد المملكة وحبسها عليها ليعم نفعها وينتشر خيرها حتى اصبحت الكتب مشاعة بين الخاص والعام .

وامتدت عنايته الى خزانة القرويين فاصلحهـــا ورممها وجدد بنيانها وصان نفائسها وجعل لها نظاما خاصا حيث لا تفتح الا بحضور عدلين رتبهما لهـــذا الغرض بحضور القاضي والامام .

وفيما يتعلق بمناهج الدراسة والتعليم اصدر منشورا بين فيه للعلماء ان اول ما ينبغي دراسته هو كتاب الله وان المقصود من ذلك هو تعلم احكام الدين ثم تعلم سنة رسول الله ودعى العلماء الى ان يتجنبوا المختصرات ويبتعدوا عن التفريعات والتعقيدات .

كما نبه الى عدم الغلو في شروح مختصر خليل وعدم قصر الهمة والوقت عليه وحده ولذلك وجههم الى دراسته بشرح معين وهو الخرشي وبهرام بـــل ذهب ابعد من ذلك فسمى الكتب التـــي ينبغـــي ان تدرس في كل علم وانقذ التعليم من الفوضى التـــي كانت سائدة فيـــه .

اما في ميدان العدل والقضاء فقد صرف همته الى تبسيط القضاء وتعميم العدل بين رعيته لانـــه اساس الملك وبه صـــلاح السلطان والمتقاضيـــن واستعمل نفس الوسيلة في اصلاحه فاخذ يوجـــه القضاة والمتقاضين الى ما ينبغي لهم عمله واتباعـــه فكان يصدر الظهائر والمنشورات في كل المناسبات يضمنها توجيهاته وتجديداته منهـــا :

— اصدار الامر الى القضاة والزامهم بكتابة جميع الاحكام والاشهاد عليها وتسليم نسخ منها الى الاطراف والالتزام في الاحكام بالمشهور وتهديد المخالفين بالعزل .

— ومنع توكيل المراة لزوجها لاستخراج حقوقها حماية لها الا ان يكون ابن عمها وبرضاها .

— ومنع البيع على الغائب والمحجور الا ان يكون المشتري هو بيت المال أو الاحباس ، حتـــى يمكن للمبيع عليه استرداده .

— وجعل الصداق كله ناجزا وحصره في اربعين مثقالا وبذلك كفكف غلواء الناس وبعدهم عن السنة .

— وامر الا يسجن الزوج اذا خاصم زوجته الا اذا اضربها بالضرب والجرح لما في ذلك من المصلحة للزوجة نفسها وللاولاد .

— والزم القاضي بالبحث بنفسه على الملك المراد شراؤه وتسليمه لملكيته وسلامته من كل نزاع في اداء الثمن بمحضره .

— ومنع الناس من التعامل مع المفلسين والمشبوهين .

— كما منع القضاة والعلماء من الحكم والافتاء بشرح مختصر خليل المتأخرين والاعتماد على كتب المتقدمين تسهيلا واختصارا .

وهكذا كان شأنه ودأبه في كل مرافق الدولة وميادين العمل حيث امتدت اصلاحاته وكثرت تجديداته حتى شملت سائر الميادين وخاصة امالية والجيش والبحرية وغيرها .

وينبغي التنويه في هذا الباب بما كان له من يد وعمل واهتمام بسائر قضايا المسلمين واخص بالذكر قضية الاسرى التي كانت قضية الساعة آنذاك فقد بذل فيها الجهد الكبير والمال الكثير وارسل السفراء وبذل الهدايا للملوك وربط الصلات فقد أرسل سفيره احمد الغزال الى مدريد ليحصي الاسرى ويتفقد احوالهم ويوزع عليهم الهدايا ويفك إسارهم حتى رجع ومعه نحو ثلاثمائة منهم كما بعثه بعد ذلك لنفس الغاية الى الجزائر وغيرها .

وبعث سفراءه الطاهر فنيش الى باريس وابن عثمان الى مدريد ومالطا ونابولي وكل هذه السفارات والرسل لتحرير أسرى المسلمين من الجزائريين والتونسيين والليبيين حتى بلغ ما حرره من أسارى المسلمين ما يزيد على العشرين الفا .

وهكذا ظل عهد هذا الملك العظيم عهدا مزدهرا مشرقا مليئا بجلائل الاعمال وعظيم الاصلاحات تطبعه سيرته الكريمة وعزمه القوي وهمته العالية وطموحه العظيم فكان بحق بطلا من ابطال تاريخنا وقائدا محنكا من أعظم قاداتنا ومصلحا كبيرا جدد لامتنا ودولتنا شبابها ومجدها حتى أصبحت على كل لسان وصار يخشاها الخاص والعام ، وتوطدت علاقاتها وصلاتها بالدول والاقطار وسعت للتقرب منها وكسب ودها حيث بذلت من أجله اقصى الغايات كل ذلك بفضل هذا القائد العظيم والملك المصلح الكريم الذي سيظل معلمة خالدة من معالم تاريخنا ومثلا حيا رائعا لاجيالنا وقدوة صالحة رائدة لملوكنا وحكامنا .

الرباط : يوسف الكتاني

مصادر ومراجع :

— اقتطاف الازهار من حدائق الافكار : لابي محمد عبد السلام بن محمد الثالث .

— درة السلوك وريحانة العلماء والملوك : له ايضا

— الترجمان المعرب : للزياني .

— الروضة السليمانية : له ايضا .

— مناهل الصفا : للفشتالي .

— الاستقصا : الجزء الثامن .

— سلوة الانفاس : الجزء الثالث .

— الاعلام للتعارجي : الجزء الخامس.

— الفكر السامي للحجوي : الجزء الرابع .

— الفتوحات الالاهية : محمد الثالث .

— نشر المثاني : الجزء الثاني .

شعب المسيرة

للشاعر الأستاذ : أحمد عبد السلام البقالي

وقف العالم برنو   لك يا شعب المسيرة
وقفة الاعجاب بالملحمة الكبرى المثيرة
ومراميها الخطيرة

وشعوب الارض قامت   لك يا شعب بلادي
بقلوب ملؤها الحب ،   وافواه تنادي :
عشت يا شعب المسيرة !

اكبروا فيك التصدي   للعوادي والتحدي
واقتحام المستحيلا   ت ، وكبح المستبد
بك يا شعب المسيرة

اكبروا فيك اماما   ماضي العزم حساما
لم يزل ، منذ صباه ،   بك صبا مستهاما
انت يا شعب المسيرة

بهرتهم معجزاتك   وسبتهم منجزاتك
يوم ان طار سباتك   عنك فارتاع غزاتك
منك يا شعب المسيرة

فلتعش يا شعب حرا   مطمئنا مستقرا
مؤمنا بالله والعر   ش الذي زادك فخرا
يوم اهداك المسيرة !

تحية إكبار

للأستاذ عبد الكريم التواتي

عذب الشعر واستطيب حداؤه — فيك ، يا عرش ، واستلذ غناؤه

وتملت دنيا المفاخر من دنياك مجدا زهاء ، وضاء بهاؤه

وسبتها منك الفتوة فاهتز ربيعا تضوعت انداؤه

فاذا الارض والسماوات تهليل سعود تباركت اصداؤه

واذا المغرب الخصيب بافضال ك فاضت على الدنى نعماؤه

وهو يا عرش من صنيعك بشرى — صيغ منها اكباره وثناؤه

فهو يزجي لك التهاني اجلالا ، ويهنيك بالحياة رفاؤه (1)

وهو يا عرش من مواقفك المثلى واعمالك العظام اقتداؤه

* * *

ايها العاهل المفدى تحايا — وطن انت حصنه ورداؤه

لم يكن عيدك المقدس للشعب سوى الامن رفرفت اضواؤه

البرايا تهتز سكرى بعيد — قدر الله والسما اصفياؤه

والحنايا بالشوق تهتف مرحى — نحن بالعرش ، كلنا شهداؤه

ذاك من شعبك الوفي اعتراف — ووفاء تكنه احناؤه

* * *

والبهاليل من بنيك ، مثنى — عهدك الارضى قد سباهم سناؤه

فالشباب الاباة لحن مندى — وقعته اعصابه ودماؤه

بلورته الصحراء عزما وحزما — وفداء ، بالنصر شع لواؤه

---

(1) الرفاء = الاتفاق والالتحام .

وعلى مرسح الملاحم زكــــا ه يقين ، بما تخط احتــــذاؤه

* * *

وا مذارى مزغـــردات لعـــزم من محياك مشرئـــب مضـــاؤه
من خطاك الحثــاث من سعيــك المشكـــور من وعيــك المشع دهـــاؤه
فنثرت الــورود عرفــان عــــرش قــد رسا اســه وعــزت سمـــاؤه
ولثمـــن الاعـــلام تخفـــق حمــــراء زهاهــا مجـد تناهـى عـــلاؤه
هو يا عرش مجدك التــم أربــى فى شموخ على السنـــاء سنـــاؤه

* * *

ايها الثاني – واسمك الضخم رمــز لمنى شعـب أنـت حقـا رجـــاؤه
شهد الله انــه بــك يزهـــو وبك اليوم قـد أهـل احتفـــاؤه
أنت آليــت أن تعيــش فـــداه وهو للعــرش بامتنـى فـــداؤه
وتفانيــت مخلصـــا فى هـــواه فاذا أنـت – مفـردا – اهـــواؤه
وقـــدرت الوفـــاء والديـــن زادا فزكا السعي واهتـــدى أوفيـــاؤه

* * *

ايهـــا العاهـــل المعبــأ انــا لــك درء وللحمـــى امنـــاؤه
نحـــن اجمعنـــا امرنـــا ، وعلـــى الحـــق بنينـــا ، ومـــا يهـــد بنـــاؤه
وتآلينـــا ، والمهيمـــن زكـــا نـــا ، وانـــا بفضلـــه اوليـــاؤه
أن سنسمـــوا مبوئيـــن ذرى المجـــد بعرش تلاحمـت حنفـــاؤه
وسنعلـــي للمغـــرب الحـــر أفيـــاء المعالـــي وتزدهـــي افيـــاؤه
او سنقضـــي فـــداءه وتـــروى بضحايـــا احرارنـــا ارجـــاؤه

* * *

بـــر ربـــي يمينـــا فحبانـــا من جداه عرشا توالـــى حبـــاؤه
هـــو عرش اقامـــه الحســـن الـــد اخـــل حصنـــا ورص بنـــاؤه
عـــرش شعـــب الى الامازيـــغ والعـــرب الاشاويش ينتمـــي ابنـــاؤه
وحـــدت بينهـــم أصـــول وأهـــد اف ورب تقدســـت اسمـــاؤه
ورعتـــه الســـراة مـــن آل اسمـــاعيـــل ارثا نما فجـــل نمـــاؤه

بالحنايا تعهدته ورويته دماء زكت بها أولياؤه
وتواصوا : مدائن المغرب الاقصى قلاع حماتها صحراؤه

* * *

انه عرش امة الحسن الثاني دمانا تروسه ووقاؤه
مدتفيا ظلاله وتملته انبهارا ونشوة افياؤه
حضنته الشغاف حبا وفدته ولاء ، وكان دينا فداؤه
فاذا المغرب المجد فردوس افيضت على الدنى نعماؤه
واذا العيد عيده ، للبرايا امل رائق تتالى بهاؤه

* * *

ايه ، يا جيش عرشنا انت فوز وانتصار تواترت انباؤه
البطولات والمفاخر اهداف مراميه ، والفدا اهواؤه
وبنوه الاباة اشبال شعب اسه المجد والسنا فتاؤه
هم شآبيب رحمة الله في السلم ؛ وفي الحرب سعرت باساؤه
عركتهم ملاحم الحرب ، والحرب مجال يرجى ، ويخشى بلاؤه
فهم الاسد ـ ان يثاروا ـ غضاب وهم في دنى الاخا اصفياؤه

* * *

واسالوا الكون شرقه ، او سلوا الغرب فقد ذاقت باسه اعداؤه
ووعت من صموده خير درس لم تزل تتلى في الورى اصداؤه
بايطاليا و « كاسنوها » احاديث روتها عن باسنا شهداؤه
ورواها « الالمان » انجيل حرب رتلت بيناتها انبياؤه
وعلى « الرين » و « اللوار » كتبنا بدمانا مجدا يشع ضياؤه
كان مجدا على الهداية شدناه فعمت ساح الجدى انواؤه

* * *

طغمة الشر في الصحيرا حذار فانتقام الاحرار مر بلاؤه
ابطرتكم نعماؤنا فتعنتم ضلالا والغي بطل مكاؤه
نحن للسلم قد جنحنا ولكن نحن في الحرب ، للعدو فناؤه

واذكروا « المحبس » الابي وما لاقى ب « امغالا » جيشكم واعتداؤه

فجنوحا الى السلام ورعيا لاخاء ، حسن الجوار بقاؤه

* * *

جيشنا الحر يا ملاحم شعب هام بالسلم والاباء حداؤه

بك سيناء خلدت خير نصر خالدات مدى الدنى انباؤه

وبه عزت الكنانة ، والنيل بما قد بذلت روق ماؤه

وبجولان آل صهيون ضجوا من لظانا اذ حرقت اهواؤه

* * *

صان ربي عرشنا تفدى وشعبا انت اركان جيشه وفداؤه

فأياديك في العوالم هلت املا هدهد النفوس رواؤه

لم تزل في مدارج الفر ترقى ونواصيك للفخار لواؤه

ورعى الله سعيك البر آماد الليالي تحفه آلاؤه

* * *

وتعالى الهتاف عاش المثنى عاش للشعب خلصا ابناؤه

فاس : عبد الكريم التواتي

المسيرة الخضراء
في تاريخ المغرب الحديث

عادتي عند تقديم قواعد اللغة العربية ان استغل واقعنا المعاش فى تأليف قطع تطبيقية تجمـــع بين الفائدة اللغوية وبين العائدة الوطنية التـــي نحن فى حاجـــة اليهـــا .

وتتنوع الموضوعات حسب التطلعات الشعبية الهادفة الى تربية خلقية او تربية وطنية او تنمية وعي بالمسؤولية او ابراز وجهة راي فى مشكل اجتماعي او فى تخطيط لمستقبل او فى تفسير لتطورات مع محاولة ذكر اسبابها وعللها .

واذكر انني قدمت اوائل سنة 1975 درســا لطلبتي بالمركز التربوي الجهوي بفاس يتعلق بانــواع « أن » وتعدد معانيها فهي قد تكون مصدرية فتنصب المضارع وقد تكون مخففة من الثقيلة فيكون اسمها محذوفا وما بعدها خبرا وقد تكون تفسيرية او زائدة ولكل نوع منها خصائص معروفة فى كتب النحـــو واللغـــة .

وكنت قد جمعت لطلبتي تلك الانواع فى قطعة هادفة الى توعيتهم واشعارهم بالمسؤولية الوطنيـــة ازاء تحرير الصحراء المغربية ونزعها مـــن ايـــدي الاسبانيين الذين اغتصبوها منا قسرا وعدوانا . كان عنوان القطعة : « انذار وتحذير »

قلـــت آنذاك :

« من السخافة ألا تشعر اسبانيا بقوتنا ــ نحن المغاربة ــ وهي ألتي خبرتنا فى مقاومتنا عبر التاريخ وعرفت كيف ننتزع النصر انتزاعا .

ان جنودنا فى معركة التحريـــر يتيقنـــون أن سينتصرون لما لهم من الدربة والايمـــان وهـــم فى كفاحهم لا يعتدون لانهم لا يستعملون الحروب للفتك والدمار وانما يستعملونها للدفاع عن الحق والمحافظة على الكرامـــة .

فمن الاولى لك يا اسبانيا ان تنسحبـــي مـــن أراضينا قبل أن تصبح الصحراء ميدانا لاشلائـــك ومدننا فى الشمال صخرة تتكسير كبريائك .

اننا نشير عليك أن أذكري مواقفنا الحاسمة فى كل زمان ومكان .

اذكري الرعب الذي أصبت به يوم قام الامير عبد الكريم لسحق طغيانك .

اذكري غضبة الحق وما تجره من ويـــلات على أبنائـــك .

اننا نقسم أيها الاسبانيون ان لو التقينا معكـــم لدآستكم جيوشنا دوسا ولاعطتكم أنتم ومن آزاركم من المستعمرين درسا . فلطالما قلنا لكم أن استفيدوا

من الاحداث ان كنتم اذكياء فنحن ان استمررتم على تعصبكم فلن تروا منا الا أسودا هاصرة وسيوفا باترة ومدمرات ناسفة لا تبقي لكم كيانا ولا تترك لكم شانا.

لا تظنوا أن لسنا نتبع القول فعلا فآخر انذار أن الجيش مستعد لنسف حصونكم ودك معاقلكم وفل جموعكم فنحن كما تعلمون لما ان أردنا تحرير بلادنا لم يستطع أحد أن يقف دوننا او ان يصدنا عن قصدنا وكذلك نحن الآن فانتبهوا . ان زحفنا لقريب وان شعارنا ان لا بقاء لشبر من أرضنا تحت نير الاستعمار » .

ان هاته القطعة كانت فى الحقيقة تمثل الروح السائدة فى المغرب آنذاك وتستجيب لتنبؤات جلالة الملك نصره الله حينما كان يعد المغاربة بتحرير الصحراء وانها فى الوقت نفسه تعتبر امتدادا للروح الوطنية التي كانت تطبع المغاربة فى كل مكان .

ان مغربة الصحراء لم يكن يشك فيها احد من المهتمين بتاريخ المغرب ومن المطلعين على الوثائق الدولية المتعلقة به . ومنذ ان اصدر الاستاذ علال الفاسي رحمه الله مجلته «صحراء المغرب» والتوعية الشعبية قائمة على أساس موضوعي يربط الحاضر بالماضي ويصور ما قام به الاستعمار من دسائس للضغط على وحدتنا . وما الثورة التي كانت فى الجنوب على يد ماء العينين ضد القوة الاسبانية الا دليل قاطع على ان المغاربة لم يستسلموا طائعين وانما انتزعت اراضيهم انتزاعا .

ومن المعلوم ان كل انتزاع غير مشروع يعد اغتصابا لا يقره قانون ولا يقدر على الاستمرار . انما الاستمرار للحق والعدالة وذلك ما كان يريده المغاربة حينما أرادوا استرجاع أراضيهم المحتلة وعندما أرادوا ارجاع الصحراء المغربية الى وضعها قبل الاحتلال .

وهذا ما كانت تهدف اليه الاسئلة الثلاثة التي ارسلها جلالة الملك الحسن الثاني الى محكمة العدل الدولية تلك الاسئلة التي تتضمن ما يأتي :

اولا : هل الصحراء قبل احتلالها من لدن الاسبان كانت أرضا بدون سيد وبدون مالك أم لا ؟

ثانيا : فيما اذا لم تكن تلك الارض مواتا ، ما هي العلاقات التي كانت تربطها مع المغرب .

ثالثا : اذا أجيبت عن هذه الاسئلة فبالطبع اعترفت انت محكمة العدل بأن لك الصلاحية لتبتي فى المشكل بكيفية نهائية .

وجاء الحكم من المحكمة بأن الروابط بين المغرب والصحراء كانت روابط قانونية وروابط بيعة.

وبعد اعلان الحكم قرر الملك تطبيقه وتنفيذه بارسال مسيرة خضراء تضم ثلاثمائة وخمسين الفا من المواطنين يتوجهون الى ارضهم المتعطشة الى رؤيتهم والمتشوقة للقياهم . وهم اذا توجهوا فالقانون الدولي يحميهم لانهم ليسوا دخلاء على بلاد الصحراء فهي قطعة من بلادهم وللمواطن الحق أن يتنقل فى ارضه وان يقول للغاصب ابتعد فانك لا تملك مشروعية فى الحكم ولا مبررا لامتداد الاقامة .

وانها لفكرة لم تكن تخطر على بالنا نحن الذين نطالب بتحرير سائر اقاليم بلادنا .

كنا ننتظر استعار حرب او خلق جبهة للمقاومة. كنا نتوقع ان ننسف الاعداء بقواتنا وان نصهرهم بعدتنا .

كانت الثقة المطلقة موضوعة فى جيشنا الباسل وفى رجال المقاومة الاحرار . ولكن المسيرة اخذت طريقا غير طريق الحرب ونهجت سبيلا لم يكن متوقعا فاجتازت حكمة السلام واستندت الى حكم قانوني أصدرته محكمة العدل الدولية وجعلت الراي العام العالمي امام الامر الواقع ينظر باعجاب الى موقف لم تمهده السياسة العالمية المعاصرة .

ونقلت وكالات الانباء اخبار المسيرة وصورت حشدها الخضم وهو يسير باعتزاز نحو أراضيه المغتصبة .

ان المغاربة يتوجهون الى أرضهم وليتحمل من يريد الوقوف أمام مشيئتهم مسؤوليته الدولية فى محاربة مسالمين ليس بأيديهم سلاح الا سلاح القرءان الذي يفوق كل سلاح فهو يقوي الايمان ويبعث على الاطمئنان .

ثلاثمائة وخمسون الف مواطن مغربي يزحفون نحو الصحراء تقودهم قوة الحق لا يبالون بما سيقع لانهم مؤمنون واثقون بنصر الله .

انها لظاهرة غريبة فى عصرنا الحاضر المليىء بالحروب والفتك والطغيان .

ثلاثمائة وخمسون الفا من المغاربة رجالا ونساء اطفالا وأيفاعا وشبابا وكهولا وشيوخا تجمعهم كلمة الله ويمشون نحو الاستشهاد مستبشرين مطمئنين صارخين بالحق فى وجه الظلم صافعين الباطل فى كل مكان تلفحهم حرارة الصحراء فلا يأبهون وتثار الرمال فى وجوههم واعينهم فلا يبالون كل واحد منهم كأنه المتنبي الشاعر الطموح وهو ينشد مقدمة قصيدته الميمية فيقول :

ذراني والفلاة بلا دليـــل
ووجهي والهجير بـلا لثـام
فاني استريح بـذي وهـذا
وأتعب بالاناخة والمقــام

لقد تخطوا الالغام الناسفة وثبتوا فى المواقف الحرجة وحرروا الصحراء من مغتصبيها وكان زحفهم ضغطا ايجابيا على كل معاند وانتزعوا بحكمة السلام ما لم تستطع الحروب تحقيقه وكانت معاهدة مدريد فاعترفت بالحق لذويه وأصبحت العلاقات المغربية الاسبانية قائمة للتعاون مهياة للتفاوض فى حل ما بقي من المشاكل وتغلبت الحكمة وانتصر العقل وتحقق ما قاله الشاعر الحكيم :

الراي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثانـي

ونحن الآن وقد مر على المسيرة ما ينيف على السنتين لا نستطيع ان ننسى ما حققته من ابعاد وما سجلته من مفاخـر .

ويتجلى بعض ذلك فيما ياتي :

اولا — انها فتحت باب التفاوض الجدي بيننا وبين الاسبانيين فى حل المشاكل المتعلقة بتصفية الاستعمـار .

ثانيا — انها كانت مبعثا لالتحام القوى الوطنية من جديد فأزالت كثيرا من الضغائن وابعدت كثيرا من الاحقاد وأصبح المغاربة بسببها شاعرين بمسؤوليتهم الوطنية عاملين على استغلال آرائهم فى التنمية وعلى تصريف طاقاتهم وقدراتهم فى البناء .

ثالثا — انها اظهرت المغربي أمام الراي العالمي فى وجهه البطولي الذي اشتهر به فى تاريخه الحافل بالامجاد فهو أمام الحق لا يبالي بالاستشهاد ولا يعبأ بالآلام يحمل رسالته بصدق ويدافع عنها بصدق ويتخطى جميع الحواجز التي تريد ان تقف دون البلوغ به الى اهدافه الصالحة ومثله العليا .

رابعا — انها حققت تحرير جزء كبير من الصحراء المغربية وربطت بين ابناء الشمال والجنوب واعادت الى المغرب جزءا من وحدته التي كان يطمح اليها منذ زمن طويـل .

خامسا — انها اطلعت الراي العالمي على قضيتنا فى اطارها الواقعي وفى اطارها التاريخي وفندت كثيرا من الضلالات التي كانت قد انتشرت بسبب الدعاية الاستعمارية العالمية .

سادسا — انها حققت لمحكمة العدل الدولية مجالا للتنفيذ العملي فاصبحت احكامها داخلة فى اطار الاحكام القابلة للتنفيذ وهذا ربح قانوني يحفظ للمنظمات الدولية كيانها ويحميها من التلاعبات الديماغوجية التي تقع فيها من قبل بعض الدول الاستعمارية فى العالم .

سابعا — انها كانت فرصة لكثير من البلدان العربية والافريقية والاسيوية لمباركة اعمالنا وللمشاركة معنا فى المسيرة . واستغلوا هذه المناسبة ليجعلوها احتجاجا ضد القوى الاستعمارية التي كانت تهدف من تجزيء البلاد المستعمرة (بفتح الميم) الى خلق كيانات ضعيفة تستطيع بها الضغط على هاته الدول متى شاءت سواء فى المجال السياسي أو فى المجال الاقتصادي واحيانا يتعدى ذلك الى المجال الاديولوجي ايضا .

ثامنا — انها كانت درسا وطنيا علم المغاربة كيف يتحملون المسؤولية وكيف يواجهون الاحداث .

وقد نبه جلالة الملك فى احدى خطبه على بعض هاته الاهداف فقد قال فى الخطبة التي القاهـــا على وفود المسيرة فى ذكراها الاولى (1) :

« اعتقد شعبي العزيز أن هذه المسيرة سوف تطبع مغربنا لمدة ثلاثة أجيال أو جيلين على الاقل .

لما ذا ؟ لان حركة المطالبة بالاستقلال كانت طويلـــة وممتدة على عشرات السنين ، بل كانت فكرية اكثر مما كانت شيئا آخر ، وحتى اذا خرجت من الفكر الى الشارع ، كان الخروج الى الشارع غير منتظـــم لا يشمل جميع مدن المغرب ، ومتقطعا فيمـــا يخص المدة الزمنية بين المعارك ، أما هذه المعركة ودرس المسيرة فلم يستغرق الا شهرا واحدا . ولكن ذلك الشهر بالوسائل المرئية والمسموعة جعل أن ستـــة عشر مليونا من السكان الشيوخ والكهول ، الشبان ، النساء ، جعل كل هذا الشعب فى مدة شهر واحـــد كأنه أعطى حقنة مليئة دفعة واحدة من الوطنية ، من الوعي بالمسؤولية ، حتى الذين لم يشاركـــوا فى المسيرة كانوا سائرين مع السائرين أكثر من السائرين ربما ، فحتى الاطفال حتى الفتيان حتى الذين كانوا لا يعرفون اين تقع لا مدينة العيون ولا الساقية الحمراء صاروا يرددونها فى الصباح فى المساء بل حتى فى منامهم وهكذا كما قلت لك كانت حقنة مليئة ودفعـــة واحدة لقنت هذا الشعب لما فيه من الاجيال الحالية والمقبلة ، وحينما أقول المقبلة أعني بهذا المقبلة على المسؤولية لقنت هذا الشعب درســـا فى الوطنيـــة ودرسا فى الوعي ودرسا فى المسؤولية .

وهكذا شعبي العزيز يتضح للجميع أن الشعوب والجماهير خلافا لما يظن يمكن بل يجب فى حقها أن يعتقد أنها تعرف كيف تفرق بين الهدف وكيف تفرق بين الوسيلة وكيف تحسب الحسابات وكيف تعرف الصبر عند الصبر والاناة عند الاناة » .

ان هذه الخطبة تبين أن المسيرة وحدت بين المشاعر واحيت روحا وطنية جماهيرية تعرف كيف تفرق بين الهدف والوسيلة وتملك القدرة على التحكم فى زمام امرها لا تنساق مع العواطف ولكنها تستجيب للصبر فى ابانه كما تستجيب للزحف فى ابانه . وذلك يعتبر مفخرة كبرى للشعب المغربي بشهادة قائـــده رائد المسيرة .

اني كلما تصورت المسيرة وأبعادهـــا قدرت مدى ما احتاجت اليه من قوة فى الذكاء ومعرفـــة بالاحصاء وسيطرة على النوازع وتنظيم للعمل واعداد للمسؤولية وحفظ للنظام ورددت ما قاله المتنبي فى سيـــف الدولـــة :

على قدر أهل العزم تاتي العزائم
وتاتي على قدر الكرام المكـــارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

وجريا على عادتي فى تطبيق القواعد فقد جعلت موضوع المسيرة منطلقا الى التاليف والاختيار .

وفى ذلك توعية للمواطن واقرار للحق واحيـــاء للذكرى ودفع الى العمل من أجل تحقيـــق مسيـــرة اخرى وانها لمسيرة البناء والنماء .

هذا واني قد اتفقـــت مع بعـــض اصدقائـــي المفتشين فى التعليم الثانوي أن نشيع هذه الظاهرة الوطنية فى التطبيقات كما انطبع ذلك فى سيرة من اعلمهم فصاروا ينشئون هـــم بانفسهـــم ما يليـــق بالموضوعات التي يعلمونها لتصبح هذه الطريقة عرفا يتبع وينفع فى اقرار القواعد وفى الانشاء التعبيري المتعلق بالاهتمامات المعاصرة وبدراسة المشاكـــل التي تحتاج الى ابداء الراي ومناقشته .

وينبغي أن تختلف الموضوعـــات باختـــلاف المستويات وحينئذ يستفيد منها تلاميـــذ المدارس الابتدائية والثانوية ويستفيد منها ايضا طلبة المدارس العليا وكليات الاختصاص وفى ذلك فائـــدة كبـــرى للبلاد وعلى الله نتكل فى الهامنا للخير والرشاد .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

(1) هذه الخطبة منشورة بمجلة (دعوة الحق) الغراء ــ العدد التاسع من السنة السابعة عشرة بتاريخ ذي القعدة 1396 موافق نونبر 1976 صفحة 13 .

بالحب ساد

للشاعر الاستاذ عبد القادر المقدم .

فاخر بعرشك في السهى مترفعـا — أهدى الخلود له وساما مبدعا ... !

غنيت منذ طفولتي متواجـدا — أرنو لطلعته شغوفا مولعا ... !

لمست فؤادي من رؤاه روائـع — هي للقلوب عرائس .. ما أروعا ...

أوحت له بن سحرها وروائها — ما لا ينال تألقا وترفعا

وسبحت في اجوائه مستكشفا — آفاقه ، مستلهما ، مستطلعا ... !

ورأيت ... ماذا قد رأيت ... ؟ فراقدا — تلقى جمالا ، ساحرا متنوعا

تومي بابدع ما تريك لواحظ — من فتنة النظرات سهما مشرعا

سهم تواهت النفوس بوقعه — وهفت اليه ، كالفراش تولعا

والنفس تغريها الحتوف ، اذا بدت — للحب ، وصلا ، ممكنا متوقعا

وتملكت نفسي احاسيس الذي — كادت مخايل حلمه ان تسمعا ... !

وتساءلت : ماذا ؟ وكل مرامها — ان تدرك المعنى جليا طيعا

وتهامست في كل روض حوله — أنسام جلوته تخالج أضلعا

فاذا البشائر شاديات بالمنى — تجلو محاسنه ، تزيد تنوعا

* * *

عرش تلألأ في سماه ، مشيدة — بعلاه انغام ترردده دعا

أنواره تمحو ظلام نوائب — آدت حمى وطني زمانا شيعا

واتت جحافله على جيش العدى — دكت صروح البغي دكا موجعا

تركوا وراءهـم ربوعـا تشتكـي — من سوء ما فعلوا ، وقضوا مضجعـا

وتتابعت ترقى اليه عواهـل — علوية الاعراق ، تسمـو منزعـا

كانوا الملوك الصيد ، يحذو حذوهم — باقي الملـوك تأدبـا ، وتشيعـا

خلعوا على الدنيـا رداء حضـارة — وحبوا عهودهـم ، رقيا ممرعـا

* * *

هذا حفيدهم ، المليك ، تكاثـرت — آلاؤه الجلى ، غنى ، وتوسعـا ... !

حسن الملوك صنائعـا ومناقبـا — لا ... لاتدانيه الاماثـل موقعـا

جمع المحامد ، صال فى ميدانهـا — وتجاوز الكرم الاصيـل الارفعـا

ساس البـلاد بحكمـة ورويـة — صارت بهذا ، للثـراء المنبعـا

ربى النفوس ، وشدها نحو العـلا — كيما تبارى فى الفنـون وتبدعـا

زرع المدارس فى البيوت ، وبثهـا — أنى حللـت ، امدهـا ، متتبعـا

ربى العقول ، وصانهـا ، وأجلهـا — وغزا الجهالة ، زاحفا ، ومشرعـا

وحمى العقيدة ، خصهـا برعايـة — موصولة ، يدعو اليهـا مسمعـا

يبني لها كم مسجـد ، كم منبـر — والنشء يغرسـه طريـا مونعـا

* * *

ومن السدود بنى مجامع نهضـة — تعطي الحياة ، طراوة ، وتضوعـا

نثرت يداه الخير ، حيث تعانقـت — افنانه ، وورود ، فاحـت معـا

وغـدت بـلادي جنـة فينانـة — ... جنباتها تحتل مرقى ممتعـا

جمعت مجاليهـا الفنون جميلـة — واستوعبت من كل علـم مجمعـا

* * *

« ليلى » الثقافة لم تعد « مقصـورة » — اذ بات « مخدعها » لكـل مرتعـا

وتواصلت رقع الحمى ، وتماسكـت — أفياؤهـا ، وتحولـت متجمعـا

وتلاحمت اجزاؤهـا ، وتوحـدت — آمالها ، تبغي الرخـاء الاوسعـا

عملت لهذا همة الحسـن الـذي — ان مس صخرا ، سال رزقا مشبعـا

* * *

ان كان يسبي الناس طيف رفاهـة — فهيامه خير الورى ، مهما سعـى

والناس فى دنياهم ، ولم يفتأوا — يتصارعون ، لكى ينالوا مطمعا
بينا يرى اغلى المنى فى سعيه — يبني ، ويرفع ، راضيا متطوعا
آدت مطالبه الليالي ، سالكا — ايامه ، لا يستلذ المهجعا

* * *

يا نعم هذا البذل موفور الجنى — شملت جداه السهل والمتمنعا
فاضت سوابقه ، وأينع غرسه — احيت مناهله الخلاء المربعا

* * *

ذهب الاسى ، زال الضنى ، لاح الرجا — حل الهنا ، نسخ المخاوف ، اجمعا ...!
واسترجع الوطن العزيز جلاله — وجماله ، وحياته ، واستجمعا

* * *

يهدي الحجا ، أهل الحجا لمطامح — مهما نأت ، بل يكشف المتقنعا
والعزم يمتص المراحل ، ما حقا — لموانع ، ويشل خصما ، مفزعا
والوثب اجدى فى الوغى ، اما التقى — جمعا الوغى ،، فالنصر « لله » ازمعا
والمقدم المغوار يبلغ شأوه — والناكص المخذول ، يلقى مصرعا
لا يكتوى بمذلة غير امرىء — زام القناعة وارتضاها مهجعا
واستعبدته لذائذ ، وسفاسف — كم من اناس ساوموها ركعا !
والمجد ينتخب النفوس كريمة — والوجد يدنيها اليه ، مسرعا
تحبو الحياة مكانة مرموقة — لمن ابتغاها شامخا متورعا
مستصغرا لبلائها ، مستبسلا — يوم اللقا ، يشفي الغليل المنقعا
ولساعة فى المكرمات تعيشها — اسمى من الحقب المديدة مخضعا .. !

* * *

غر المناقب هذه ... مشهودة — فى سيد النقبا ، نشاهدها معا
ملك تغرد بالثنا متعطرا — بشذا المفاخر ، لا يضاهى مصقعا
ود السماك خطاه ، لو أضحى لها — فرشا ، تلامسه خطاه ، فيخنعا

طنجة : عبد القادر المقدم

ظلال العرش

للشاعر الأستاذ
وجيه فهمي صلاح

الله اكبر جاء النصر والظفر   فاعزف لمن صنع الامجاد يا وتر

انا قفزنا الى العلياء يدفعنا   عرش مجيد وملك كله نظر

والشعب خلفهما عزم وتضحية   اركانه الحب والاخلاص والاطر

يبني ويعلي صروح المجد شامخة   وان يزعزعه جن ولا بشر

* * *

يا أيها الحسن المعتز جانبه   بالله انك باسم الله منتصر

انا بفضلك قد نلنا مطامحنا   اذا رسمت يلبي الدهر والقدر

لأنت فى هالة الاخلاص مؤتلق   تنير درب الليالي السود يا قمر

تساهر النجم كي تحيا مرابعنا   يا من لعزتنا يحلو له السهر

* * *

انت المثنى مقيم فى جوانحنا   ونحن جندك تدعونا فناتمر

ثالوثنا من خيوط الحب تنسجه   اغلى شعار له فى عزنا اثر

الله والوطن الغالي وسيدنا   سبط الرسول وفى احكامه عمر

وعرشه الحر فى اذهاننا قبس   من نور طه لنا فى عزه وطر

تسعى لرفعته فى دارنا زمر   هي الوفاء فنعم العرش والزمر

الدين من حوله والنور يدعمه   بالله معتصم بالعقل مقتدر

ظلاله في لهيب الشمس تسترنا   وشمسه درعنا لو مسنا خطر
ونحن يا خالد الامجاد مجتمع   افراده من وراء العرش والاسر
قد عودوك وفاء لا حدود له   ومن وفائك في هذا الورى صور
فاسعد بتاج له الحافظنا درر   الحب رصعها في التاج والعمر

* * *

خل الحسود الى الاحقاد تصرعه   لن يدرك المجد مكلوم الرؤى اشر
لو حالفته جنود الشرك قاطبة   امام همتك الشماء تندحر
فانت في الق الاجلال منطلق   وهو البغيض المريض المنكر النكر
لا يعرف الحق الا كل ذي خلق   صفاته من عروق الجد تعتصر
خليه خلف سراب الرمل مندفعا   ضل الجهول فلا سمع ولا بصر
خلف السراب رجال من اشاوسنا   وشيمة المغربي النصر والظفر
كتائب النصر بالمرصاد رابضة   يجلو لفرسانها من اجلنا السهر
عزائم كرسوخ الطور ثابتة   ما ردها عائق يوما ولا خطر
قد اشرق الرمل في الصحراء مغتبطا   بابن الرسول فحل الغيث والمطر
هناك من همم المنصور الوبة   غنى لها الطير لما اينع الشجر
وفي العيون رفيق الخير طالعنا   فاستبشر القلب بالانجاز والنظر
سحائب الحب رشت في مرابعها   ماء الحياة فهان الصعب والوعر
فهلل الامل المشبوب مرتقبا   ان يزهر الرمل في الصحراء والحجر
لم لا وهذا مليك الفكر متشح   بالصبر والفكر جلت في الورى الفكر
مفاخر الحسن المقدام مائلة   لكل عين يراها البدو والحضر

* * *

ان المعارك في التاريخ مطرقة   وراء خطوته الخضراء تنتثر
ترى المسيرة فتحا لا مثيل له   الله باركه والآي والسور
السلم شميتها والعزم بهجتها   والحق شملتها والفكر والنظر

* * *

قد كان ادريس (1) منغوم القصيد اذا   دعاه عيد من الاعياد يبتكر
وكان مفدي (2) هزارا في تجمعنا   للمجد يشدو فيحلو الشعر والسمر
مضى المجيدان فالتاع القريض اسى   وجف بحراهما فارتاعت الدرر

قد عودانا بعيد العرش ملحمة … ابياتها صادحات كلها صور

والآن ما حيلتي وحدي وقد كثرت … مكارم الحسن المنصور يا وتر

* * *

قد جل في عهدك العرفان فانطلقت … معاهد العلم كالانوار تنتشر

شيدتها بسديد الراي فانتظمت … اركانها البحث والتنقيب والسهر

والجيل ينهل من اصفى مواردها … ما يرتجيه فنعم المنهل العطر

آفاقنا بلباب العلم زاهرة … يا ارض بشراك طاب الجهد والثمر

تهش في الق العرفان امتنا … فتشرق الشمس للعرفان والقمر

قطوفه دانيات من لواحظنا … كأن حباتها في غصنها درر

* * *

هذي سعودك ابواب المنى فتحت … في كل شبر بدا من فيضها اثر

والبور اورق فازدانت جوانبه … وصفق الغصن والاطيار والشجر

والنور يسطع في طاقاته خبر … الى الصناعة فارو اليوم يا خبر

انا استثرنا وحركنا مصانعنا … فهلل الصنع والانتاج والاطر

لا ما اكتفينا فانا امة نذرت … جهودها للمعالي جلت النذر

ستبلغ الهدف المرسوم امتنا … ما دام عاهلها السهران يبتكر

آمالنا ما لها حد يسورها … وعرشنا صانع الامجاد مقتدر

فاسلم لشعب ابي انت ملهمه … الى المعالي بكم يسمو ويزدهر

وصان ربي ولي العهد سركم … سبيله النور والالهام والظفر

---

(1) هو الشاعر المرحوم ادريس الجاي .

(2) مفدي زكرياء شاعر المغرب العربي الكبير .

ذكرى المسيرة الخضراء

للأستاذ الشاعر المدني الحمراوي

مسيرة الفتح ، بل أحدوثة الزمن   ووثبة الحق ، بل أعجوبة الحسن

لولا حقائق قد ابصرت واقعها   لقلت : ضرب من الاوهام لم يكن

قد كنت أنكر اخبارا مشوقة   من الملاحم عن سيف بن ذي يزن

حتى رايت الذي فجرت من عجب   فقلت قد نقل الراوي ؛ فلم يمن

* * *

فلو رأيت حشودا هب جحفلها   ضاق الفضاء بها تسري بلا وهن

تغزو وعدتها ذكر ترردده   وهمة عقدت عزما فلم تهن

لكنت ابصرت افواجا مواكبها   تمشي على نمط في السير متزن

ولا سلاح سوى اجماع امتنا   على مواقفها في وحدة الوطن

لما دعاها من « الحمراء » عاهلنا   غداة ابدع فتح القفل بالفطن

وصاح في مسمع الدنيا بخطبته   فأذهلت كل ذي لب وذي اذن

دوت رواعدها في كل دانية   وكل قاصية في السهل والحزن

وزلزلت نفرا كانت ضمائرهم   تصلي بنار من الاحقاد والاحن

اوهت عزائمهم ، عرت مطامعهم   فصار ما ستروا منها الى علن

واحبطت خططا لهم مبيتة   واسقطت كيدهم من ذروة القنن

ظنوا مسيرتنا دعوى نروجها   وان خطتها اوهام مفتتن

حتى راوا لجج الافواج مائرة   كالسيل في حزن وعر وفي سنن

هبت بها جاريات البر هادرة   كما يشق عباب الماء بالسفن

عج الفضاء بها في كل ناحيـة ... واهتزت الارض من وقع لها مرن (1)
واجفلت قطر مـلأى على سكك ... شقت مسارب في قرى وفي مدن
تسابق الريح في جري اذا عصفت ... كانما قرنت بالريح في قرن (2)
وفي تخوم الصحراء مقفلة ... دك المشاة سداد (3) الحيف والغبن (4)
واقبلوا يطأون الرمل في شغف ... ويسألون عن الارحام والسكن
ويلثمون رمالا طالما حرموا ... منها ؛ وطال بها ليل من المحن
ورفرف العلم المنصور مرتفعا ... وخيم القوم ــ كالاهلين ــ بالقطن (5)
واحرموا بالصلاة بعد ما شكروا ... لله ما كف من هول ومن فتن
وحقق المصحف المحفوظ معجزة ... اخرى ؛ فلم يبق من ريب لممتحن
وتمت الخطة العذراء ، وانتصرت ... عزيمة لم تهن يوما ، ولم تلن

* * *

عادت الى أهلها « سمراء » نازحة ... كما يؤوب الى حماه ذو ظعن
واقبلت ووفود السعد تكلأها ... من بعد ما رسفت في القيد والشطن (6)
وانجاب عن قطرنا ضيم تحيفه ... دهرا طويلا مضى في الغم والشجن
فالآن قرت عيون كان يصرفها ... شجر اليم عن التهويم (7) والوسن
وحقق الشعب آمالا محببة ... بفضل عاهله المستوفز (8) الفطن
قد انجزت وحدة الاوطان همته ... فكان ــ حقا ــ عليها خير مؤتمن
أعظم بوقفته والجو معتكر ... والناس ما بين مشدوه ومضطغن
والمكايد ارقال (9) وقعقعة ... من كل ذي طمع مستبشع عفن
لكن عاهلنا جلى فجاء بها ... عصماء من مدد لديه مختزن

---

(1) المرن : بفتح الميم وكسر الراء ذو الصخب والجعجعة .
(2) القرن بفتح القاف والراء : الحبل .
(3) السداد بكسر السين : ما يسد به أي يغلق به.
(4) الغبن بفتح الباء كالغبن بسكونها .
(5) القطن : بفتح القاف والطاء : موضع الاقامة .
(6) الشطن : بفتح الطاء الحبل .
(7) التهويم : النوم القليل .
(8) المستوفز : المتهيء للوثوب .
(9) الارقال : الاسراع في السير .

عذراء من فكره المشبوب رائعـــة — لم يفش غرتها عيب ولـــم يشــــن

قزف ما ترك الاذهـــان ســـادرة — وخر منه أباة الحـــق للذقــــن

فطأطأت رأسها الدنيـــا لعاهلنـــا — وقرظته رعاة الفكـــر واللســـن

وبان من اخلصوا فى ودنا ، وبـــدا — من حاد عنا ، ومن أمسى على دخـــن

* * *

انا لنشكـــر همـــات لاخوتنـــا — لم تنس آصرة القربى ولم تخـــن

هبت تؤازرنا كمـــا نؤازرهـــا — وساندت حقنا فى السر والعلـــن

ولا كآل « سعود » ان هتفت بهـــم — لبوا اذا غيرهم اكبى (10) ولم يعـــن

وسوف تذكرهم اجيـــال مغربنـــا — بخير صنع بطيب الذكر مقتـــرن

هي المفاخر قد القـــت مقاودهـــا — الى سليل الكرام من بني حســـن

الى الذي حرر الصحراء مـــن رهـــق — وفكها من وثاق الغاشم الخشـــن

فبورك الحسن الثاني ومـــا صنعـــت — يداه من شرف للديـــن والوطـــن

وحقـــق الله فى نجليـــه بغيتـــه — وعاش مستبشرا باليمن والمنـــن

ودام عرشه للامجـــاد يحرسهـــا — كما حمى حرمة القرآن والسنـــن

الرباط : المدني الحمراوي

---

(10) اكبـــى : اكبـــى الزند لـــم يـــور .

الحسن الثاني معجزة الدولة العلوية

للأستاذ عثمان بن خضراء

لقد سجل التاريخ المغربي الشيء الكثير عن الاسرة العلوية المجيدة من المكارم والامجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية ... فكانت هجرتهم من الحجاز الى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد واهلها ... وسجل في حقهم التاريخ المغربي التسابق الى المعالي وتسنم ذروة المجد والاسراع الى الاغاثة والنجدة ... وتحرير الثغور من الاحتلال الاجنبي .

وتمر السنون والاعوام وذكرى العظماء من ملوك وسلاطين وغزاة فاتحين الذين مثلوا ادوار الشجاعة والعظمة والعبقرية بجباه عالية على مسرح الخلود ابدا ماثلة امام الاجيال ... يتناقلها الخلف عن السلف كاساطير الاولين محفوفة بالاجلال والاعظام .. ولولا الاقرار بالنبوغ والاعتراف بالعبقرية لما اقيمت التماثيل وخفقت الاعلام والرايات ... ونصبت اقواس النصر ... وعقدت حفلات التأبين والتكريم ... وهتف بحياة عظيم أو زعيم ... ووضعت الاكاليل وباقات من الازهار على المدافين والاضرحة ... فالخدمات الجليلة التي يقوم بها ذوو الاريحية والنفوذ لها نشرها الطيب وذكرها الخالد واثرها المحمود وجزاؤها الحسن في الدارين — ولله در من قال :

« من يصنع المعروف لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس »

وان التاريخ المغربي الذي يسجل حياة الامم والدول واعمال رجالاتها لفخور بما يضمه اليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذي تعتز به العروبة ويتنظم به الاسلام جلالة الحسن الثاني .

ان الذكرى السابعة عشرة لتربع صاحب الجلالة الحسن الثاني على العرش العلوي المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوى المعادية للبشرية والحرية والوحدة لانه من ذوي الايمان الراسخ الذين يدركون ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان ويلعبون دورهم البطولي دون خوف او تردد غير عابئين بما يلحقهم من مكروه واذى !

اجل ... ففي حياة الحسن الثاني واخلاقه العالية وخصاله الشريفة وغيرته الاسلامية وحرصه الاكيد على توحيد القطر المغربي واسترجاع الاجزاء المغتصبة كالساقية الحمراء وغيرها لدليل ساطع وبرهان قاطع على نبوغه وعبقريته — ولا عجب ، فقد ورث الحسن الثاني عن اجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالاعمال الجليلة والمنجزات العظيمة والمبادرات الاصيلة — واذا اخذنا صفحات هذا العرش العلوي المجيد لنجلو ميزاته الانسانية ونتفهم الى اي مدى اتسعت أعماله الاصلاحية وامتدت اطر مجاهيده الكبرى الى آفاق انسانية عليا ، فاننا نجد البطولة في أروع صورها تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى علي الشريف الى الحسن الثاني .. ونرى المجد الانساني الباذخ والسمو الروحي الامثل الذي يتعالى في مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذي يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش !

لقد عمل جلالته على تشجيع العلم والادب واتاحه الفرصة لذوي المواهب لانطلاق قرائحهم حرة كريمة تنتج كل ما تستطيع انتاجه في ظل الرعاية الكريمة ... ولا غرابة في ذلك فان اهتمام ملوك

الدولة العلوية بالحركة العلمية شيمـة من شيـم عصورهم الذهبية الزاهرة ... لقد كانـوا يعفـون العلماء من الاداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا ، وكانت المنح تنهال على المؤلفين كالجوائز التي توزع اليوم في مختلف الاقطـار الاوربيـة على العلمـاء والباحثين والكتاب – وكانت الخزائن تقام في كـل مدينة ... وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من اشهر مؤلفي عصره ، كما كان المولى عبد ا رحمن مصرا اشد الاصرار على تعميم التعليم الابتدائي في الحواضر والبوادي ، واستخدم للوصول الى هـذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلـة بتحقيـق برامجـه .

واسس المولى محمد بن عبد الله مدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القـراءة والكتابـة واصول الفنون العسكرية ... وتخـرج من هـذه المدرسة قواد مهرة ادخلوا اصلاحات كثيـرة على الاساليب العسكرية ، واستفاد المغرب من مواهبهم افادة كبرى – وكانت الدراسات تسير على مقتضى اساليب المدارس العصرية في ذلك الوقت ... ثم توالت الملوك العلويون على أريكة العرش وتممـوا الحلقة التي بداها اسلافهم مثيرين بذلك لرعاياهـم طريق الهداية والرشاد .

وان الخطة التي يسير عليها الحسن الثانـي تتسم بسمة الخلق والابداع ، وتقوم على استيفـاء المناهج والاساليب المتولدة عن الدراسة المحكمـة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ ... وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال .

هذا واذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميـز بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيـارات السياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعية فان أرشد الحكومات في نظر الحسـن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيـار وسط الآراء والنظريات المختلفة ، وتخط للشعب سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته ... مرتكزة على مقوماته ، ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته او فيما ينوبـه كعضـو مسؤول في الاسرة الانسانية الكبرى ... !

وامام هذه التيارات المختلفة فان جلالته يرى ان الشعب المغربي المسلم يجد نظامـا اقتصاديـا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الـذي يقـول : « وكذلك جعلناكم امة وسطا » فتكون تلك الامـة الوسط التي ليست بالراسمالية ذات النظام الاهوج التي لا تترك حرية لاي ضعيف ... ولا بالاشتراكية التي دلت الارقام والحوادث على ان نظرياتها يمكن ان تكون اخطر من تطبيقها ... نريد ان تكون تلك الامة التي يمكنها ان توفق بين النظامين وذلك بان تعطـي لكل الميادين مدلولها ومفهومها ... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب ان تكون في يد الدولـة ، وان تؤمم ... وبين الميادين والقطاعات التـي يجب ان تبتعد منها الدولة ، وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحـرة .

اما ميادين التاميم ، فباختصار كل ما يجعـل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقـلاع الاقتصادي وللاستمرار في النمو ... مثل الطاقة ، والصناعة الثقيلة ... والمواصلات بجميع انواعها ... والقروض ووسائل القروض ... ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة ... والخيرات الباطنية برا كانت ام بحرا ... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة مائية كانت أو كهربائية او نووية ان شاء الله تعالى او معدنية او مالية .

وهناك ميادين اخرى وهي ميادين المبـادرات الخاصة ... وهي كل ما يمكن المواطـن من رفـع مستواه الخاص وخلق الرواج ، والنيابة عن الدولـة التي لا يمكنها ان تخوض جميع الميادين : فنـرى الصناعة ، والصناعة الصغيرة ، والسياحـة ... والفلاحة بجميع انواعها ... والتجارة ... وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتـى يمكن للمغرب ان لا « يتزوج » دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة ... بل ان يأتي بدم جديـد وتلقيحـات جديدة ويعرف بنفسه وبانتاجه ... ويمكنه كذلك ان يصدر للخارج ادمغة ومفكرين ونخبة طيبة مـن شبابـه .

ومن اجل تهيييء الاطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري ، فان المبادىء الاساسية التي تعطي لتعليمنا ميزته الخاصة تتلخص في التعريـب والمغربة ومجانية الدروس ... وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف منذ عدة سنوات ان تتحمل الدولـة اثقل عبء لتوفر اكبر عدد من المنح لشبابنا الذيـن يطمحون في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليـا

وكلياتنا أو في غيرها في الخارج وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها ان تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه والذي يمكنه وحده ان يفتح لهم افسح الآفاق واجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الامة .

هذا ... وان حياة جلالة الحسن الثاني حافلة بالعطاء والبطولات والامجاد ، مليئة بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق التي توجت باسترجاع الصحراء الى حظيرة المملكة منذ سنتين بفضل ارادة الله تعالى وكفاح الملك والشعب وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار يشجعها ويذكيها لان سكان الصحراء كانوا ايضا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام الى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا منذ القدم .

وقد كان الشعب المغربي هب منذ ازيد من سنتين ملبيا ملكه العبقري وقائده الفذ في مسيرة خضراء رائعة سلمية كانت نتائجها الباهرة افضل من الف معركة ودخلت التاريخ من بابه الواسع — واقنع حفظه الله هيئة الامم ومحكمة العدل بان منطقة الساقية الحمراء كانت طيلة التاريخ منطقة مغربية صميمة ، خصوصا وان المغرب كان الدولة الوحيدة التي حافظت على استقلالها عبر القرون منذ القرن التاسع الميلادي — وقد خرجت من الصحراء سلالات حكمت المغرب كسلالة الموحدين ... كما ان سيادة المغرب قد استمرت عبر الاجيال على هذه الصحراء بكيفية دائمة — وافهم الراي العام العالمي با نه حينما وطأ الاستعمار الاسباني اراضي الصحراء وبالاحرى بعض الجيوب الشاطئية من الصحراء في حدود عام 1885 هبت القبائل المغربية الصحراوية لمقاومته واجبرته على الانكماش في نقط من الشاطىء ...والكل قد سمع بثورة آيت باعمران وتضحية الشيخ ماء العينين في هذا الجزء ... ولا غرو ، فكفاح الملوك العلويين من اجل وحدة التراب المغربي ، وخصوصا من اجل الصحراء اكدته الوثائق والمستندات الوطنية والاجنبية ... :

فقد وصل الى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر اهل شنقيط حيث عقد على الملكة خناثة بنت الشيخ بكار المغافري ، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة .

ورحل السلطان مولاي الحسن الاول بدوره الى تخوم شنقيط وتوغل فيها الى ان نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا احوال الرعية .

وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد ارسل وفدا الى شنقيط لينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم ويتفقد الاحوال ويصلح من شأنها ... فقصدت هذه البعثة مدينة « اسمارة » بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وادت مهمتها احسن اداء .

وان من جملة الوثائق التاريخية التي أدلى بها المغرب حول مغربية الصحراء انه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شان المغرب ، وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية ... فكانت تحد بالجزائر وافريقيا الوسطى : السينغال والسودان وريو دي اوررو — وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود ... وقد عمدت فرنسا الى ادماج الصحراء المغربية في افريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها ، مما يجعل هذا الامر ملغى ومناقضا للقوانين الدولية !

وقد استطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله جلالة الحسن الثاني من تحرير جزء من الاراضي المغربية سنة 1956 حينما اعلن استقلال المغرب في 3 مارس مع الدولة الفرنسية ، وفي 2 ابريل سنة 1956 مع الدولة الاسبانية ... وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على ان يتحفظ فيما يخص الاجزاء غير المحررة منه ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها الى حظيرة الوطن المحرر .. وواصل الكفاح بعد ذلك فاسترجع طرفاية الصحراوية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا ... وبعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية مماثلة مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة ايفني في 1969 واخيرا جاء دور الساقية الحمراء واهتم الراي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا أو هيئة الامم المتحدة أو محكمة العدل الدولية ... واثبت حفظه الله مغربية الصحراء الغربية تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا

... فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الاراضي من الاحتلال الاجنبي ـ وقرر الملك المعظم القيام بمسيرة سلمية والدخول الى الصحراء في موكب سلام .

وقامت جل دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية والاسلامية بدعم موقف ملكنا ومباركين هذه المسيرة الشعبية والزحف المقدس ... الشيء الذي دفع بالحكومة الاسبانية الى التفاهم مع المغرب والاستجابة لارادة الشعب وملكه ـ ورفعت الاعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء ... وتعالت هتافات الغبطة والنصر والحب والولاء تغمر ارجاء الوطن ... وهب ابناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك.. وتحقق العالم مرة أخرى من شعبية الحسن الثاني ، ومن الشعب المغربي الصحراوي الذي رفض رفضا مطلقا كل محاولة لتزييف واقعه وفصله عن تاريخه واجداده ودينه !

وبعد استكمال الوحدة الترابية ها هو المغرب ملكا وحكومة وشعبا يبذل جهدا كبيرا وتضحيات غالية لاستعادة عظمة البلاد بعد تحقيق الوحدة وقد هيأ جلالة الملك البرامج الواسعة والدراسات الجوهرية للعناية بالصحراء اقتصاديا واجتماعيا ودينيا حتى اصبحت جنة خضراء باذن الله تعالى وحسن عونه .

فالمعركة مستمرة من اجل عظمة المغرب ... وهي كما يريدها الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد، للتلقيح ، للانتاج ، لانه عمل كل يوم ... كل شهر ... كل سنة ... كل جيل ... فهي معركة ايمان في القلب وفي التفكير والابداع والانتاج ـ والمغاربة الذين فتحوا الامصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي لن يقبلوا أن تطبعهم شعوب اخرى بطابعها ولن يستوردوا انظمتها .

وبعد عامين من استرجاع الصحراء ، فان ازدهارها مرتبط بالعمل المستمر ... المتسم بسمة الخلق والابداع ... ويقوم على استيقاء المناهج والاساليب المتولدة عن الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين ... فيعطي جلالة الملك الاولوية لاستصلاح الاراضي وتوفير المياه ... وشق الطرق ... وبناء المساجد ودور السكنى ... وتأسيس الاندية الثقافية والملاعب الرياضية بجانب المدارس ... وتزويد الاقاليم المسترجعة بالاطر العليا الضرورية لكل تطور اجتماعي وفكري واقتصادي حتى يعم الرخاء والازدهار وتتحقق الرفاهية لكل أفراد الشعب شمالا وجنوبا .

هذا ويلعب المغرب دورا بارزا في تسيير السياسة الافريقية والدولية في الظروف الراهنة بفضل سياسة ملكه القائمة على التعايش السلمي والاحترام المتبادل ... وهي السياسة التي ورثها عن أجداده الملوك العلويين مثل المولى اسماعيل الكبير وسيدي محمد بن عبد الله ... وقد اسس الاول اسطولا تجاريا يكون همزة الوصل بين المغرب والاسفار الى الخارج ، واسطولا حربيا يساعد على قتال كل من اعتدى على البلاد ويضفي على المغرب هيبة واحتراما ... ونفس هذه الغاية يستهدفها الحسن الثاني من تجديد اسطولنا البحري وبنائه على اسس متينة وتثبيت دعائمه بسلاح جوي منيع تتكون اطره في مدارس حربية ذائعة الصيت تفتخر بالعديد من متخرجيها .

فعمل الحسن الثاني يتميز بالجدية والتضحية والفطنة والذكاء وحب الصالح العام وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها ...

وان الشعب ليلتف اليوم وقلبه يجيش حبا وولاء ليواصل بقيادة ملكه الحكيم معركة بناء الاستقلال ... والوطن يدين لشعبية الحسن الثاني المتفتحة وحدبه المتواصل وابوته المتعالية ، ويمتن لجهاده الصامت وكفاحه المستمر والطافح باسمى بطولته !

فالشعب المغربي وهو يحتفل بعيد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم الا نادرا وفي فترات متباعدة من التاريخ ... وهذه العبقرية لا تقاس بالسن ولا بغير السن من مقاييسنا لانها موهبة من الله تعالى ... وان شعبا كالشعب المغربي يومن بان مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل !

عثمان بن خضراء



في سنة 1387 هـ ـ 1967 م أمر الملك فيصل رحمه الله بافتتاح خط جوي بين بلادنا السعودية والمغرب ، فافتتح وكنت ممن دعي في رحلة افتتاح الخط وقد غادر رفاقي الرباط بعد الزيارة وأنا ظللت في المغرب فزرت الدار البيضاء ومراكش وفاس ومكناس وافران وطنجة وغيرها فاعجبت بالمغرب وبأخلاق أهله وجماله فولدت هذه القصيدة في افران مصيف المغرب واتممتها قبل أن أسافر من المغرب وقد كتبت عن المغرب حوالي ثمان كلمات في جريدة المدينة المنورة .

طر يا « نهار » فذا فضاء أرحب … واطلق « بوينجك » فالمناخ المغرب (1)

واسبق مسير الصوت والافلاك في … دورانها واصعد كأنك كوكب

هذا الرباط فقف على جناته … واهبط فشمس الافق لما تغرب

* * *

بلد به تلقى الليوث صوامدا … قد دمروا خطط العدى وتغلبوا

كم رابطوا كم جاهدوا كم علموا … آثارهم قد دونت وستكتب

لتحي في الحسن الابي وشعبه … أسدا عرينهم حمى لا ينهب

ملك عظيم عرشه متألق … فوق السماك وللقلوب محبب

شادوا لدين الله حصنا شامخا … فوق المحيط بناؤه لا يثقب

لم تقو قوات الضلال عليهم … مهما تحزب جمعهم وتألبوا

---

(1) البوينج : الطائرة رقم 720 ونهار هو نهار نصار قائد الطائرة البوينج الذي افتتح بها الخط الجوي السعودي المغربي .

فبنـوا مفاخـر امـة عربيـة   عدنان نسبتهـم اذا ما نسبـوا

نشأوا على الخلق الكريم سماحـة   وشجاعة وعلى البطولـة دربـوا

فالمغرب العربي قلعـة مجدنـا   واسوده سـور علينـا يضـرب

* * *

لا تشتكـي ضيمـا ولا عنتـا بـه   من تلقـه منهـم كريـم طيـب

فى كل شبـر فيـه تلقـى جنـة   فيحـاء فـى افيائهـا تتقلـب

فالارض سندسهـا كبحـر مائـج   والماء سلسلـه يمـوج ويصخـب

والغصن يثنيـه النسيـم فينثنـي   كالغيـد فـى خطواتهـن تلهـب

والطير يقفـز فى الريـاض مغـردا   يشجي ويرقص والحمائـم تطـرب

والغيث موسمـه يريـك عجائبـا   فالنهر يهـدر والمـزارع تعشـب

فى جوفه الثروات تزخـر والمنـى   والزهـر والثمـرات منـا تقـرب

فجمالـه الرقـراق فـى جنباتـه   واعطـر من ارجائـه يتصبـب (2)

* * *

والآنسـات الساحـرات الفاتنـات   تجلبـب وتـدلـل وتـأدب

فى لحظهن الموت فاحـذر يا أخـي   ضرب السهام فجرحها لا يـرأب

ولهن اكسيـر الحيـاة فمـن راى   كأسين مختلفين منهـا نشـرب

حسن تألق فى الوجـوه وفى النهـى   والطبـع ان معينـه لا ينضـب

عجبا من الشرق الشمـوس طوالـع   ومشارق الاقمـار هـذا المغـرب

* * *

اكـرم بـهذا الصـاروخ ان نهـاره   جعل الرباط لطيبـة يتقـرب (3)

وبه الرياض تصافحت مع مغـرب   وبمكة يهـوى الجميـع ويذهـب

ما دق فيصـل دقـة الا أتـت   فالصبح تسفر عن مفاخر اطيـب (4)

انـا نحـي فيصـلا وجهـاده   لا ينثني فى الحـق بـل لا يغلـب

بطـل يخطـط والبنـاء طباعـه   أمل العروبـة فخرهـا المترقـب

المغرب ـ افران ـ علي حافظ

---

(2) الرقـراق : نهر يمر بين الرباط وسـلا .

(3) المقصود بالصاروخ الطائرة البوينج 720 . وطيبة المدينـة المنـورة .

(4) يقولون ان فلانا دق دقة حريف يعني أصاب فى عمله وعمل عملا ناجحـا موفقـا .. ويقصـدون بالحريـف الخبيـر .

عشت لخير شعب

اطلعت على تائية أبي اسحاق الابيري فى الحكم ، والوصايا . فعن لي أن أنسج على منوالها تائية أخرى :

طلبت نصيحة منـي ، ورمتـــــا فجدت بما رجوت ، ومـا رغبتـــا
وجاريــت المصــاول بالمعانـــي أبا اسحاق (1) ، تصويـرا ، ونعتـا

* * *

اذا ما رمــت ادراك المعانـــي فاغرق فى مداها الرحـب وقتـــا
فمن امسـى يعيش بثغـر جهـــل يكن هدفا اويــلات ، وسمتـــا
اذا ما غاص فيه فتــى غبـــي ينـل ذلا ، ويـــزدد منه مقتـــا

* * *

فلا تمــلا حياتــك بالملاهـــي ولكـن بالعظائم حيــث كنتـــا

* * *

فما نفع ســوى بضياء علـــم يصب على الذبال الغض زيتـــا
فينتفع المفيـــد ، ومن تلقـــى ويخلد ذكره ، كالنخل ، ثبتـــا
اذا جادلت صلت بـلا نـــزاع وان بارزت ــ بالمرغوب ــ فزتـــا
واما نمت لـم ترهــب لصوصـــا ولم تبفتك فى الآفـــاق ، بغتـــا
فلا تكلف بعشـق ســواه يومـــا ولا تسكت عن التبليـــغ ، سكتـــا

(1) هو ابن ابراهيم بن مسـعود بن سعيد التجيبي ، توفي فى حدود الستين والاربعمائـــة .

فان مزيده رهن بنشر	وبالامساك عنه ، يفوت فوتا
فذق من حلوه دوما تجدده	الذ تلمظا ، وأجل نبتا
وان واصلت تهذيبا ، وبحثا	فانت بانفس الاعلاق ، ابتا
فلازمه تنل املا ، رغيدا	لان نفاره ، اقوى ، واعتى

* * *

وان نلت المكانة فاستدمها	باخلاق تبارك ما علمتا
وبالعمل القويم يدوم علم	ينادي من تعلم : ما عملتا ؟
والا سار عنه الى ارتحال	ولم يرجع ، وبت جداه بتا
فلذ بمكارم التقوى ، وصنها	بعلم منقذ مما جهلتا
وقابل بالبشاشة كل خدن	وفارق في صميم الحق صمتا
ولا تقبل ملابسة المخازي	لترفع دائما في المجد بيتا

* * *

يهيم الهائمون بجمع مال	وكفته تميل بما تأتى
يفوز بارثه شخص فقير	ويجمعه غني ، عاش ميتا
وتخطفه الحرائق ، والرزايا	وادواء اذا يوما ، مرضتا
ويسرقه لصوص من بنوك	وقد جمعت من الاموال : شتى
فيصبح في الغنى من نال مالا	ويمسي يشتكي في الضعف نحتا
وقد وضعوا له الميلان عمدا	يميل مصافحا في الارث : اختا
فمن يجهل ، ويفخر بالمغاني	وبالاموال ، فهو كمن علمتا
فدع عنك التفاخر بالمباني	وفاخر بالمعارف ، ان وعيتا
أبو اسحاق ، سجل لب فكر	فقال : منوعا في القول شتى :
« فليست هذه الدنيا بشيء	تسوؤك حقبة ، وتسر وقتا

* * *

فسل من ربك التوفيق فيها	وأخلص في السؤال ، اذا سألتا

* * *

وناد اذا سجدت له اعترافا	بما ناداه ذو النون (2) بن متى

* * *

(2) وفى القرآن العظيم : « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين »

ولازم بابـــه قرعـــا ، عســـــــاه سيفتح بابـــه لـــك ، ان قرعتــــا

* * *

واكثر ذكـــره ، فى الارض دابـــا لتذكر فى السماء ، اذا ذكرتـــا »

* * *

امامـــك عاهـــل حسن المعانـــي تربع فوق هام المجـــد ، دستـــا

وجـــال بحكمـــة ، وســـــداد راي ورصع بالحجى عهـــدا ، ووقتـــا

وحاز من المعـــارف منتهاهـــــا فعاش لها ، والأخـــلاق سمتـــا

فيا مولاي عشت لخيـــر شعـــب والحسنات ، والآمـــال دمتـــا

وي العهد شبلـــك ذو المعالـــي أراك الله فيـــه مـــا رجوتـــا

فاس : الحاج احمد ابن شقرون

